دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

مُنية الراضى فى رسائل القاضى

لأبى أحمد منصور بن محمد الهروى

جمع وانتقاء
أبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى

تحقيق
د. محمد يونس عبد العال

مراجعة
أ.د. حسين نصار

(١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)

مُنية الراضى
فى رسائل القاضى

kitabweb-2013.forumaroc.net

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

مُنية الراضى
فى رسائل القاضى

لأبى أحمد منصور بن محمد الهروى

جمع وانتقاء

أبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى

تحقيق

د. محمد يونس عبد العال

مراجعة

أ.د. حسين نصار

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)

kitabweb-2013.forumaroc.net

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

القاضى الهروى، منصور بن محمد ، م 1098.
منية الراضى فى رسائل القاضى/ لأبى أحمد منصور ابن محمد الهروى؛ جمع وانتقاء أبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى؛ تحقيق محمد يونس عبد العال؛ مراجعة حسين نصار . ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث ، 2007-
171 ص ؛ 28 سم.
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
تدمك x - 0524 - 18 - 977

٨١٦

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لايجوز استنساخ أى جزء من هذا العمل بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٧/٢٣٤٤٦
I.S.B.N. 977 - 18 - 0524 - x

kitabweb-2013.forumaroc.net

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

ترجم الثعالبى لأبى أحمد منصور الهروى فى «يتيمة الدهر» و«تتمة اليتيمة»، كما ترجم له مؤلفون آخرون، من مثل الباخرزى فى «دمية القصر» والسبكى فى «طبقات الشافعية»، فقدّرت أنه ـ وهو من كبار أُدباء عصره ومبدعيهم ـ جدير بالدراسة والبحث، لولا ضياع ديوانه الشعرى، وضآلة ما تبقى من أخباره وآثاره الشعرية والنثرية.

وقد وجدت فى دار الكتب بالقاهرة مجموعة مخطوطة من رسائله النثرية، تحت عنوان «منية الراضى برسائل القاضى»[1]، عرفت بعدها مما ذكره كارل بروكلمان[2] أن لها نسخة أخرى فى مكتبة برلين، فشاقنى أن أبادر إلى طلبها، وأن أحصل على نسخة منها مصورة على «ميكروفيلم».

ولكن هاتين النسختين لعيوب لحقتهما جسيمة عجزتا عما هدفت إليه من نشر المخطوطة وتحقيقها تحقيقا مرضيا، فتركت التفكير فى الهروى ورسائله، وقنعت بما يمكن أن تقدّماه من فصول متخيّرة تسهل قراءتها وتبيّن معالمها.

ثم اهتديت بعد سنوات إلى نسخة ثالثة أخرى فى جامعة الملك سعود بالرياض، سرّنى أنها جيّدة الخطّ والضبط، قليلة التحريف، والسقط، تحلّ أكثر الإشكالات العويصة فى النسختين السابقتين.

ولم يكن بعد ثمة مبرر للانتظار، فقد صار فى حوزتى ثلاث نسخ مخطوطة لـ «منية الراضى...»، وصار من حق أبى منصور الهروى أن أظهر له هذه البقية الباقية من نثره، وأن أخرجها إلى قراء عصرنا، مهما اختلفت آراؤهم حول جدواها وقيمتها.

وقد احتاج نشر هذه الكتابات وتحقيقها إلى كثير من الجهد والعناء، وأحسب أنها فى مواضع منها، مازالت تحتاج إلى شىء من التثبّت والتقصّى.

وأرجو أن أقدم بهذا العمل ما يفيد العربية وتراثها.

د. محمد يونس عبد العال

---

(١) انظر: فهرس دار الكتب المصرية (ط ١ ، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) ٣٩٧/٣.

(٢) تاريخ الأدب العربى ١٢٢/٢.

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

تمهيـــــد

(١) الهروى، مؤلف الرسائل:

ينتمى أبو أحمد منصور بن محمد الأزدى الهروى[١]، إلى أسرة مشهورة بالعلم، ينتهى نسبها إلى المهلب بن أبى صفرة.

وكان أبوه محمد بن محمد بن عبد الله ـ ٤١٠هـ ـ فقيها محدّثا وشيخا للشافعية، تولى القضاء بهراة قرابة ثلاثين سنة[٢] وقد ترسم منصور خطا أبيه، فكان مثله فقيها ومحدثا وقاضيا حسن الفضائل، أشاد السبكى بورعه فقال إنه كان يختم القرآن فى كل يوم وليلة، وأشاد أيضًا بعلمه وتمكنه فقال: «لايعترى شعره عجمة مع كونه من أهلها».

وهراة التى ينسب إليها القاضى منصور وأبوه وكثيرون من العلماء والأدباء، مدينة مشهورة فى خراسان، أفاضت المصادر فى ذكر ما امتازت به من عمران وخيرات، وما اتصف به أهلها من الصلاح والديانة والعلم والثراء[٣]، وكانت فى الفترة التى عاشها القاضى منصور إحدى ولايات الدولة الغزنوية، التى أسسها سبكتكين سنة ٣٦٦هـ وكان من أشهر حكامها يمين الدولة محمود (٤٢١هـ) الذى ولّى ابنه مسعودا (٤٣٢هـ) هراة مرتين، قبل أن يحل محلّ أبيه فى حكم دولته الشاسعة الأطراف، ثم خلفه أيضًا ابنه مودود بن مسعود (٤٤١هـ).

---

(١) ترجمته فى: يتيمة الدهر ٣٤٨/٤ – ٣٥٠، تتمة اليتيمة ٤٦/٢ – ٥٣، دمية القصر ١٥٣/٢ – ١٦٨، تاريخ بغداد ٨٦/١٢، معجم الأدباء ١٩١/١٩ – ١٩٤، طبقات الشافعية للسبكى ٣٤٦/٥ – ٣٤٧، طبقات الشافعية للإسنوى ٨٩/١، الجواهر المضيّة فى طبقات الحنفية ١٨٤/٢، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١٢٢/٢، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (ط الترقى، دمشق، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) ٢٠/١٣ – ٢١، الأعلام للزركلى ٢٤٣/٨. وانظر: شعر منصور بن محمد الهروى: جمع وإعداد وتقديم، د. محمد يونس عبد العال، «مجلة تراثيات»، العدد الخامس، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، يناير ٢٠٠٥م، ص ١١٧ – ١٤٤

(٢) ترجمته فى: طبقات الشافعية للسبكى ١٩٦/٤ – ١٩٧، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (تصحيح : محمد عبد العليم خان، ط ١، حيدر آباد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م) ١٩٢/١، الجواهر المضيّة ١١٩/٢، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى، (ط القدسى، القاهرة، ١٣٥٠هـ) ١٩٢/٣

(٣) انظر كتاب البلدان لليعقوبى (ط ليدن) ص ١٢ – ١٣، لطائف المعارف ص ١٩٩ – ٢٠٠، اللباب ٣٨٦/٣. وقال الحموى إنه لم ير بخراسان حين زارها سنة ٦٠٧هـ «مدينة أجلّ ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها، فيها بساتين كثيرة، محشوّة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء»، ثم أشار إلى ما أصابها من التتار، سنة ٦١٨هـ – معجم البلدان ٩٥٨/٤ – ٩٥٩. وزار ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) هراة وذكر أن لأهلها صلاحا وديانة، وأنهم على مذهب الإمام أبى حنيفة ـ رحلة ابن بطوطة (ط صادر ببيروت، ١٩٦٤م) ص ٣٨٢. وهى الآن إحدى المدن الكبرى فى الغرب من أفغانستان، تبعد عن كابل العاصمة ١٠٤٢ كيلومترا، وترتفع عن سطح البحر ١٩٢٠ مترا ـ هرات: تاريخها وآثارها ورجالها، لخليل الله الخليلى (ط بغداد، ١٣٩٤هـ) ص ٩ وانظر: مقدمة يحيى علوان البلدادى على تحقيقه كتاب اللامات لأبى الحسن على بن محمد الهروى المتوفى فى ٤١٥هـ، ط الفلاح، الكويت ١٩٨٠م.

kitabweb-2013.forumaroc.net

واشتهر بعض الغزنويين وبخاصة محمود الغزنوى بالعلم والمعرفة وحبّ العلماء، فكثرت في عصورهم المصنفات في العلوم والآداب، كما اشتهروا جميعًا بكثرة حروبهم، وجهادهم الدائب في بلاد الهند، ونشرهم الإسلام فيها[١]

وقد حظي منصور بشهرة واسعة، وأقبل الناس على شعره ونثره، وتوثقت المودة بينه وبين الثعالبي فنوّه بذلك في «تتمة اليتيمة»، وألف من أجله كتابه «الإعجاز والإيجاز»[٢] وقدّمه له، ومدحه الحسن بن على الباخرزى[٣]، وهو والد أبى الحسن على مؤلف «دمية القصر»، الذى أثنى أيضاً على منصور الهروى ثناء بالغا، واحتفل بأدبه[٤]

وليس في المصادر التي ترجمت له إلا أخبار قليلة عنه، منها أنه مدح الخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ) ومنها أنه توفى سنة ٤٤٠هـ، بعد أن عمر طويلا، وقد تحدث الباخرزى عن ذلك فقال: «وقد أوتى القاضى أبو أحمد حظًا وافرا من حياته، وبلغ أرذل العمر من وفاته، فانطحن تحت رحياته، وأثّر فيه الهرم تأثيرا نشف ريّه، وأطّر سَمْهَريّه، وحجب طَرْفه، وإن لم يحجب ظَرفه، وكف ألحاظه، وإن لم يكف ألفاظه، وقصّر من خطواته، وإن لم يقصّر من خطراته، حتى كتب في معناها إلى بعض أصدقائه:

قصّة تقصيرىَ فيها قِصرْ ... فأذَنْ بعُذر مُشبع مختصرْ
شيآن عُذرى فيهما واضح ... سوادُ حالى وبياض البصر[٥]

وفى كتابات منصور الهروى إشارات أخرى إلى كبره وضعفه وذهاب بصره، منها هذه السطور التي أكثر الثعالبى من روايتها فى مؤلفاته: «بي ـ أيّد الله الشيخ ـ رمد ، وفي الهواء رمد، ولقاءُ الشيخ فرج، ولكن ليس على الأعمى حرج، لا سيّما والمجلس وطئ، والمركب بطيء، والهواء وهج، والصيف يثير الرّهج، ويذيب المُهج»[٦]

(١) انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى، (ط ٧، السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٦م) ٨٣/٣ - ١٠٣
(٢) الإعجاز والإيجاز، ص ٢، ٩٨.
(٣) دمية القصر ١٥٤/٢
(٤) دمية القصر ١١/١ - ١٢
(٥) دمية القصر ١٥٤/٢ - ١٥٥
(٦) تتمة اليتيمة ٤٧/٢، وانظر : الإعجاز والإيجاز، ص ٣٢ ولطائف اللطف، ص ٨٣ ـ الومد: سكون الريح مع شدة الحر، والرهج: الغبار.

kitabweb-2013.forumaroc.net

(٢) أبو الفضل الميداني، جامع الرسائل:

صاحب الفضل فى حفظ رسائل القاضى منصور الهروى هو العالم المعروف واللغوى المتقن، ذو الأيادى الباسطة فى شتى فنون الأدب: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدانى النيسابورى، المتوفى سنة ٥١٨هـ[١]

وقد بدأ الرسائل بمقدمة قصيرة، قال فيها إنه انتقى أحسن ما عنده من نثر القاضى منصور الهروى، فى مجموع أسماه: «منية الراضى فى رسائل القاضى»، جعله فى أغراض شتى، مجموعها عشرة، لكلّ منها باب مستقل، وهى على التوالى: التهانى، الشكر، الممادح والأثنية، الشوق والحنين، العتاب والاستبطاء، الشكوى والاعتذار، العيادة والتعزية، المداعبة، الأوصاف والتشبيهات، التصديرات والأدعية. ووصف الميدانى هذه المنتقيات بأنها قطرة ـ فحسب ـ من بحر الهروى، ولمحة من بدره، وزهرة من رياضه... تختصر الطريق وتغنى من يقنع بها عن الكثير، ولكن الميدانى لم يذكر أسباب انتقائه لهذه النصوص دون غيرها، والمعايير التى اتخذها ليفاضل بين نص وآخر، واكتفى بقوله دون تعليل إن هذه الألفاظ من الغرر وإنها أفضل ما عنده من نثر الهروى.

ويفهم من هذه المقدمة أنه كان معجبا بهذا النثر، وأنه عرف منه قدراً كبيراً، اختار منه ـ حسب ذوقه ومقاييسه ـ أحسنه، ورتبه ترتيبا موضوعيا.

أما إعجاب الميدانى بالهروى ـ وربما تأثره به ـ فذلك ظاهر عند الموازنة بين نثريهما، فكلاهما كلف بالمحسنات والأسجاع والحرص على التقفية، والجنوح إلى التهويل والمبالغات، ويجد القارئ لعبارات الميدانى التى قدم بها كتاب «مجمع الأمثال»، وكتاب «السامى فى الأسامى»، ما يدله على ذلك، بل ربما يتشابه أسلوبا الرجلين فى بعض المواضع، ومن ذلك قوله الميدانى يمدح محمد بن أرسلان: «وأقبل عليه (أى على الأدب)... إقبال من ألقتْ خزائن الفضل إليه مقاليدها، ووقفت مآثر المجد عليه أسانيدها، فأبرز محاسن الآداب فى أضفى ملابسها، وبوّأها من الصدور أعلى منازلها ومجالسها... فالحمد لله الذى جعل أيامه للحسن والإحسان صورة، وعلى الفضل والإفضال مقصورة....[٢]»، ففيه مشابه من قول الهروى

---

(١) انظر ترجمته فى: نزهة الألبا، ص ٣٩٠ واللباب ٣٩١/٣، وإنباه الرواة ١٢١/١ ١٢٤، ووفيات الأعيان ١٤٨/١، وبغية الوعاة ٣٥٦/١ - ٣٥٧.

(٢) مجمع الأمثال ٣/١.

kitabweb-2013.forumaroc.net

في المديح أيضًا: «قد اطلعت منه على سيد ألقت المعالى إليه مقاليدها، ووقفت عليه أسانيدها، وقررت به الليالي المظلمة معاذيرها، واستصغرت معه الأكارم مقاديرها...»[١]

وأما ما ذكره الميداني من أن هذه المنتقيات إنما هو قدر قليل من كثير معروف عنده، فيدفع إلى التساؤل عن آثارالهروى النثرية، وهل كانت مجموعة بين دفتي ديوان، أم كانت متفرقة، يتداولها من يعجبون بها شفاها، أو من مصادر مكتوبة مبعثرة، ذلك أن أحدا ممن ترجموا للهروى، لم يشر إلى وجود ديوان رسائله، مثلما أشاروا إلى ديوان شعره، بل نجد القلقشندى يغفل عن ذكر منصور الهروى، كأنه لم يسمع به، أوتعمّد إهماله.

وقد حرص الميداني في مقدمته على أن يذكر منهجه الذى عمد إليه في ترتيب الرسائل وتبويبها تبويبا موضوعيا، وهو حرص له مثيله في مقدمات كتب الميداني الأخرى، فقد حدد أسلوب عرضه لمواد «مجمع الأمثال»، فقال: «وجعلت الكتاب على نظام حروف المعجم في أوائلها ليسهل طريق الطلب على متناولها...»[٢]، كما حدده في مقدمة «السامي في الأسامي» فقال: «.. وجدت بعضهم قد عنى بما في القرآن فقصر عليه تصنيفه، وبعضم تجافى عنه فعطّل من حلّيه تأليفه، فأردت أن يكون كتابي هذا مجمع بينهما ومحجر عينهما.... وسميته بـ: السامي في الأسامي، وجعلته أربعة أقسام...»[٣]

ولاينبغي أن يغمط الميداني، فيقال إن المؤلف الحقيقي لـ «منية الراضي...» هو منصور الهروى، وليس للميداني من فضل فيه غير الجمع والتبويب، ذلك أنه مصنف له شأنه وخطره في الثقافة العربية، وكل قارئ للتراث يعرف كتابه «مجمع الأمثال» الذى يعد أوسع ما ألف في بابه وأوفاه، فقد استطاع مؤلفه ـ وهو المقيم في نيسابور ـ أن يحفظ فيه معظم ما عرف من الأمثال في الجاهلية والإسلام وعصر المولّدين.

وفي بيان منزلته روى الحموى بعض ما قيل في مدحه، وعلق عليه، فقال: «لو كان للذكاء والشهامة والفضل صورة لكن الميداني تلك الصورة، ومن تأمل كلامه واقتفى أثره علم صدق دعواهم»[٤]، ووصفه أبو الحسن البيهقي، فقال: «الإمام أستاذنا صدر الأفاضل... قوّم سناد العلوم بعدما غيّرتها الأيام بصروفها، ووضع أنامل الأفاضل على خطوطها وحروفها...»[٥].

(١) انظر ما يلي: ص ٧٧

(٢) مجمع الأمثال ٤/١.

(٣) السامي في الأسامي ص ٣، ٤.

(٤) معجم الأدباء ٤٧/٥ - ٤٨.

(٥) معجم الأدباء ٤٨/٥، وانظر إنباه الرواة ١٢٢/١.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ويعنينا ثناء القفطي عليه وإشادته بمصنفاته وتنويهه بتثبّته وتحقيقه، ومن ذلك أنه: «عُرف في البلدان بتصانيفه الحسان المشهورة، قرأ الأصول وأحكمها، ثم أخذ في التصنيف فأحسن كل الإحسان، فيما جمعه وصنّفه، وأربى على من تقدّم بالترتيب والتحقيق، واستدرك على بعض من زلّ قبله من المصنّفين، وأصلح مواضع الغلط»[١]

وأورد الحموي أسماء مصنّفاته، فذكر في آخرها: «كتاب منية الراضي في رسائل القاضي»[٢]، وتبعه القفطي في ذكر هذه المصنفات، غير أن المحقّق المطبوع من «إنباه الرواة» يورده باسم «منية الراضي في مسائل القاضي»[٣]، ولعل ذلك تحريف وقع فيه النساخ أو سهو فات المحقق، أو خطأ لم يتبينه القفطي ابتداء.

ولم أجد في تراجم القدماء للميداني من أشار إلى هذا الكتاب غير الحموي والقفطي، وقد بدا أنه من أقل كتبه شهرة، فأغفله السيوطي، ولم يذكره مع ما ذكره من مؤلفات الميداني، وتخلص من ذلك بقوله إن له من المصنفات أيضًا: «غير ذلك»[٤]، كما أغفله حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٨م) في كتابه: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، أما إسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) فقد أشار إليه في: «إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون...»، دون ذكر مؤلفه ومكان وجوده[٥]

ومن الجدير بالذكر أن الزركلي في كتابه «الأعلام» لم يذكر هذا الكتاب، وأن بعض المعاصرين ممن تحدّثوا عن أبي الفضل الميداني لم يهتد إلى موضوعه، ولم يتح له أن يطلع عليه[٦]

---

(١) إنباه الرواة ١/١٢١

(٢) أما كتبه الأخرى، فهي: جامع الأمثال، السامي في الأسامي، النموذج في النحو، الهادي للشادي، النحو الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، شرح المفضليات ـ معجم الأدباء ٥/٤٦.

(٣) إنباه الرواة ١/١٢٤

(٤) بغية الوعاة ١/٣٥٦ - ٣٥٧

(٥) طبعة المثنى، بغداد، د. ت، ٢/٥٩٦

(٦) انظر ما كتبه محمد عبد الغني حسن في: «مؤلفات رائدة لمؤلفين رواد»، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٣٦٣، القاهرة، مارس ١٩٨١م، ص ٢٨.

kitabweb-2013.forumaroc.net

منية الراضى فى رسائل القاضى

(أ) دراسة موضوعية:

لا تقف التجارب الإنسانية عن حد، بل تتجدد مع تجدد الحياة، وتتغير بتغير الملابسات، فلا يمكن القول بأن فنا أدبيا مثل فن الرسائل، يقتصر على موضوعات بعينها لايتعداها، ولكن ثمة أغراض عامة متفق على شيوعها فيه، منها الرسائل الإخوانية، التى صنّفها القلقشندى وعدّد لها سبعة عشر نوعا[١]، وذكر أن الكافّة تشترك فى الحاجة إليه، فالرئيس يكتب بها إلى المرءوس، والمرءوس إلى الرئيس، والنظير إلى النظير، وقال: « والكاتب إذا كان ماهراً أغرب معانيها، ولطّف مبانيها، وتسهّل له فيها ما لا يكاد أن يتسهّل فى الكتب التى لها أمثلة ورسوم لا تتغيّر ولا تُتجاوز»[٢]، ويعنى بهذا النوع الأخير الكتب الديوانية الرسمية، مثل العهود والتقاليد وكتب التلقيب والتنويه والإحماد وانتقال الخلافة...

وموضوعات «منية الراضى فى رسائل القاضى» كثيرة متعددة، ففى الباب الأول تصوير لفرحة المهنئ حين يهنئ قائدا أو وزيراً أو والياً أو قاضياً أو قافلاً من الحج، بما أتيح لكل منهم من تيسير ومحلّ رفيع، وفى الباب الثانى تصوير لمعانى الشكر وامتنان الشاكرين تجاه من يسدون المعروف، وفى الثالث مدح وثناء على ذوى الفضل والهمم والمراتب ممن يتوسل بجاههم لدرك الرغائب ويتشفع بهم لإسعاف المحتاجين، وفى الرابع بسط لمشاعر الشوق والحنين حين يفارق الصديق صديقه فتلتهب الذكريات ويشتد الألم، وفى الخامس نماذج قوية من مشاعر العتاب الرقيق بين الأودّاء تدعو إلى التواصل ونبذ الوحشة وقطع أسباب الموجدة، وفى السادس فصول من الشكوى والضيق بسبب جفوة الأصدقاء وفصول أخرى من الاعتذار عن التقصير والإخلال، وفى السابع عيادة ومحاولة للتخفيف عمّن ألّم بهم عارضُ المرض، وفيه أيضاً تعزية وتسلية ودعوة من رزئوا بفقد الأعزاء إلى الصبر والتسليم، وفى الثامن مداعبات وممازحات مما يدور بين الأصدقاء طلبا للهزل واستدعاء للظرف، وفى التاسع فصول وصفية خالصة، تصف الكتب والألفاظ والخطوط والأقلام والأشعار والمنثور من الكلام، كما تصف أيضاً رحلة الصيد فى يوم مشمس جميل مع طبيعة فاتنة وخيول فارهة، أما الباب العاشر فيقدم

---

(١) هى: التهانى ـ التعازى ـ التهادى والملاطفة ـ الشفاعات والعنايات ـ التشوق ـ الاستزارة ـ اختطاب المودّة وافتتاح المكاتبة ـ خطبة النساء ـ الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار ـ الشكوى ـ استماحة الحوائج ـ الشكر ـ العتاب ـ العيادة والسؤال عن حال المريض ـ الذم ـ الإخبار ـ المداعبة، انظر: صبح الأعشى ٥/٩ – ٢٢٨.

(٢) صبح الأعشى ٥/٩.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فصولا كثيرة مما يقال فى افتتاحات الرسائل وصدورها أو فى تضاعيفها من الأدعية.

١ - وباب التهانى أطول أبواب «منية الراضى ...» وأكثرها رسائل، أولها تهنئة بفتح، افتتحها الهروى بقوله إن الله تعالى ـ قد عوّد الأمير أن ينصره على أعدائه نصرا يعزّ الإسلام، ويظهر للصديق والعدو أن الغلبة قد تحققت بصدق نية الأمير وقوة يقينه، ولا عجب فى ذلك، فدولته ثابتة العمد مؤسسة على العدل، يكفلها الله ـ تعالى ـ ويدفع عنها ما يشوب ويقذى، ثم أشادت الرسالة بفتوحاته المتوالية فى أرض الهند، يصغّر كل فتح منها ما سبقه وينسيه ويفوقه جلالا وذيوعًا، فيرى الناس أنه زبدة الحقب النادر مثاله، ويعلمون أن الله لا يخلف وعده، ولا يخذل جنده، فقد هيأ للدولة هذا الأمير المؤيد، يحميها بسيفه ورجاحة عقله، ويشتت شمل الأعداء، ويعيدهم إلى الذلة والهوان ويجعلهم عبرة لأولى الأبصار،

ووصف الجزء التالى من التهنئة بغى المخالفين واغترارهم بالعدد والعدة، وغفلتهم عما يحكم الله ـ تعالى ـ به على أمثالهم، وما كان من تسهيل هذا الفتح الكبير الذى أخمل الباطل، وأعاد الأمن، ووطد الملك، وقوى الدين، وأظهر أن الله لايغفل عن الظالمين، وختمت الرسالة بحمد الله على أن جعل أيام الأمير مواسم للفتوح، وأوقاته مباسم للزمان، ودولته غُرة فى جبين الدهر، وآثاره خالدة فى صحف المعالى، كما ختمت بدعاء إلى الله أن يجعله «فتحًا برزت له الأرض فى أثوابها القشب...» وأن يسهل أوبة الأمير إلى مقر ملكه، بعد أن سبقته الكتب والأنباء، بما أثلج الصدور وأعلى الحق[1]

وقد أسهبت هذه الرسالة فى تهنئة الأمير المنتصر، وذكر ما وعد الله به أهل الطاعة من التمكين وإظهار الدين، وفى وصف ما أفاء الله على المسلمين من نصر وما حاق بالأعداء من خسار، وواضح أنها من نوع الرسائل التى تكتب عند الفتوحات والانتصار على الأعداء، وهو من أهم أنواع الكتابات الديوانية وأعظمها قدرا، وواضح أيضًا أن الهروى قد جهد فى أن يظهر قدرته ، وينهض بالعبء المطلوب فى مثل هذا الغرض، ولعله من أجل ذلك لم ينس قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية، فنثر بعض معانيها نثرا لايخفى على السامع أو المتصفح، وكأنه يريد أن يقرن فتح المعتصم فى بلاد الروم، بهذا الفتح فى بلاد الهند، فكلاهما من أجل الجهاد ونشر الإسلام، وكلاهما زلزل قواعد الأعداء، ومحق الشرك محقا.

(١) انظر الرسالة كاملة فيما يلى، ص ٤٧ - ٥١

kitabweb-2013.forumaroc.net

وليس في الرسالة ما يدل على تاريخ الفتح أو اسم الأمير المنتصر، وإنما اكتفت بالإشارة إلى أنه كان يوالي فتوحاته في أرض الهند، والمرجح أنه محمود الغزنوي الذي بدأ حكمه سنة ٣٨٨هـ وانتهى سنة ٤٢١هـ، ضم في أثنائها إلى ملكه بلادا كثيرة، منها البنجاب والغور وما وراء النهر وأصبهان وغيرها، وكان أول من تلقب من الغزنويين بلقب سلطان، ثم لقبه الخليفة القادر بالله باللقب الذي شهر به في المصادر التاريخية، وهو: يمين الدولة وأمين الملة[١]، ويقال إنه فرض على نفسه كل عام غزو الهند، ولم يكن أهلها يدينون بالإسلام فنشره بينهم، وأرسل إليهم من يعلمهم الدين، وقد غزا الهند في أثناء مدة حكمه الطويلة اثنتي عشرة مرة، اتسمت كلها بالجهاد الديني[٢]

أما الرسالة الثانية ففي التهنئة بالوزارة[٣]، بدأت بالحديث عن الغبطة التي عمّت الدنيا بعد أن ابيضّت الأيام، واستفاض الخير، وابتهجت اقلوب، وانبلجت الوجوه، وانشرحت الصدور، وانفسحت الآمال، وطلعت السعود، وغربت النحوس، ورطبت العيدان، وعذبت الموارد، واخضرّت الأوراق، وفرح الدهر، ولبس أحسن زينته... ذلك أن الأحوال تجددت، والآمال أنجحت.

ثم وصفت ما كان من المنافسين وحسدهم وسوء تدبيرهم، وما واجهه الوزير من نيران خطوبهم التي خمدت، ورياحهم التي ركدت، ولكنه كالسيل لا يردّ، والليث لا يصدّ، والقطر لايكاثر انهماره، والبدر لايعارض في أنواره.

وانتقلت بعد ذلك إلى جزء آخر من أجزائها، وفيه أن السلطان أعمل رأيه وبصيرته و«عزيمته التي تجري بوفاقها الأقضية والأقدار»، فقلد الوزير الوزارة التي يستحقها، «فردّ النصل إلى نصابه، وسلّم الأمر إلى أربابه، وبوّأ الصدر من هو أولى به»، وكان فعله هذا عزّة للحق، وإسعادا للقلوب، «فيا لها نعمة أهدت إلى الصدور بردا، وفتّحت في الخدود وَرْدا، وأعادت الأيام أعيادا، وأحرقت للحسّاد أفئدة وأكبادا»، وانتهى هذا الجزء بحمد طويل لله ـ تعالى ـ على هذه النعمة التي ردّت المختلّ ومحت النحس، وأهدت الروح إلى الجسد، وقد تضمنت هذه الرسالة

(١) ولذلك سمّى العتبي أبو نصر محمد بن عبد الجبار، كتابه عن محمود الغزنوي وحروبه: «تاريخ اليميني»، وقد طبع في القاهرة سنة ١٢٨٩هـ.

(٢) انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ٨٧/٣ ـ ٩٦.

(٣) انظر: نماذج التهنئة بولاية الوزارة في صبح الأعشى ٦/٩ - ١١ وهي حسب تقسيمات مؤلفه: الصنف الأول، من الضرب الأول وهو التهنئة بالولايات، من النوع الأول وهو التهاني، من المكاتبات الإخوانيات.

kitabweb-2013.forumaroc.net

أشعارا كثيرة بلغ مجموعها ثلاثة وثلاثين بيتا، مفرقة في أربعة عشر موضعا، معظمها من نظم الهروي نفسه[١]

وفي مطلع تهنئة أخرى بالولاية قرر الهروي أن للتهاني رسوما وقواعد، فقال: «من جارى العادة، بين الخدم والسادة، إذا تجدّدت نعمة جزيلة، وتمهّدت رتبة جليلة أن يتلقوا التهاني، ويستنفدوا فيها الألفاظ والمعاني، ارتساما للرسم المرسوم، وذهابا مع المذهب المعلوم»، ثم يذكر بعض المعاني السائرة في هذا الغرض، منها أنه يربأ بمحلّ الوزير أن يهنئه بالولاية، وإنما تهنأ الأعمال به حين يليها[٢]

وفي بداية تهنئة برجوع حاجّ[٣] من الديار المقدسة أفاض المهنئ في التعبير عن سروره، الذي فاق سرور السارى بالقمر، والظامئ بالورد، بعد أن قضى الشيخ نسكه ورضي سعيه، وعاد إلى دياره التي تنتظره وتحنّ إليه، واختتمت التهنئة بحمد الله ـ تعالى ـ على ما يسّر من العودة والدعاء أن يتقبّل الله النسك وأن يجزل الثواب[٤]

وللهروي تهنئة بمولود[٥]، بدأها بعد الافتتاح والدعاء والحمد، ببيت من الشعر:

إذا وُلد المـــولود من آل هاشم فـقـد زيد من أهل المكارم واحـد

ثم ذكر أنه يعجز عن وصف مسرّته وانشراح صدره، وأنهى بالدعاء للمولود وأبيه، فقال: «وقد ملت إلى الدعاء لهما بالسلامة والسعادة، والنماء والزيادة، والعلاء والسيادة، حتى يتمتّع خليل بخليل، ولا يَخْلو مالك من عقيل»[٦]

وآخر رسائل التهاني تهنئة بولاية القضاء[٧]، افتتحها بقوله إن المراتب والولايات مع عظمها وجلالها تزدان بذلك القاضي وتبهى، فتسعى إليه دون أن يسعى إليها، ولا بدع فمحامده كثيرة، وقد رآه السلطان أهلا لما فوّض إليه من الأمور،

فـلـم تـك تـصـلـح إلا لـه ولـم يـك يـصـلـح إلا لـهـا

(١) انظر: ما يلي: ص ٥٢ – ٥٧.
(٢) انظر: ص ٥٨.
(٣) انظر الضرب الثالث من مكاتبات التهاني، في صبح الأعشى ٣١/٩ – ٣٣.
(٤) انظر: ص ٥٩.
(٥) انظر: الضرب السابع من التهاني، في: صبح الأعشى ٥٦/٩ – ٦٣
(٦) انظر ما يلي: ص ٦٠
(٧) انظر الصنف الخامس من ضرب التهنئة بالولايات، في: صبح الأعشى ١٦/٩ – ١٨.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وكان الختام دعاء أن يديم الله للقاضي فضائله، وأن يبقيه للمكارم والمعالى[١]

وما سبق ذكره هو أهم المعانى التى اشتملت عليها رسائل التهنئة، والرسالة الأولى أطولها وأقربها إلى الكتابات الديوانية، لأنها تتحدث عن فتح كبير وأمير جليل يقتحم الممالك ويدوّخها، ولذلك خلت من الاستشهادات الشعرية، فهى فى مثل هذه الرسائل عيب واستهجان، إلا أن يكون الكاتب نفسه هو الصانع للشعر، والرسالة الثانية طويلة أيضًا وهى فى تهنئة وزير تولى مقاليد الحكم، أما الرسائل الأربع الأخرى فقصيرة موجزة، فيها تهنئات بحكم ولاية، وبقضاء مناسك الحج، وبإنجاب ولد، وبتولى مقاليد القضاء.

ولاتقف أغراض التهانى ومعانيها عند حد، بل تتشعب وتتفرع، ومع ذلك لكل غرض معانيه العامة المتداولة التى ينبغى أن يراعيها الكاتب.

٢ - وفى باب الشكر[٢] تحدث الهروى عن إنعام الشيخ الذى عمّ البعيد والقريب والمجدب والمخصب، والبادى والحاضر، وقد جرى فى ذلك على خلق كريم وسجية ملازمة، فاستحق حمدا وشكرا لانهاية لهما، وظلّ يردّد مثل هذه المعانى، ويبدئ ويعيد فى ذكر ما يستحقه من إطراء ودعاء، وما أتاح للشاكر من فواضل وفضائل، رغّبته فى مراسلته ومواصلته، ثم كشف فى الثلث الأخير من هذه الرسالة عن رغبته فى كرم المشكور،، وعاد بعد ذلك إلى تعديد فضائل الشيخ وأياديه طمعا فى نواله وخلعه، والشاكر عاجز عن الوفاء بحق الشكر، حتى أنه لو أراد الإفاضة لما رضى الأرض طرسا، ولا البحر مدادا، ولا الشجر أقلاما، ولا أنفاس الرياح كلاما، واللافت أنه برر ذلك والتمس أسبابه، فقال: «ولم لا؟ وأنا غَذي نعمته، وربيب منّته، والناشئ فى حجر أياديه البيض، والآوى إلى ركن إفضاله الشائع المستفيض»، ثمّ أنهى شكره بأربعة أبيات من مأثورات البحترى فى الاستعطاف والاستمناح[٣]

وقد أُتبعت هذه الرسالة بأخرى قصيرة، انتهى بها الباب، عنوانها: «كتاب له مفرد فى الشكر»، تحدث فيها الهروى بعد الابتداءات المعهودة عن النعم وتفاوت مراتبها، وأن منها ما يحتشد له الشاكر فيكلّ ويعجز، وهذا هو حاله مع ذلك المنعم ذى الأيادى الكثيرة، وهو فى هذه الرسالة أيضًا يطمع فى الإنعام والإحسان، ولكنه هنا يشكو الزمان وعثراته، والحوادث

(١) انظر ما يلى: ص ٦١ - ٦٢

(٢) انظر: النوع الثانى عشر من المكاتبات الإخوانية، فى: صبح الأعشى ١٨٣/٩ - ١٨٩.

(٣) انظر: ما يلى: ص ٦٥ - ٦٩.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ومساءاتها[١]. ومع ما ينبغي في مثل هذه الرسائل من الافتنان والتصرف، ينبغي أيضاً ألا يغرق الشاكر في الشكر، وهو ما انحدر إليه الهروي، فبدا متملقاً يتكسّب[٢]

٣ - وبدأ الباب الثالث في الممادح والأثنية برسالة طويلة، أسهبت في الثناء على فضل الممدوح وشهامته وعقله وصرامته وطهارة خلائقه، وكأنه «أمة في شخص رجل، وجماعة في صورة فرد، وعالما في تركيب إنسان»، بل هو إنسان «يَقِلّ العالَم في قدره»، ورجل «يضلّ الدهر وأبناؤه في حواشي صدره».

ثم أمطرته بسيل متدفق من الممادح، فتحدثت عن بيته وأنه من أشرف بيوت خراسان وأمجدها، كما تحدثت عن همته وشرفه وإفضاله وحضرته ذات المعالي والمحامد، وكرمه الذي «يملك الرقاب بمساعيه، وتنطق الألسنة بذكر أياديه»، وكل ذلك ظاهر العيان، واضح الآثار، لاحاجة إلى إقامة دليل عليه[٣]، وهذه المعاني قريبة من معاني الباب السابق في الشكر، وتشبهها أيضاً في إفراطها ومبالغاتها وكثرة صورها.

ويتساوى القدر السابق من رسالة المدح والنصف الأخير من هذا الباب، وعنوانه: «في العناية»، والشائع أن يطلق عليه لفظ «الشفاعة»، وقد استعمل القلقشندي اللفظين معا عند حديثه عن هذا النوع من المكاتبات[٤]

والمرجح أن ما كتب في «منية الراضي...» تحت هذا العنوان، إنما هو عدة فصول متفرقة في العناية والشفاعة، دون فاصل يفصل كلا منهما عن الآخر، فقد بدئ بالثناء على الشيخ، وهو المشفوع إليه، ثم ثنّى بالحديث عن المشفوع له: «وتصل هذه الأحْرف من جهة فلان، وهو...» وأخذ يشهد بمناقبه، إلى أن قال هذا الفصل على لسان الهروي، وهو الشافع: «وقد أصحبته هذه الأحرف دالا على حاله، ومستدعيا له الحظّ الأوفر من رأي الشيخ وإفضاله، وإذا تطوّل به جرى على سنّة طالما سارها، وطريقة من المجد قديما رفع منارها».

وانتهى هذا الفصل ليبدأ فصل جديد، أوله أيضاً ثناء على المشفوع إليه: «سحائب إنعامه لأهل الفضل ماطرة، وبحور أياديه لأهل العلم زاخرة...» إلى أن قال بعد أن أطنب وبالغ،

---

(١) انظر ما يلي: ص ٧٠ - ٧١.

(٢) انظر ملحوظات أبي هلال العسكري عما يكتب في أبواب الشكر والاستعطاف والاعتذار: كتاب الصناعتين ١٥٧ - ١٥٨.

(٣) انظر ما يلي، ص ٧٥ - ٨٠.

(٤) انظر الشفاعات والعنايات، وهو النوع الرابع من المكاتبات الإخوانية، في صبح الأعشى ١٢٤/٩ - ١٤٢، ٢٠٤ - ٢١٢.

kitabweb-2013.forumaroc.net

متحدثا عن المشفوع له «ومساقُ هذه المقدّمة إلى ذكر فلان، وهو...».

وتوالت فصول العناية والشفاعة فتحدّثت أحيانا عن الشيخ الذى يؤمل عنده الخير وأحيانا أخرى عن«فلان» طالب الحاجة، وربما تحدثت بلسان حال الهروى الشافع[١]

٤ – والباب الرابع فى الشوق والحنين[٢]، كالباب السابق، فصول مضمومة منتزعة من بضع رسائل، منها ما كان ابتداء، ومنها ما كان جوابا، ولذلك تكررت المعانى، وتشابهت بعض العبارات.

وقد عبّرت هذه الرسائل عن الوحشة لفراق الصديق والأمل فى تجدّد اللقاء والحنين لما مضى من أيام مازالت ذكرياتها باقية لاتنسى تدل على تمازج الأرواح وائتلاف القلوب، واستغرق الحديث عن آلام الوحشة النصيب الأكبر من الاهتمام، وحشد الهروى لذلك صوراً متلاحقة لما لقيه من جناية الأيام عليه وما ابتلى به من الفراق الموجع، وقد ورد فى هذا الباب أيضاً عدة فصول يبدو أنها مطالع رسائل، عبّر فى كل منها عن المعانى نفسها.

ولم تكن رسائل التشوّق قاصرة على ذكر ما يخلفه الفراق من أسى وحزن، بل تضمنت أيضًا التحسر على الأيام السالفة، والأمل فى لقاء جديد يعيد ما سلف من أوقات السعادة والحبور.

ومع ما فى هذه المعانى من مبالغات فى وصف الأشواق وشدتها، لم تخل من معان دقيقة وصور موحية تبعث على التأمل، لعل منها قوله: «لعمرى إن الشوق ليقرّب البعيد، ويبعّد القريب، ويحضر الغائب، ويغيب الحاضر، ولكنه نوع خديعة، يسفر عن سراب بقيعة، وطريق تخيّل، يصير إلى سريع تزيّل، وطروق خيال وطيف، يحيل بالسقيا على سحابة صيف، والشفاء كلّ الشفاء، فى حقيقة اللقاء، وإن كان كما قيل:

بكلّ تداوينا فلم يشف مـــا بنا على أنّ قرب الدار خير من البعد»

فالمتشوق يتخيّل ويحلم ويأمل، ولكن الشوق لايشفى الغليل، وإنما الشفاء فى اللقاء، وقرب الدار ـ كما يقول ابن الدمينة فى بيته الذائع ـ خير من بعدها.

وقد أكثر باب الشوق والحنين من الاستشهاد بالشعر، فبلغ ثلاثة وثلاثين بيتا، مفرقة فى سبعة عشر موضعا[٣]

(١) انظر ما يلى: ص ٨١ – ٨٥.
(٢) انظر عن التشوق: النوع الخامس من أنواع التهانى، فى: صبح الأعشى ١٤٢/٩ – ١٥٠.
(٣) انظر ما يلى: ص ٨٩ – ٩٨.

kitabweb-2013.forumaroc.net

٥ – والباب الخامس من أقصر أبواب «منية الراضي.....»، موضوعه: «العتاب والاستبطاء»[١] وهو مما يكتب به الصديق إلى الصديق، يعاتبه، على التحول عن المودة والاستخفاف بحقوق الصداقة والتقصير في المخاطبة.

ويتألف هذا الباب من رسالتين أو أكثر من رسائل العتاب، ورد بعضها كاملا أو شبه كامل، وبعضها الآخر فصولا وعبارات.

وقد وصف الهروى حاله وهو يعاتب ، وألمح إلى أسباب ضيقه، فقال مفتتحا بشعر:

ليت شعري عن الألى تركونا خلفهم بالعراق هل ذكرونا
أم لعلّ المدى تطاول حتّى قدم العهد بيننا فنسونا

ثم قال: «كتبت، والعهد صحيح، والقلب سقيم والصبر ظاعن، والوجد مقيم، ومع ذلك فلا كتاب ولا رسول، ولا إلى الوصال وصول، وما بى جفاء، ولا بالعذر خفاء، وليس الشيخ بأوّل من حرم الظماء الماء، ومنع الطرف الإغفاء، وحرّم على الدنف الشفاء، وأودع القلب الداء، ثم حجر عليه الدواء...».

وفيما سبق إشارة متلطفة لا يشتد تقريعها إلى ما اقترفه الصديق فى حق صديقه من تقصير يمض ويؤرق، ولذلك ساءلت رسالة العتاب الصديق عن أسباب ذلك ونصحته بالعدول عن أغلاطه وذكّرته بالمودّة القديمة.

واشتد بعد ذلك فى عتابه وأبدى تعجبه إنكاره لما ظهر من تقصير صديقه، وقد علم ما كان فيه من المحن والأهوال والخطوب التى منّ الله بالخلاص منها، وكان ذلك يستوجب المشاركة والتسلية ثم التهنئة بالنجاة، ثم تحدث عن سروره الغامر بوصول كتاب صديقه بعد طول انقطاع، وعن امتنانه لعودة الوصال مع ما يعرفه من أشغال صديقه وحالات انقباضه، وختم هذا الفصل أيضاً بمعانى الرغبة فى استعادة ما كان من مودة، فقال: «فهلمّ فلنعمر طريقة الإخاء، ونهجر شريعة الجفاء، ونطوى جريدة العتاب، وننشر صحيفة الإعتاب، ولانرجع إلى قرع هذا الباب،

فتصفو لنا الدنيا وتدنو لنا المنى ونرجع للحسنى ونستأنف العمرا[٢]

(١) العتاب هو النوع الثالث عشر من أنواع المكاتبات الإخوانية ـ صبح الأعشى ١٨٩/٩ – ٢٠٢.
(٢) انظر ما يلى: ص ١٠١ – ١٠٥ .

kitabweb-2013.forumaroc.net

٦ – وباب «الشكوى والاعتذار» هو السادس من أبواب الكتاب، يماثل الباب السابق في قصره، وقد لحظ أنه خال من رسائل الشكوى[١] أو فقراتها، وكل ما فيه رسالة طويلة جوابية في الاعتذار[٢] وانتزاع الموجدة وإظهار البراءة من التهم.

وقد افتتحها الهروى بما يدلّ على الوصول، ثم أخذ بعد تحميدة قصيرة يردّ على خطاب صديقه، ويفند ظنونه، قال: «وصل كتابه، متضمنًا لصنوف من الخطاب ، وضروب من العتاب والإعتاب، وفهمته.

وحمدت الله ـ تعالى ـ على ما أولاه واستدمت له ما أعطاه.

فأما ما ظنّه من الظنون، وتصرّف فيه من الفنون، فالجميع معلوم، وأنا من الكل مظلوم...».

وألحّ في الاعتذار والتذكير بأواصر الأخوة إلى أن توالت تساؤلاته واستنكر ما أصابه من الجفاء، ورجا صديقه أن يكفّ عن غلوائه، وأن يخفف، ثم أقرّ الهروى بذنبه، وطمع في العفو، بمثل قوله: «هذا إعتابي، فليقبل اعتذاري من سوء اقترافي..» وقوله: «وهذا كلام من قصد بالعتاب، ثم عندي ما يحبّ من الإعتاب، فهو المنصف وأنا المسرف، وهو المجفوّ وأنا الجافي، ووردي الكدر وورده الصافي...».

إلى أن قال وهو يكرر معاني الرغبة في الصفح: «أعيذه بالله أن يرى غرس يديه يذبل، وهو لا يسقيه، ووليّه يطلب تعطفه، ولا مساغ لعطفه فيه، وعلى كل حال، فليس عندي إلا طاعة له حرة، ونفس في مودّته برّة»[٣]

٧ ـ وفي الباب السابع رسالة في العيادة[٤]، ورسالتان في التعزية[٥]، وصور الهروى في رسالة العيادة قلقه لما سمعه من العلّة العارضة التي ألمّت بصديقه، وأظهر أسفه لما عاناه، وتمنى أن يفديه بنفسه أو بماله.

---

(١) تحدث القلقشندي عن الشكوى وأورد نماذج منها، في النوع العاشر من أنواع المكاتبات الإخوانية. صبح الأعشى ٩/١٧٣ – ١٧٦

(٢) و«الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار» هو النوع التاسع، في المصدر نفسه، ص ١٦٥ – ١٧٤

(٣) انظر ما يلي: ص ١٠٩ – ١١٣

(٤) انظر عن العيادة، والسؤال عن حال المريض: النوع الرابع عشر من المكاتبات الإخوانية، في: صبح الأعشى ٩/٢٠٣، ٢١٢ – ٢١٧

(٥) انظر عن التعازي وأضربها: النوع الثاني من الإخوانيات، في: صبح الأعشى ٩/٨٠ – ١٠٠.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ثم ذكر أن ما سمعه من الإبلال وذهاب العلة جعله يقتصر في عيادته على المكاتبة دون الوفادة، وأنه لما عجز عن واجب العيادة أنهض رسولا يستكشف الأخبار ويُظهر المشاركة ويعتذر عن التقصير، ثم أكثر من الدعاء إلى الله «أن يجعل العارض له غائبًا لا يئوب، ونائبًا لا ينوب، والصحة حالاً لا تحول، ونعمة لا تزول...»[١]

وبدأ رسالته في التعزية بالدعاء المناسب للمقام، ثم تحدث بما يُرشد إلى الصبر ويدعو إلى التسليم، وذكر أن الله ـ تعالى ـ قد أودع في قلب المعزّى من العلم والمعرفة ما يصغر في عينيه النوائب، ويغنيه عن العظات، وأفاض بعد ذلك في الحديث عن ورود النبأ المؤلم وما أحدثه من جزع وهلع، حتى أنه «... ثلم جانب الدين، وعاد على الشريعة بالتوهين، وترك العلم منتهك الحريم، منخرق الأديم، وغادر الفضل دارس الرسوم، غائر النجوم...»، كما تحدث عن وجوب الرضا بقضاء الله والاستسلام لحكمه[٢]

وانتهى هذا الباب برسالة أقصر من السابقة، موضوعها: التعزية بالولد[٣]، افتتحها بالتعبير عن إشفاقه من المكاتبة بالتعزية، «ولكن أقدار الله ما عنها مهرب، وأقضيته ما وراءها مذهب، لا راد لها كيف اختلفت، ولا مجير عليها كيف تصرّفت»، ثم تحدث عن فداحة الخطب في ذلك الابن «على حين نضارة من عوده، وابتسام من سعوده، وتأميل من الكافة لارتفاعه وصعوده، وتشوّف من المعالي أن يرفع، كما رفع أبوه أعلامها ويتسنّم، كما تسنّم ذروتها وسنامها».

ومثل هذه المعاني التي سردتها التعزية متداولة شائعة في هذا النوع من الرسائل، يجهد كاتبها في التخفيف والتسلية وإظهار المشاركة والإكثار من الدعاء[٤]

٨ – ومن أطول أبواب «منية الراضي...» باب المداعبة والمطايبة[٥]، وفيه خمس رسائل، كتبها الهروي إلى بعض أصدقائه يمزح ويفاكه، أو لها جواب رسالة بعثها إليه شرف السادة محمد بن عبيد الله البلخي، وهو من أعلام عصره، ترجم له الباخرزي فأطنب، ووصفه بأنه سيد

(١) انظر ما يلي: ص ١١٧ – ١١٩

(٢) انظر ما يلي: ص ١٢٠ – ١٢٢.

(٣) انظر: ما أورده القلقشندي من رسائل التعازي، بدأها بكتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى معاذ بن جبل، معزيا له بابن له مات ـ صبح الأعشى ٩/٨٠ – ٨٥.

(٤) انظر ما يلي: ص ١٢٣ – ١٢٤

(٥) المداعبة هي النوع السابع عشر من أنواع المكاتبات الإخوانية ـ صبح الأعشى ٩/٢٢٥ – ٢٢٨.

kitabweb-2013.forumaroc.net

السادات وبحر العلماء وتاج الأشراف العلوية[١] وقد افتتح مداعبته بقوله: «كتابي، أطال الله بقاء السيد فالسيد، ثم الأجلّ فالأجل، والأعظم فالأعظم، والأكرم فالأكرم، والأنفس فالأنفس، والأشرف فالأشرف، وهلمّ جراً، ما وجد الخالع للحبل مجرًا، من الثناء والدعاء، والتقريظ والإطراء، وجميع ما يخرج من هذا الوعاء».

وتظهر روح المداعبة في هذه البداية التي فخّم بها صديقه، وأنزله من المنازل ما يليق به، فسرد لذلك بعض ما اصطلح عليه عصره من ألفاظ التكريم، المتدرجة المراتب، مما يراعيها الكتاب عند مخاطبة كل طبقة من طبقات الكبراء، ثم وصف الهروى نفسه بأنه الخالع للحبل، وكأنه بذلك يمهد للاعتذار متلطفا، وكان شرف السادة قد أرسل له مبتدئا، يُظهر تشوّقه ويستبطئه، يقول: «قد كنت والدار شاسعة والعوائق متناسقة متتابعة...، أتوقّع مع ذلك وصاله، وأترصّد خياله، والشوق يلتهب ضرامه والصبر هيهات مرامه...»[٢]

وخشي أن يثقل ويضجر، فاعتذر عن ذلك بأن الإفصاح عن المودة سنّة يعتادها الأحبّاء، إذا ما بعدت الشّقة وجمعتهم أواصر الأدب، فقال: «ولولا الأخذ بالسنّة في مطاولة الحبيب للحبيب، وفرحة الأديب بالأديب، وأنس الغريب بالغريب، واهتزاز المريض للطبيب، لأجللت مجلسه ـ آنسه الله ـ عن التثقيل والتطويل، والإبرام بمدّ الكلام، لكني راجعت فهمي ووهمي، واستعرضت نثري ونظمي، وشاورت نفسي، وأجلت فكري وحدسي، في آن آتي بكلام بديع بعيد ونظام ما يشك أنه نظام فريد».

وأشاد بعد ذلك ببلاغة شرف السادة، وأمعن في إعلان قصوره عن مجاراته، لأنه، لو فعل، فكأنما يروج زيفا على ناقد أو يُهدى طيفا إلى راقد أو يتعرّض للمس نجوم عالية أو يسبح في بحر تتلاطم أمواجه.

وبدأ بعد مقدمات طويلة جزء ثان من الرسالة، في أوله ما يدلّ على وصول كتاب شرف السادة: «وصل كتاب السيّد، الجليل السيد، وما أعدت السيد تكريرا، لكن تقريرا...».

ومضى يفاكه ويمزح، ويثني على فضل صديقه وبرّه وجمال رأيه، ويأمل في اغتفار ما اقترفه من زلات[٣]

---

(١) دمية القصر ١٧٧/٢

(٢) نفسه ١٥٦/٢ - ١٥٧

(٣) انظر ما يلي: ص ١٢٧ - ١٣٠.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ومن رسائل المداعبة ما كتبه إلى أبي بكر القهستاني كاتب السلطان محمود الغزنوي، وكان شاعرا مزّاحا كثير اللهو، وقد بدأ رسالته ـ وهي جواب ـ مشيرا إلى بعض ما تضمنته رسالة القهستاني ـ وهي ابتداء ـ إليه: «كتابي ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ بلا هندسة ولاهندمة، ولا تنجيم ولا فلسفة، وقد وصل كتابه المقصور على علّة الغلظة والدقّة، وصفة الكثافة والرقّة، وحديث السعة والضيق، وما يجرى في هذا الطريق، وأنا يا مولاى كما علمت في كتاب إقليدس وحلّ أشكاله، ورفع إشكاله، ووسم أغفاله، وفتح أقفاله، خفيف البضاعة، قليل البراعة، قصير اليراعة، ضيق الباع، قفر الرباع، أدلّ بذهن كليل، وفهم عليل، وزند كاب، وحدّ ناب، وطمع آب، يدخل عليه العجز من كلّ باب».

وواضح ما في ذلك من دعابات وراّها بألفاظ بعض العلوم الهندسية والفلكية، وأشار فيها إلى كتاب إقليدس وما تضمنه من أشكال وإشكالات.

وألمح إلى لهو صديقه ومجونه، بمثل قوله: «أوما استحييت أن تذكّرني عهدا مضت أيامه، وانقضت أجوره وآثامه، ونسي حلاله وحرامه، ودرست رسومه وأعلامه، فذكرت دقّة الخصور والشفاه، وضيق العيون تحت سعة الجباه، واعتناق الأحباب، وما يليه من الأسباب، وما يسمّى أو لا يسمّى مما يظهر وإن كان يعمّى...».

وأكثر من التلميحات والإشارات، فتردّد فيها ذكر: عنقاء مغرب، وابن آوى، والنسناس، وجرى ذكر أبي نواس والنمرى الشاعر، وعرض في مجال مداعباته لأسماء بعض النحويين المشهورين[1]

وله رسالة قصيرة داعب فيها صديقا له يسمّى أبا سهل الزوزني ، وأظهر شوقه ووصف آلام الفراق، وأطرف ما في هذه الرسالة بيتان من الشعر تضمّنا شطر بيت ذائع لسحيم عبد بني الحسحاس، وهما:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا ... وثالثه جرّت عليّ الدواهيا
فراقك ـ وهو الخطب ـ أفقدني المنى ... وسمّج في عيني وقلبي الملاهيا[2]

وبدأ هزلية رابعة إلى صديق له بقوله: «وصل كتاب الشيخ جدّا صِراحا، لا يعرف هزْلا ولا مِزاحا، فالحمدُ لله على الوقار المجلوب بالأوقار...».

(١) انظر ما يلي: ص ١٣١ – ١٣٥.
(٢) انظر ما يلي، ص ١٣٦.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ويبدو أن صديقه هذا كان عابثًا لاهيًا. فقد عرض به الهروى وألمح إلى بعض مآخذه، ولعلها ورطة أوقعها فيها مجونه، قال: «ثم تذكّرت ما لحقه من الوعد والوعيد، حتى نسب إلى الزندقة مرة وإلى الخلاعة ثانية وإلى الجهالة ثالثة وإلى قلّة المبالاة رابعة، ولقى كلّ عذاب بئيس، ورمى بكلّ داهية دَرْدَبيس، ولو لم يتداركه القاضى، لكان الباقى أكثر من الماضى».

ثم عبر فى رسالته ـ وهى جواب ـ عن شوقه لصديقه، ووعده بأن يأخذ له بثأره بعد أعدّت العدة و«شحذت الصرائم، وصقلت الصوارم، وذرّبت الأسنّة، وشدّدت الأعنّة، وضُمّرت السلاهب، وكتّبت الكتائب، ودبّرت العجائب...».

وهو فى رسالته هذه يستشهد بأشعار سائرة للخنساء وأبى تمام والبحترى والمتنبى وابن أبى البغل، ويضمن كلامه النثرى بشعر لبشار، ويلمح تلميحاً خفيا إلى شعر ماجن لدعبل بن على، ويدعو للشاعر أبى حكيمة بالرحمة!![1]

وقريب من موضوع هذه الرسالة هزلية ختم بها باب المداعبة والمطايبة، كتبها إلى شخص اسمه: محمد بن جعفر، أكثر فيها من الممازحات والإشارات، من مثل قوله يعلق على بعض الأعلام، أو يسرد طائفة من التعبيرات التى تقال للدلالة على الشهرة والذيوع: «والجواب طىّ هذا الكتاب، كتبته بالأمس وهو آخر يوم من تشرين الأول سنة ألف وكذا، لذى القرنين والأذنين والعينين واليدين والرجلين، ثم أدركنى الكسل الذى تعرفه، والضعف الذى لاتجهله... وهو على كل حال فصّ الخاتم، ودرّة التاج، وطُرّة النساج، وبصلة السِّكباج، وبسملة الكتاب، وفذلكة الحساب، وواسطة القلادة، وبيت القصيدة، وقبة العصيدة، وبيضة البُقيلة»[2]

وما سبق عرض لرسائل المداعبة، كتبها الهروى إلى أصدقائه الخلصاء، فمزج فيها بين جدّ وهزل دونما إسفاف أو إيلام، واعتمد فيها على ما استطرفه من النوادر وما استغربه من العبارات، وأظهر طلاقة نفسه وقدرته على الفكاهة ورغبته فى التخفيف من ثقل العبوس، «ومعانى المداعبات التى يستخدمها الإخوان غير متناهية والأغراض التى ينتظمها المزاح وتعدّ من طلاقة النفس لا تقف عند قاصية: لأنها مستملاة من أحوال متباينة ومأخوذة من أمور غير معينة، وحصرها فى رسوم جامعة يستحيل»[3]

(١) انظر ما يلى: ص ١٣٧ - ١٤٠

(٢) انظر ما يلى، ص ١٤١ - ١٤٣

(٣) صبح الأعشى ٩/٢٢٥.

kitabweb-2013.forumaroc.net

٩ – و«الأوصاف والتشبيهات» عنوان الفصل التاسع، وفيه ثلاثة موضوعات، أولها فى وصف الكتب، وثانيها فى وصف القلم، وثالثها فى وصف رحلة صيد.

وبدأ وصفه للكتب بقوله: «تأملت الرقعتين اللتين هما فى الحسن توأمان، وفى الفصاحة رضيعا لبان، فوجدتهما روضتين تفتحت أنوارهما، وأينعت ثمارهما، وتفتّقت أزهارهما، وتسلسلت أنوارهما، فثمرات العقول منهما تجتنى، وذخائر الكتابة من غرائبهما تقتنى، وكواكب الآداب منهما تطلع، ومسك الفضل من جوانبهما يسطع».

وعلى هذه الشاكلة وصف الألفاظ والخطوط والنثر والنظم ، وترددت فى تشبيهاته وصوره كلمات، من مثل: الروض، الجنان، النبات، الثمار، الأغصان، الأزهار، الأنوار، الورود، الريحان، الشقائق، الكواكب، النجوم، البحر، المياه، الغمام، المطر، القطر، الطلّ، الشمس، الزمان، الربيع، السحر، الضياء، النسيم، الشمال، الصّبا، الغُرر، الطرر، الصدر، الثغور، الخدود، المسك، الكافور، الجواهر، العقيان، الدرر، العقود، الدنانير، أيام الشباب، عهد الصّبا، ساعة الخيال، عهد الأحباب، دمع المستهام...

وهو – كعادته – يبالغ ويهوّل، فإذا أراد أن يثنى على نثر، وصف بأنه «يُربى على كلّ نظم، ويُحيّر كل طبع وفهم، ويعزل كل كاتب، ويخمد كلّ نجم ثاقب». وإذا أثنى على شعر ذكر أنه «يكسو الدهر ملابس الجمال، ويقلّد الشعراء عقود الخزى والإذلال». أما الخطّ عنده، فهو: «كأعلام المطارف وطرر الوصائف»[1]

أما الرسالة الثانية فقد كتبها إلى صديق له استهداه أقلاما، فأسهب فى وصف القلم، وأجاد واقتدر على إظهار أثره – أو أثر اللغة المكتوبة المدونة – فى حياة الناس، وفى حفظ العلوم والمأثور[2]، وقد ذهب القدماء إلى أن العادة قد جرت أن تودع هذه الرسائل من أوصاف الشيء المُهْدَي ما يُحسنه فى نفس المهدى إليه، ولكنهم حذروا من تفخيم الهدية أو الإشارة إلى جلالة خطرها، «فإن ذلك يخلّ بشروط المروءة، وتتحاماه الكرماء»[3]

وأنهى هذه الرسالة بقوله: «وقد حملت إليه عشرة أقلام مسعودة المطالع، كثيرة المنافع ،

(١) انظر ما يلى: ص ١٤٧ – ١٥٠

(٢) انظر فى استهداء الأقلام وإهدائها: الصنف الأول من الضرب الثانى من النوع الثالث (التهادى والملاطفة) من المكاتبات الإخوانية – صبح الأعشى ١٢١/٩ – ١٢٢.

(٣) صبح الأعشى ١٠٠/٩.

kitabweb-2013.forumaroc.net

صليبة المكاسر، رائقة المناظر، معتدلة الأوصاف، مستوية الأوساط والأطراف، لم يعبْها كثافة ولا رقّة، ولم يشنها غلظ ولا دقة.

كـالرمح أذرعـه عـشـر وواحـدة وليس يزرى به طول ولا قـصـر»[١]

أما القطعة الوصفية الثالثة فيبدو أنها فصل من رسالة في وصف رحلة صيد[٢]، وهو موضوع من الموضوعات التي عنى بها الكتاب في مختلف العصور[٣]

تحدث فيها عن الخروج مع رفاقه للصيد في الصباح، حيث الروابي وعيون المياه، ومعهم خيول صيد أصيلة قوية لا تبارى سرعة وقدرة على اللحاق بالظباء والأوعال، وكان الصيد في وقت الربيع الذي مسّ سحره كلّ مظاهر الكون، «وقد تصندل الماء، وتمسّك الهواء، وصفت الراح في الدنان، وحكاها المـاء في الغـدران، وفي كلّ قلب طرب، وفي كل أفق للسـعـود مضطرب»(٤).

١٠ – وآخر أبواب «منية الراضي ...» فصول متفرقة في التصديرات والأدعية.

ويراد بالتصديرات ابتداءات الرسائل وافتتاحاتها، والكتاب ـ والشعراء والخطباء أيضًا ـ مطالبون بإحسانها، «فإنهن دلائل البيان[٥]، ومن رسوم المكاتبات أن يكتب المرسل بذكر السلامة وصفة الحال، وربما يترك ذلك مراعاة لمنزلة المخاطب إجلالا له وتعظيما[٦]

ويبدأ هذا الباب بفقرات قصيرة في ذكر السلامة بلغ عددها ثلاث عشرة، مما تفتتح به الرسائل، أولها: «كتابي عن سلامة واكفة القطر، ضاحكة الثغر، ناضرة العود، باسمة السعود، مبيضّة الآفاق، مخضرّة الأوراق، منتظمة الأوراق، منتظمة العقود، مبتسمة السعود، رفيعة العماد، ثابتة الأوتاد، صافية المشارب، وافية الذوائب».

واستبدل بلفظة: «سلامة»، لفظة: «حال»، في قوله الذي عهد فيه إلى المجانسة اللفظية:

(١) انظر ما يلي: ص ١٥١

(٢) انظر: رسائل الصيد وهي الضرب الثاني من الرسائل الملوكية ـ صبح الأعشى ١٦٥/١٤ – ١٧٢

(٣) لعبد الحميد الكاتب رسالة في وصف الصيد ـ انظر جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت (ط٢ ، الحلبي، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ٤٦٤/٢ – ٤٦٧.

(٤) انظر ما يلي، ص ١٥٢ – ١٥٣

(٥) انظر: الصناعتين، ص ٤٣١.

(٦) نفسه، ص ١٥٩.

kitabweb-2013.forumaroc.net

«عن حال مخضرّة المراد، جارية على المُراد، صافية الوِرد، ضاحكة الوَرد، منتظمة العقد، منبرمة العَقد».

وربما لايزيد ذكر السلامة عن بضعة ألفاظ، في مثل قوله: «عن سلامة، أنجمها سعود، ومشربها عذب برود»[١]

وصدر بعض الرسائله بذكر الحال، كقوله: «كتبت، وعادة الله عندى جميلة، وظلال نعمه عليّ ظليلة، وأنياب النوائب عنى كليلة، والحال ببركة أيامه، وفي ظل إنعامه، وما اتّصلت به البشائر من إقباله، في اطّراد أحواله، وتحقّق أمانيه وآماله، كالعقد يوم نظامه، والروض غبّ رهامه...».

ثم اتبع ذلك بحمد الله ، فقال: «والحمد لله الذى أعطى فأجزل، وصنع فأجمل...»

أعقبه بالسلام، وهو أيضًا مما تفتتح به الرسائل: «وعليه سلام لا تضيق نواحيه، ولا تقصر حواشيه».

وختم هذا الفصل بعبارات مختلفة تقال عند السلام، مثل: «سلام يقصر عنه المسك ذكيًا، والورد جنيًا».

ومثل: «سلام كمهدى له نضرة، وشوقى إليه كثرة»[٢]

أما الأدعية التى يدعى بها للمخاطب. فهى كالتصديرات تتطلب إحسان التعبير ومراعاة المراتب وتخيّر المناسب لكل غرض، ويظهر من سياق ما كتب تحت عنوان: «فصل في الأدعية» أنه دعاءان طويلان، أولهما: «أدام الله تأييده ودولته، وأسبغ عليه نعمته، وأجزل من الخيرات سهمته... ولا أخلاه من نعمة سماؤها ثرّة، ورياضها مخضرّة...».

وثانيهما: «أعاذه الله ـ تعالى ـ من عين الكمال، وأدام له ما أفاض عليه من الجمال...»[٣]

وتحت عنوان «فصل» ترد عبارات كثيرة فى الدعاء بالبقاء والدوام، واضح منها أنها بضعة أدعية، ضمّ كلّ منها إلى الآخر، منها:

---

(١) انظر ما يلى: ص ١٥٧ – ١٥٨

(٢) انظر ما يلى: ص ١٥٩

(٣) انظر ما يلى: ص١٦٠.

kitabweb-2013.forumaroc.net

* «لازالت الآمال به منوطة، ويده بالمكارم مبسوطة...»

* «والله ـ تعالى ـ يبقيه لعارفة يقلّدها، وأحدوثه حسنة يخلّدها...»[١]

واختتم الباب العاشر بـ «فصل في الدوام»، ويراد به تلك العبارات التي يستعملها الكاتب في معاني إطالة البقاء مع دوام الخير أو العلو أو العافية...، من مثل:

* أبقاه الله ـ تعالى ـ في «كذا».

* ما صدحت حمامة ، وسفحت غمامة.

* ما بثّ الليل دجاه ، ونشر الصبح سناه.

* ما بلّ الريق فما ، والمداد قلما.[٢]

* * *

وقد اشتملت رسائل «منية الراضي...» على ابتداءات وأدعية متنوعة، افتتح بعضها بلفظ «كتابي» أو «كتبت»، ثم أتى بعده ذكر السلامة أو بيان الحال أو الدعاء[٣]، وافتتحت رسائل أخرى بأشعار ثم جرت على الطريقة نفسها[٤]، وقد توسط الدعاء صدور بعض الرسائل بعد الابتداء بكلام مناسب للحال[٥]، فلكل رسالة أغراضها ومعانيها التي يتقيّد بها الكاتب من البداية إلى النهاية، والجودة مرهونة بالاقتدار على الربط بين الابتداء والخاتمة وما بينهما من المعاني ذات الفصول أو الفقرات المتناسقة، ليبدو كل جزء ممهّدا لما بعده، مكمّلا لما سبقه، محقّقا لغرض الرسالة، مشاركا في رسم صورتها كاملة مستوية البنية.

* * *

(١) انظر ما يلي: ص ١٦١ - ١٦٢

(٢) انظر ما يلي: ص ١٦٣

(٣) انظر: ص: ٥٢، ٦٠، ٧٠، ٨٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٣١، ١٤١، ١٥٧، ١٥٩.

(٤) لنظر: ص ١٠١

(٥) انظر: ص ٤٧، ٦٥، ٧٥، ١٥١.

kitabweb-2013.forumaroc.net

(ب) دراسة فنية:

رسائل «منية الراضي...» نثر عاطفي تميز بإخراج فني طغى عليه وشكّل النصيب الأوفى من عناصره ذلك أنه يهيم بتشذيب الألفاظ وتوشية العبارات وتجويد المعاني وتوفير الصور ووسائل الإيقاع والانسجام الصوتي، بقصد التقوية أو المبالغة أو الإمتاع أو غير ذلك من الأغراض الجمالية، ولذلك يشيع فيه البديع، وبخاصة السجع، يتقيد به تقيدا صارماً، كما تشيع فيه المترادفات والمعاني المتكررة والتراكيب المتعاطفة، وتتنوع الصيغ والعبارات وفواتح الجمل، وهو نهج في الكتابة يعكس روح عصرها، ويمثل لونا من ألوان المزاج الفني، له متذوقوه، قد ينزلق فيه بعض الكتاب إلى هاوية القبح والرداءة حين لاتسعفهم قدراتهم، أو حين يعمدون إلى الألفاظ الغريبة القلقة وإلى الموازنات الشكلية بين العبارات جذبا للأسماع وسترا للمعاني العاجزة الضعيفة، وليس الهروي كذلك، فلم يكن هدفه حشد الغريب والتباهي بالقدرة عليه، بل هو حريص على انسجام عباراته وجمال رصفها، في أساليب سهلة سليمة خالية من المبتذل العامي أو الخارج من الفصيح المتفق عليه، وأمّا ما يظهر في ألفاظه من غرابة، فمقبول غير بعيد، يعوّل فيه على ثقافة المتلقي، فهو كما يظهر من رسائله متمكن صاحب دراية بالعربية: ألفاظها وأساليبها، قديمها ومولدها، لا تخفى على مثله الديباجة العربية الخالصة، يمدّه مدد وافر من طبع موات، وتراث سبقه نقديّ ولغويّ يدقّق في الخبايا ويجنّب الوقوع في المآخذ، وربما يرى القارئ ـ وهو محقّ ـ أن المعاني التي يعبر عنها ضئيلة قليلة، وأنه يعمد من أجل ذلك إلى تهويلها والمبالغة فيها، يستعين على ذلك بما يحشده حشدا من الصور، تختلف مصادرها، ولكنها تتلاحق وتتابع، يأخذ بعضها برقاب بعض،وقد يجد بعض المتلقين فيها متعة وجمالا وإرضاء لأذواقهم، بينما يجد فيها آخرون تصنعا وتكلّفا وافتئاتا على فن أدبي آخر تلائمه هذه الصور، إذا ما افتن فيها، وهو الشعر. ومن أمثلة ذلك قول الهروي يهنئ وزيرا بولاية الوزارة: «... فالحمد لله الذي أطلع النجم بعد أفوله، وروّى العود قبل ذبوله، وأجرى الماء بعد نضوبه، وأدنى العزّ قبل غروبه، وزيّن الأصل بالثمر، وحلّى البرج بالقمر، وآنس العرين بالأسد، وأهدى الروح إلى الجسد، ونسخ ظل الليل بنور الشمس، ومحا بسعد اليوم نحس الأمس، ووصل فرع المجد بالأصل، وجمع بين الحلى والنصل...»[1] فالصور هنا تتوالى، تلح على تأكيد معنى الفرحة بالوزير الجديد، وما أحدثته ولايته من رد للأمور إلى نصابها، فقد

(١) انظر ما يلي: ص ٥٥.

kitabweb-2013.forumaroc.net

طلع النجم، وروى العود، وجرى الماء، وقرب العز، وظهر الثمر، وأسفر القمر، بل كأن الوزير بوزارته أسد أنس به عرينه، أوروح أهديت إلى جسدها، أونور شمس محا ظلام ليل...

وعلى هذا النمط من التعبير تجرى «منية الراضى...»، لا تغادره إلا فى القليل النادر، يقول الهروى أيضًا فى تهنئة أحد القضاة بولايته: «ولابدع، فإنه من لا ينظم المجد إلا بخلاله، ولا يعرف الكرم إلا من أفعاله، ولا توجد المحامد إلا فى شرائعه، ولا تنشق المعالى إلا من طبائعه، ولا تحلى صدور الأيام إلا بفضله، ولا تتفرع أفنان الشرف إلا من أصله، ولهذا ألقى (السلطان) أزّمة المظالم إلى حكمه»[١] ومثل هذه الصور والتعبيرات فيها من المبالغات والشطحات ما فيها، فقد جردت من القاضى شخصًا لاندّ له، يبذ الجميع مجدا وكرما وفضلا وشرفا، فلا محامد إلا لديه ولا معالى إلا منه.

وواضح ما فى كلامه من غلو وإفراط، وخروج عن حد الاعتدال، مغ أن الإغراق فى الشكر معيب يحمل على التملق الذى لا يليق، وإنما يحسن الاختصار والإتيان بالألفاظ الوجيزة الجامعة للمعانى، «وذو الطبع السليم، والفكر المستقيم يكتفى بيسير التمثيل»[٢]، وقد وقع الهروى فيما عابه القدماء وحذروا منه، فتمادى فى المبالغة، ووصل بها إلى المدى، حتى يحار قارئها فى تعليلها: هل كانت رياء ومداهنة؟ أم طريقة تعبير فحسب، جرى فيها كاتبها على ما يستسيغه أهل عصره، أو ما يجرى عليه الخيال إذا ما أبعد؟

ومن المبالغات غير المقبولة أن يشفع لمشفوع له، فيصفه بقوله: «وتصل هذه الأحرف من جهة «فلان» وهو من إذا شاهده الشيخ شهد أن الفضل له بقيّة، وأن الأدب رتبته بعد عليّة، وصادف منه أديبا يبذّ الأدباء ، وشاعرا يسبق الشعراء، وفاضلا يصغر اختباره أخباره، وترفع نفسه مقداره، ورأى من حسن أخلاقه ما يدلّ على طيب أعراقه، هذا وهو من الشرف بالقلّة الشمّاء، والذروة العلياء، فإنه من أفق الرسالة طلع، ومن نبعة النبوّة نبع، ومن دوحة الإمامة تفرّع، وقد أصحبته هذه الأحرف دالا على حاله، ومستدعيا له الحظّ الأوفر من رأى الشيخ وإفضاله، وإذا تطوّل به جرى على سنّة طالما سارها، وطريقة من المجد قديما رفع منارها»[٣]

وتضج فصول الشوق والحنين من ثقل الإغراق، فلا تعبر إلا عن عواطف يُمرضها التهويل،

---

(١) انظر ما يلى: ص ٦١

(٢) صبح الأعشى ١٨٣/٩

(٣) انظر ما يلى: ص ٨١ وانظر أيضًا: ما أورده صبح الأعشى ١٢٤/٩ - ١٢٥ من شروط الشفاعات البليغة.

kitabweb-2013.forumaroc.net

من مثل: «جمعت الأماني فكانت نجوما وكان بدرها، ونظمت اللّذات فكانت عقودا وكان واسطتها، فجعلته نصب عيني أتسلّى به عند استيلاء الشوق على قلبي، وأطفئ بتأمله نيران الوجد إذا التهبت في صدري، وسررت به سرور من وجد ضالّة عمره، وأدرك جميع أمانيه من دهره، وأنست بتصفحه أنس الرياض بانهمال القطر، والسارى بطلوع البدر، والمسافر بتعريسة الفجر، والعاشق بانقضاء أيام الهجر...»[١]

وقد تحدث القدماء عمّا يشترط في التشوّق، فذكروا أن الكاتب مع ما يتوسّل به من المعاني اللطيفة والألفاظ العذبة ينبغي عليه الإيجاز والعدول عن سبل الإطناب والإكثار لئلا يستغرق جزءا كبيراً من الكتاب فيملّ ويضجر، وينتظم في سلك الملق والتكلّف اللذين لايعتادهما المتصافون من الأصدقاء[٢]

وعلى مثل هذه الأساليب يقول وهو يعود صديقا: «اتصل بي خبر علّة علّته، وعارضة اعترته، فكدت أطير قلقا، وكاد فؤادي يعود فلقا، وقابلني الدهر بوجه أربد، ولبست على الدنيا نقابا أسود، وتقلقلت أحشائي واضطربت، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت...»[٣]

ويقول في وصف الألفاظ مبالغا: «ألفاظ لو مدح بها القرد لحسن، ولو ضمّت إلى القلب الخافق لسكن، ولو وردت البحر الأجاج لأصبح عذبا فراتا، أو عرضت على الميّت البالي لاستفاد حياة، ولو أنها من الجواهر لكانت عقيانا، أو من النبات لكانت ريحانا، ولو كانت زمانا لكان ربيعا، أو من السائلات لكانت دموعا، ولو أمست نجوما لما خمد ضياؤها، أو عيونا لما غار ماؤها..»[٤]

والمرجح أن مثل هذا النثر، لما يحمل من إغراق يخالف المعقول، وإخلال فيما لا ينبغي فيه الإخلال، لم يحظ بعناية مصنفي الرسائل، فخمل وقل غناؤه.

ولكن الهروى ـ على أية حال ـ يبدو في كتاباته هادئ النفس يسترسل على سجيته، فتنبسط أمامه الدنيا ولايترك وسيلة يظهر بها عواطفه إلا التمسها، ومن المحقق أن بعض عباراته لا تخلو من حرارة الصدق، والبعد عن غلواء التكلف، لعل منها قوله يصف ألم الفراق: «قد بليت بفراق من أودع قلبي فنون الحرق، وعرّف بين عيني والأرق، وعلّمني كيف تصير حبرة

(١) انظر ما يلي: ص ٩٥ – ٩٦
(٢) صبح الأعشى ١٤٢/٩٩
(٣) انظر ما يلي: ص ١١٧
(٤) انظر: ما يلي: ص ١٤٧.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الأيام عبرة، وكيف تنقلب فرحة الوصال بالفراق ترحة... وأغرى بي الشوق فلزمني وفلزمته، وألّف بيني وبين الوجد فألفني وألفته، فلا أسلك للعزاء طريقا إلا وجدته مسدودا ولا أقصد للصبر بابا إلا ألفيته مردودا، ولا أعدّ اليوم بعد فراقه إلا شهرا، والشهر دون لقائه إلا دهرا»[١]

وفي عباراته ـ وهو قاض فقيه ـ آراء عامة عن الحياة والناس، لو انتزعت من أماكنها لخلص منها بعض النظرات الحكيمة المجرّدة، مثل قوله في صفة الحاكم وما ينبغي له من قدرة على تصريف الأمور: «الحاكم يزين الأعمال ولاتزينه، ويحسّن الرتب إذا ترقّى إليها ولا تحسّنه»[٢]

وقوله عن تفاوت مراتب الشكر بتفاوت الأقدار: «للصنائع منازل تختلف، وللعوارف مراتب لا تأتلف، فمنها ما يقضي الشكر حقّه يدا بيد، ويصادفه نقدا بنقد، ومنها ما يكون كثير الشكر في جنبه قليلا، وينثني لسان النشر عنه كليلا»[٣]، وقوله في مجال الحديث عن الصداقة الحقّة: «والودّ الخالص إذا شابه التكلف شانه، والعهد الصحيح إذا مازجه التصنع صغر شانه»[٤]

ومنصور الهروي كاتب محسن مجيد ذو مكوّنات ثقافية متعددّة تمدّه بالغزير الوفير، فيظهر أثرها في كتاباته ولا تقتصر هذه المكونات على ما يثقفه من العلوم الدينية، ولكنها تمتدّ لتشمل الموروث كله: شعره ونثره وأمثاله وأخباره وحكاياته وخرافاته... وغني عن البيان أنه في رسائله يستمد من القرآن الكريم فيستشهد بآياته أو يقتبس منها، كقوله في وصف ما حاق بالأعداء: «وقضى على جدودهم بالسقوط، وعلى دولتهم بالهبوط، وعلى ذكرهم بالخمول، وعلى نجمهم بالأفول، وأبان لهم أن الله ـ عزّ اسمه ـ محيط بالظالمين، مرصد مكره للخائبين، إن الله لايهدي كيد الخائنين، ولايصلح عمل المفسدين، ولايرد بأسه عن القوم المجرمين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين»[٥]

وقد درج الكتاب على أن يمزجوا رسائلهم الإخوانية بأشعار يؤلفونها أو يقتبسونها، وكان الهروي، وهو شاعر، يجيد هذا الجانب من جوانب الأخذ من التراث الشعري لخدمة ما يريده من المعاني، فاكتظّت أكثر أبواب «منية الراضي...» باستشهادات من هذا التراث، وأكثرت من

(١) انظر ما يلي: ص ٩١ – ٩٢
(٢) نفسه: ص ٦١
(٣) نفسه: ص ٦٦
(٤) نفسه: ص ٩٨.
(٥) نفسه ص ٥٠.

kitabweb-2013.forumaroc.net

شعر أبي تمام والبحتري، كما استمدت من شعر: أبي صخر الهذلي وإسحاق الموصلي وإبراهيم اليزيدي وأشجع السلمي وابن الدمينة وأبي نواس وابن المعتز والمتنبي وابن نباتة السعدي وغيرهم، ولكن أكثره غير منسوب إلى قائليه، ومن المواضع القليلة المنسوبة، قوله يمدح: «وأسمع الناس ينشدون قول الحكمي:

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقول البحتريّ:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عدّ ألف بواحد

فأحسبهما لغوا من الكلام ليس وراءه طائل، وهذرا من القول ما معه حاصل، حتى شاهدت منه ماصدّقهما، وثبّت قواعدهما وحقّقهما»[١]

ووضع الهروي بائية تمام في فتح عمّورية نصب عينيه، وهو يصف أحد الفتوحات، فنثر بعض معانيها، كقوله: «وما قيض الله ـ تعالى ـ للأمير فتحا تختم به الفتوح، وتغدو بأنبائه الركبان في الخافقين وتروح، إلا شهدت الظنون والعقول وتيقن الفاضل والمفضول، أنه زبدة الحقب التي تضرب بها الأمثال، ولاتتعدّاها الأوهام والآمال»[٢]، وقوله: «وجعل هذا الفتح الجسيم، والأمر العظيم، فتحا برزت له الأرض في أثوابها القشب، وتعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب»[٣]

ومن تلميحاته[٤] وإشاراته إلى الأبيات السائرة قوله من فصل فكاهي يشير إلى لامية كعب بن زهير: «ولعل السيد يقول: هذا الشيخ قد خرف، وهذا أمر قد عرف، وأنا به معترف، وغيري للذنب فيه مقترف، فإن قال فمقبول، وإن عفا فالعفو عند رسول الله مأمول»[٥]، وقوله أيضاً مفاكها يشير إلى بعض الخرافات وإلى شعر أبي نواس: «هذا من حديث عنقاء مغرب الذي يرويه أهل الجهل، وآوى يرى ابنه، ولم ير آوى في الحزن والسهل»[٦]

---

(١) انظر ما يلي: ص ٧٦

(٢) نفسه: ص ٤٧ – ٤٨.

(٣) نفسه: ص ٥١.

(٤) التلميح: «أن يشير (الكاتب) في فحوى الكلام إلى مثل سائر، أو بيت مشهور، أو قضية معروفة، من غير أن يذكره» ـ الشهاب الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل (ط هندية، ١٣١٥هـ) ص ٨٨.

(٥) انظر ما يلي: ص ١٣٠

(٦) نفسه: ص ١٣٢ – ١٣٣.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وقوله في ختام رسالة فكاهية أيضًا يحيل إلى شعر بشار: «وما عرفت الجاني فعرّفنيه، وقد تمّ، ودلّني عليه ولا تهتمّ، ونبّه لها عُمرا، ثمّ نم»[١]

وافتتح وصفه لرحلة صيد باقتباس من شعر ابن الرمي: «خرجنا وقد كست الشمس الأرض بردا مسمعا، ونفّضت على الأفق الغربي ورسًا مذعذعا، إلى رابية مشرفة على السهول والأوعار، تسافر بالأبصار في الأقطار»[٢]

واختتم بعض عباراته بمثل شعري متداول: «فإن كان حلّ العقد، ونسي العهد ـ وما أظنّه ـ فما الذي دعاه إليه، وحدا عليه؟ وإن كان على الإخاء مقيما، وعلى سنن الوفاء مستقيما، فما العذر من هذا الهجران، الذي كان يجانس فيه أبناء الزمان؟ و(لعل له عذرا وأنت تلوم)»[٣]

وقد أكثر من مثل هذا الاقتباس أو التضمين، وعمد أحيانا إلى التلميح دونما إلغاز أو تعمية.

وأظهرت مداعباته قدرة على الهزل والإطراف، وهو فنّ لايبرع فيه إلا ذو الطبع المواتي الذي يطوّع أساليبه فيباسط ويتلطّف دون أن يفسد المعاني أو يخلّ بما يتطلبه الذوق السليم، ومن ممازحاته أنه عمد إلى التعليق على بعض أسماء الأعلام متفكّها، فقال عن الشاعر منصور ابن سلمة النمريّ: «... فإني تحت قول النمري، من ولد النمر بن قاسط، ولا أدري لم قلبت ميمه من الكسر إلى الفتح، ولا أشك أن له علّة جليّة، فإن كانت موجودة في خزانة حكمتك فاجعلها لي هديّة، أعتقد لك عليها منّه سنيّة، وأعدّها منك نعمة هنيّة، وإن بخلت أوتباخلت، أو غفلت أو تغافلت، لحقك لوم وعذل، ولم يقبل منك صرف ولا عدل...»[٤]

وقال في موضع آخر أثبت فيه أسماء بعض الأعلام، معظمهم من النحويين، وذكر لكل علم مرادفا أو ضدًا أو نظيرا: «... فرضي الله عن شيخنا سيبويه أو جلبويه، وسقى تربة أخينا نفطويه أو دهنويه، ونسي الله من نسي إمامنا شمر بن حمدويه أو ذمّويه، وجزى خيرا من ترحّم على عمنا ابن خالويه أو عمّويه، ولم يبق ممّن أذكره غير خالنا مسكويه أو عُودويه، لا إله إلا

(١) انظر ما يلي: ص ١٤٠
(٢) نفسه : ص ١٥٢
(٣) نفسه: ص ١٠٣
(٤) نفسه: ص ١٣٣.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الله! كيف سقط عني ذكر ابن الدرستويه أو شكستويه؟...»[١]

واستشهد بشعر ابن أبي البغل في التشوّق، فسخر من اسمه، وقال: «... ولو كان ابن أبي الفرس لكان أدنى من الفضل، ولكنّها الأسماء والكنى، ولا خصومة في الشهوات والمنى...»[٢]

* * *

(١) انظر ما يلي: ص ١٣٤ - ١٣٥.
(٢) نفسه: ص ١٣٨.

kitabweb-2013.forumaroc.net

خاتمة

أبو أحمد منصور بن محمد الهروى ـ كما يلقانا في «منية الراضي في رسائل القاضي» ممن هنأوا، وشكروا، ومدحوا، واشتاقوا ، وعاتبوا، وشكوا، واعتذروا، وواسوا، وتشفّعوا، وداعبوا ووصفوا ما خالج أفئدتهم، ووقعت عليهم حواسهم، وكلها مواقف شائعة ومشاعر متداولة يعرض مثلها أو ما يشبهها لأكثر الناس على اختلاف الأزمنة والبيئات، اتخذ لها الهروى نوعا من الأنواع الأدبية المعروفة ذات التقاليد الراسخة فى تراثنا العربى منذ القدم، وهو الرسائل، وقد تنوّعت لديه موضوعاتها وتفاوتت طولا وقصرا، وجدّا وهزلا، وأغرقت فى استخدام التشبيهات والصور إغراقا أدّى بها إلى التهويل والمبالغة فى مواضع كثيرة، ولكن كاتبها دلّ على ثقافة لغوية مسيطرة على الألفاظ والعبارات وحس دقيق مكّنة من الملاءمة بين ما يرغب فى التعبير عنه من المعانى وما يرغب فيه من السجع وسائر أصناف البديع الأخرى، كما دلّ أيضًا على حسن استخدام لما يثقفه من التراث العربى: شعره ونثره وأمثاله وحكاياته وخرافاته.

ولاجدوى من قول القائل إن مثل هذا النثر إنما هو كلام نمطى، فيه من الشكل أكثر مما فيه من المضمون، أو إنه لا يقدم غير قوالب جاهزة للصبية أو صغار الكتبة، ممن يراد لهم المران والتقويم، فذلك حكم جائر لا يقوم عليه دليل، لأن من اليسير أن يقال أيضًا إن الصلة بين الهروى وكتاباته، هى نفسها الصلة التى تنشأ ـ ابتداء ـ بين الإبداعات الأدبية ومبدعها حين يعانى التجارب ويعايش المعانى، ثم يسلك سبيله المتميز، ويتوسل بأدواته الخاصة، حتى تخرج كتاباته على الصورة التى يأنس إلى صدقها ووفائها، ويراها بعين بصيرته الأسلوب الأمثل فى الإفصاح والإبانة.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وصف نسخ المخطوط

النسخة الأولى:

نسخة مصورة بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، رقمها (ف ٢٠/٦٣، المدينة المنورة) مأخوذة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة عارف حكمت، تحت رقم (٢٧١ مجاميع). عنوانها: «كتاب منية الراضي في رسايل القاضي أبي أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي رحمه الله عليه».

ثم ورد بعده دون فاصل: «برسم مطالعة خدمة الأمير الكبير ناصر الدولة والدين مجد الإسلام والمسلمين الحسين بن محمد الجعفري الطغرائي أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره»

وعدد لوحاتها ست وأربعون، كل منها ذات شطرين، في كل شطر خمسة عشر سطرا.

وقد خلت من التملكات، ولم يرد فيها اسم ناسخها أو تاريخ نسخها، والتقدير أنها منسوخة في القرن التاسع الهجري.

وكتب الناسخ في آخرها: «تم الكتاب بحمد الله ومنه والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين».

وتعدّ هذه النسخة أهم النسخ وأكثرها إفادة، لما تميزت به من ضبط وإتقان، فقد كتبت بخط نسخي جيد يتّسم بالوضوح والسلامة ، وقلة الأغلاط الإملائية والنحوية، ولكنها لم تسلم من بعض التحريف أو التصحيف أو السقط.

ويرمز لهذه النسخة بالرمز: «م».

النسخة الثانية:

نسخة مصورة، مأخوذة عن الأصل المحفوظ بمكتبة برلين، تحت رقم (٨٦٤٧).

وهي ضمن مجموع يحوي عدة كتب، وموقع «منية الراضي...» فيه، هو اللوحات ٢٢٩ - ٢٤٩ (ويبدو أنه ترقيم مكتبة برلين)، وعددها إحدى وعشرون، كلٌّ منها ذات شطرين، في كل شطر عشرون سطرا.

وليس لهذه اللوحات عنوان يسبقها، وإنما يظهر اسم الكتاب من مقدمة أبي الفضل الميداني، جامع رسائل الهروي وواضع التسمية، ولكنها بعنوان: «منية الراضي برسائل القاضي».

وصرح الناسخ في نهاية المخطوط عن اسمه وتاريخ نسخه، فكتب: «تمت الرسائل

kitabweb-2013.forumaroc.net

والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيّ بعده بقلم الفقير الحقير أقل عباد الله ابن عبد محمد عبد الرضاء الحسنى الشوشترى فى عصر يوم الأحد اثنان (؟) من شهر ربيع الثانى سنة الثامنة (؟) والخمسين بعد الألف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله».

وفى الصفحة نفسها التى وردت فيها العبارات السابقة، أشعار بخط مخالف لخط الناسخ، ويظهر أنها من كتابات بعض من تملكوا المخطوط، ملأوا بها الفراغ المتبقى من الصفحة[1]

وناسخ هذه المخطوطة عديم الدراية ضئيل الثقافة يحرف ويصحف ويسقط ويقع فى أخطاء خطية وإملائية ونحوية لا حصر لها، وربما لجهله أو لعجمته يستبدل بحرف السين صادا، أو بالطاء تاء، أو بالسين ثاء، وربما يخلط بين الضاد والظاء، فيستبدل بأحدهما الآخر، وهو لا يفصل بين كل فصل وتاليه بما يميزه، ولا بين الأشعار وما يسبقها أو يتلوها، بل يجعلها فى السياق، مكتفيا أحيانا بكتابة لفظة «شعر» قبلها، وقد لحظ أن هذه المخطوطة تستعمل بعض الاختصارات، مثل «تع» موضع «تعالى»، و«رهـ» موضع «رحمه الله»، وأنها أسقطت جزءا كبيراً من باب العتاب والاستبطاء.

وقد عالجت هذه النسخة أكثر العيوب التى لحقت المخطوطة السابقة، وسدت معظم خللها الذى وقعت فيه بسبب التحريف أو السقط.

ويرمز لهذه النسخة بالرمز «ل».

النسخة الثالثة:

نسخة مأخوذة عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (أدب ـ ١٤٩٠)، ولكن عنوانها: «منية الراضى برسائل القاضى».

وتتألف من اثنتين وخمسين لوحة، كل منها ذات شطرين فى كل كل شطر سبعة عشر سطراً.

وتنتهى النصوص النثرية لـ: «منية الراضى...» بعد بضعة أسطر من اللوحة ٣٤أ، يبدأ بعدها

---

(١) مثل:

ومدامة حمراء فى قارورة ... زرقاء تحملها يد بيضاء
فالراح شمس والحباب كواكب ... والكف قطب والإناء سماء

ومثل:

ما أنعم الله على عبده ... بنعمة أو فى من العافية
وكل من عوفى فى جسمه ... فإنه فى عيشة راضية
المال حلو حسن جيد ... على الفتى لكنه عارية
ما أحسن الدنيا ولكنها ... مع حسنها غادرة فانية
وأسعد العالم بالمال من ... أداه للآخرة الباقية

kitabweb-2013.forumaroc.net

مباشرة ودون فاصل يميز السابق عن اللاحق،مختارات من رسائل ابن العميد وأبي إسحاق الصابئ والقاشانى وبديع الزمان والببغاء والثعالبى ورشيد الدين الوطواط وغيرهم، إلى أن تنتهى بمختارات أخرى من رسائل أبى الفضل بن إدريس والمولى سعدى بن تاجى وغيرهما.

ولم يرد فى المخطوطة اسم ناسخها أو تاريخ نسخها، والتقديرات أنه فى القرن الحادى عشر الهجرى.

وهذه النسخة مليئة بالأغلاط كثيرة الخلط والاضطراب، لا تميز العنوانات عما يسبقها، ولا تفصل بين الأشعار والكلام النثرى، وقد أسقطت بعض الألفاظ والعبارات وفصلا كاملا من باب الشكر[1]، وأشد ما يعيبها أن البلل ـ فيما يبدو ـ أصاب النصف الأسفل منها، فمحت المكتوب فى مواضع وتعذرت القراءة فى مواضع أخرى، ومعنى ذلك أن المقروء هو الأجزاء العليا من الصفحات، تقلّ عدد السطور التى يمكن قراءتها فى بداية كل صفحة أو تكثر، ولكن الأخيرة منها مطموس لا وجود له.

ومع ذلك كله، أفاد المقروء من العبارات فى حلّ بعض ما أشكل فى النسختين السابقتين، وتصحيح أغلاطهما، بل ربما ترجح روايتها على روايتيهما فيُعوّل عليها ويعتدّ بها.

ويرمز لهذه النسخة بالرمز: «د».

* * *

وبعد:

فقد حاولت أن أردّ أساليب «منية الراضى...» إلى استقامتها، حتى تظهر مستوية قريبة من أصلها الصحيح، والتزمت فى ذلك ما وجدته فى المخطوطات الثلاث، وثمة مواضع قليلة، قلقة غامضة، أشرت إليها، تركتها على حالها، مثبتا الاختلافات بين النسخ، إن وجدت، وأما الزيادات التى ارتأيت أن أضيفها، فهى قليلة جدا، وقد وضعتها بين أقواس معقوفة.

وأثبت فى الحواشى أهم الفروق بين النسخ، وأغفلت بعض ما وقع فيه ناسخا «ل» و«د»، وبخاصة الأغلاط الإملائية والنحوية.

كما أثبت أيضًا بعض التعليقات والشروح اللغوية، ونسبت ما استطعت نسبته من الأشعار إلى قائليها.

---

(١) انظر ما يلى: ص ٧٠ – ٧١.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ولم أجد في المصادر الأدبية أو المصادر التى ترجمت لمنصور الهروى من اقتبس شيئا من فصول «منية الراضى...» أو عباراتها، سوى «دمية القصر» فقد أثبت الباخرزى فى ترجمته للهروى جوابه عن رسالة كتبها إليه شرف السادة محمد بن عبيد الله الحسينى البلخى، وقد ورد هذا الجواب كاملا فى «منية الراضى...»[1]، مع اختلافات بينها فى الرواية ـ حرصت على إثباته فى الحواشى مفصلا ـ وبين ما جاء فى الدمية، ولهذه الرسالة الجوابية قيمة كبيرة فى توثيق تلك المجموعة التى انتقاها الميدانى من رسائل الهروى، وفى بيان مدى التغير أو التصرف فى النص النثرى بين رواته المختلفين.

ويبقى القول إن التشابه بين النسخ المخطوطة الثلاث لـ: «منية الراضى فى رسائل القاضى»، لا يمنعنا من الشك فى أن هذه المجموعة لم تكن كل ما انتقاه الميدانى من نثر الهروى، فلربما كانت هذه النسخ فى صورتها التى وصلت إلينا ـ وكلها منسوخ فى القرون الأخيرة ـ مجتزأة من عمل الميدانى الأصلى، ولكن هذه المسألة المفترضة يعوزها الدليل.

(١) انظر ما يلى: ص ١٢٧ – ١٣٠.

kitabweb-2013.forumaroc.net

مُنية الراضى
فى رسائل القاضى

لأبى أحمد منصور بن محمد الهروى

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ سهّل[1]

الحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على محمّد وآله الطاهرين الطيّبين[2]

قال الشيخ... أحمد بن محمد المَيْدانى[3]:

هذه غُرَر ألفاظ انتقيتها مما عندى من كلام القاضى أبى أحمد منصور بن محمد الأَزْدِىّ الهروىّ ـ رحمه الله[4] ـ وجعلتُها عشر رسائل فى عشرة أنواع، وضمّنتُ كلّ رسالة منها ألفاظاً تُستعمل فى ذلك النوع، فجمعت فى باب «الشوق» مثلا محاسن ما صدَّر به كُتُبه، وفى باب «الشكر» ما ينخرِط فى سلكه ويذهب مذهبه، وكذلك فى سائر الأبواب إلى آخر الكتاب، وسميّته: «منية الراضى فى رسائل[5] القاضى»، وهى عشرة أبواب[6]:

الباب الأوّل: فى التهانى.

الباب الثانى: فى الشكر.

الباب الثالث: فى الممادح[7] والأثنية[8]

الباب الرابع: فى الشوق والحنين.

الباب الخامس: فى العتاب والاستبطاء.

الباب السادس: فى الشكوى والاعتذار.

الباب السابع: فى العيادة والتعزية.

الباب الثامن: فى المُداعبة والمُطايبة.

الباب التاسع: فى الأوصاف والتشبيهات.

الباب العاشر: فى التصديرات والأُدعية.

---

(١) ورد «رب سهل» فى ل فقط.

(٢) د: «وأصلى على نبيه وعلى آله» موضع «صلواته...» وترك ل : «الطيبين».

(٣) هذه العبارة من د، وموضع النقط حروف مطموسة لايمكن قراءتها، ولعلها كلمة: «الأديب».

(٤) لم يرد الدعاء فى د.

(٥) ل: «برسائل».

(٦) ل: «وهى...» متروك.

(٧) كذا فى م ـ الممادح ما يُحسن من الأخلاق ـ والذى فى ل، د: «المدح».

(٨) لم أجد هذا الجمع فى المعاجم اللغوية التى اطلعت عليها ـ وفى د : «والثناء»، وهو ما تصف به الإنسان مدحًا أو ذمًا، والأكثر استعماله فى المدح ـ انظر: لسان العرب (ثنى) ١٨/ ١٣٤.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وهذه قَطْرة من بحره الزاهر، ولَمْحة من بَدْره الزاهر، وزَهْرة من رياض جنانه، وشِقّة من حبَر[١] إحسانه، وليس فيه إلا اختصار الطريق على من قَنِع بهذا اليسير، والله ـ تعالى ـ وَلِيّ التوفيق والتيسير.

وهو نعْم المولى ونعم النصير.

(١) كذا في م، والذي في ل: «بحر» موضع «حبر»، والعبارة غير واضحة في د ـ الشقّة: القطعة ـ الحِبر: جمع حِبرة، بكسر ثم فتح، وهو ضرب من برود اليمن منمّر ـ لسان العرب (حبر) ٥/٢٣٠.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب الأول
فى التهانى

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

التهنئة بالفتوح

قد عوّد الله[١] ـ عزّ ذكره، وله الحمد ـ الأمير فى كلّ وجه يقصد قَصده، وعدوّ يصمد صمده[٢]، ومبرم يحاول نقضَه[٣]، وعالٍ يروم خفضه[٤]، من النصر والتأييد، والتوفيق والتسديد، وإعلاء الجَدّ[٥] واليد، وتشريف اليوم والغد ـ عادةً أوسع بها حدّ الإسلام صعوداً وسعادة[٦]، وأبان للولىّ[٧] الودود، والكاشح[٨] الحسود، أنّ[٩] له نيّة فى تقوية الدين وإعزازه، تُنزل[١٠] له دِرّة[١١] النصر، ومذهباً فى توثيق الإسلام وإحرازه، يُنشىء له سحائب الإقبال منهلّة القَطْر.

والدولة إذا كانت على[١٢] هذه الجملة أُثبتت عَمَدها[١٣]، وإلى هذه الغاية ضُرب أمدها، وأُسّس على العدل بناؤها، وعُقد فى ذات الله لواؤها، ورسخ[١٤] لها أصل أصيل، وسما بها[١٥] إلى النّجم فرع لا يُنال طويل، وكان الله ـ تعالى[١٦] ـ كفيلاً بحراستها من النوائب، وتصفية مشاربها من الأقذاء والشوائب.

وما قيّض[١٧] الله ـ تعالى ـ فتحًا تُختم به[١٨] الفتوح، وتغدو بأنبائه[١٩] الركبان فى الخافقيْن[٢٠] وتروح، إلا[٢١] شهدت الظنون والعقول وتيقّن الفاضل والمفضول أنه زُبْدة

---

(١) زاد ل بعده كلمة: «الأمين»، ولا موضع لها.

(٢) يصمد: يقصد.

(٣) المبرم: المحكم، والأصل فيه إبرام الحبل أى فتله إذا كان ذا طاقيْن ـ النقض: الإفساد.

(٤) ل : «حفظه»، تحريف.

(٥) الجَدّ : الحظ والسعادة والغنى.

(٦) ل : «وصعادة»، ولا معنى له.

(٧) ل : «للولى» سقط.

(٨) الكاشح : الذى يضمر العداوة.

(٩) ل : «أن» سقط.

(١٠) ل: «وتنزل»، بزيادة واو.

(١١) الدرّة بكسر الدال وفتحها: كثرة اللبن وسيلانه.

(١٢) م: «على» متروك.

(١٣) أُثبتت بالبناء للمجهول: أى جُعلت ثابتة مستقرة ـ العَمَد: جمع عماد وعمود وهو ما يسند به الشىء.

(١٤) ل : «وسمح»، والوجه ما فى م، د.

(١٥) م: «بها» متروك.

(١٦) لم ترد فى م.

(١٧) قيّض: هيّأ وسبّب.

(١٨) د : «بها».

(١٩) ل: «بأيامه»، وأثبت ما فى م، د.

(٢٠) أى المشرق والمغرب.

(٢١) ل: «إلا» سقط.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الحقب التى تُضرب بها الأمثال[١]، ولا تتعدّاها الأوهام والآمال، وعلم أنّ السبق لا يَحْصل إلا من الجياد، وأنّ البحر فوق الوَشَل والثّماد[٢]، وأنّ العُلوّ مُسْلم للكواكب، والمضاء موقوف[٣] على البيض القواضب[٤]، وأنّ الفتوح المأثورة، والأيام المشهورة، حُلل فى هذا الفتح المُعجّل، والصنع الأغرّ المُحجّل[٥]، وأنه صدر عن همّة إلى النجم مرفوعة، ونيّة[٦] بنصْرة الحقّ مشفوعة، يعيد الإسلام صافى المشارب، والشرك مفلول المضارب[٧]، قصير الباع[٨]، خرب الرِّباع[٩]، تَرِب الخد[١٠]، كليل الحد[١١]، والدين عذْب المشارع والمناهل[١٢]، رحْب المسارح[١٣] والمنازل، عالى[١٤] الكواهل والمناكب، رفيع المطالع والكواكب، وعلم أن الله ـ تعالى ـ يكفى[١٥] المسلمين غوائل[١٦] المشركين، وينزل بالمخذول[١٧] ما يُذيقه وبال[١٨] أمره، ويُعرّفه سوء مَغَبّة طغيانه وكفره، وأنّ الله لا يُخلف وعده، ولا يخذُل جنده، إذ[١٩] عقد أمر الثُّغور بمن ينتظم[٢٠] على يده مُختلّها، وبرأيه ينعقد منحلّها، يكفيها الخطوب

---

(١) أى تضرب مثلا للشىء النادر الذى لايتفق مثله إلا فى الأحقاب، قال أبو تمام فى فتح عمورية (ديوانه ٤٩/١ وانظر: ثمار القلوب، ص ٦٤٥):

حتى إذا مخّض الله السنين لها مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

(٢) الوشل والثماد: كلاهما بمعنى الماء القليل.

(٣) م: «والمضاد قوف»ولامعنى له.

(٤) البيض القواضب: السيوف القاطعة.

(٥) أى المشهور الكريم، أو المضىء المشرق بالسرور والحبور ـ الأغر: الأبيض من كل شىء، والغرّة: البياض فى جبهة الفرس ـ والمحجّل: من التحجيل وهو بياض يكون فى قوائم الفرس.

(٦) ل: «ونية»، سقط.

(٧) مفلول: مثلوم مكسور ـ المضارب جمع مضرب، وهو حد السيف ـ ل: : «المفلول..».

(٨) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطا، والباع أيضاً: الشرف أو السعة فى المكارم.

(٩) الرباع: المنازل والمواطن، واحده: رِبع.

(١٠) أى ذليل ، وتَرِب الشىء تربا فهو تَرِب أى أصابه التراب، وتَرِب الرجل: لصق بالتراب من الفقر.

(١١) كليل: ضعيف لا يقطع ـ ل: «الجد».

(١٢) المشارع: المواضع التى ينحدر إلى الماء منها، مفرده: مَشْرعة ـ المناهل: المواضع التى فيها المشارب، مفرده: منهل.

(١٣) المسارح: المواضع التى تسرح فيها الماشية بالغداة للرعى ـ م: «المسارع»، تحريف.

(١٤) م «على»، تحريف.

(١٥) ل: «وعرف أن الله يكفى».

(١٦) الغوائل: الدواهى، جمع الغائلة، غاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدر.

(١٧) م من «المخذول».

(١٨) الوبال: الثقل والمكروه.

(١٩) م: «إذا».

(٢٠) الثغور: جمع الثغر، وهو ما يلى دار الحرب، أو موضع المخافة من فروج البلدان ـ انظر: لسان العرب ١٧١/٥ ـ م: «لمن انتظم».

kitabweb-2013.forumaroc.net

بباعه الطويل، وسيفه الصقيل[١]، وعزمه الأصيل، وهو كوكب الإسلام الزاهر[٢]، وبدره اللامح[٣]، وعماده المتين، ويده اليمنى، ورُكنه الركين، وناصره الذى لايخْذُل، وراعيه الذى لا يَغْفُل، يسكنُ إليه نافره[٤]، ويتجدّد به دائره[٥]، وينبسط بقوّته باعه، وينعمر لمكانه رِباعه[٦]

حتّى إذا طلع ما يتلوه، وظهر[٧] ما يتبعه ويقفوه[٨]، أنسى الأول الآخر، ونسّى الغائب الحاضر، وفاق السالف الخالف، وصغر الماضى الآنف، مرّة وثانية بأرض الهند[٩]، يُعيد الشرْك خامد النار، مطموس المنار[١٠]، خرِب الديار، دائر الآثار، عبرة لأولى الأبصار، ويتركهم خاضعى الجُدود[١١]، خاشعى الخدود، مضطربى العُقود، مضطرمى الحُقود[١٢]، فأحسنَ الله عن الدنيا والدين وعن الإسلام والمسلمين[١٣] جزاءه، وحرس من النُّوَب والغِيَر[١٤] فناءه، وجعل أولياءه وأعداءه فداءه.

ولمّا أُجْرى المخالفون آنفًا إلى ما أُجْروا إليه، وأقْدموا من[١٥] الخَطب الشنيع على ما أقدموا عليه، فتوردّوا خُطّة الغَىّ سادرين[١٦]، وأسرعوا[١٧] فى سبيل الطغيان والبَغْى[١٨] واردين وصادرين، قد أضمروا الفساد وأظهروه[١٩]، واستبطنوا العناد واستشعروه، مغترّين بحدّتهم

---

(١) الصقيل: المجلوّ ـ ل: «وصيفه...» ويظهر فيه جهل الناسخ.

(٢) ترك ل، د هذه الكلمة، وهى فى: م.

(٣) أثبتها من م، ولم ترد فى ل، وهى فى د: «اللائح»، وكلاهما بمعنى اللامع.

(٤) النافر: المتفرق الشارد.

(٥) الدائر: الدارس البالى ـ م: «وينحدد به دابره».

(٦) كذا فى م ـ عمره وأعمره واستعمره: لزمه وجعله آهلا ـ ل: «وينعمر...» متروك، وهو ما يتعذر قراءته فى د.

(٧) ل: «فظهر»، تحريف.

(٨) يقفوه: يتبعه.

(٩) اشتهر الغزنويون، وبخاصة فى عهد محمود الغزنوى (٣٨٧ - ٤٢١هـ) بكثرة حروبهم فى الهند وتمكينهم للإسلام فيها.

(١٠) م: «الآثار».

(١١) م: «الخدود».

(١٢) الحقود: جمع الحقد، وهو العداوة تضمر فى القلب ـ م: «مضطرى...».

(١٣) ترك م لفظتى: «والدين»، «والمسلمين».

(١٤) النُّوب: جمع النائبة أى النازلة وهى النوائب والنوب، الأخيرة نادرة ـ الغِير: أحداث الدهر وأحواله المتغيّرة ـ ل «من الغير والنوب».

(١٥) ل: «وأقدموا عليه من».

(١٦) سادر: متحير أو لا يبالى ما يصنع ـ م: «متوردوا.. ساردين»، تحريف.

(١٧) م: «وأشرعوا».

(١٨) م: «والبغى»، متروك.

(١٩) ل: «قد أظهر الفساد وأظمروه»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ونجدتهم، مُعتزّين بعدّتهم وعُدتهم[١]، غير عالمين بأنّ الله، تعالى[٢]، يُردّ كيدهم في نحورهم، ويُعرّفهم سوء مغبّة الغلّ الذي في صدورهم ـ سَهّل الله للأمير الفتح الجليل العظيم، والصُّنع الجميل الكريم، الذي بيّض الأيّام السود[٣]، وأعاد الأمن[٤] المفقود، ووسَم الزمان الغُفْل[٥]، وحلّى العصر العُطْل[٦]، وقضى على جدودهم[٧] بالسقوط، وعلى دولتهم بالهبوط، وعلى ذِكْرهم بالخمول، وعلى نجمهم بالأُفول، وأبان لهم أنّ الله[٨] ـ عزّ اسمه[٩] ـ محيط بالظالمين، مُرصد مَكْره للخائبين، إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين، ولا يُصلح عمل المفسدين[١٠]، «ولا يُردّ بأسه عن القوم المجرمين»[١١]، «فقُطِع دابِر القوم الذين ظَلموا، والحمد لله ربّ العالمين»[١٢]

وكان ما سهّله الله من ذلك[١٣] فتحًا أقرّ المُلك في نصابه، وأسقط لواء الباطل بعد انتصابه، وشدّ عقْد الدين بعد اضطرابه، فأسفرت الوجوه الشاحبة، واهتدت العقول الحائرة[١٤]، ونامت العيون الساهرة، وقرت قُلوب كانت واجبة، وأغْفت جُفون كانت للنوْم مُجانبة، فأصْبح ولو كانت[١٥] الفتوح جِسمًا لحل منه محلّ الفؤاد، ولو كانت أرضًا لكان سماءها ذات العماد، بل[١٦] لو كانت حسنات الدهر ناظراً[١٧] لكان سواده، أو راح حُسن الزمان[١٨]

(١) ل: «العدّة» بالكسر: الجماعة أو التهيؤ والاستعداد، وبالضم: ما يُعدّ من السلاح والمال.
(٢) وردت في د فقط.
(٣) د: «الأيام الغر السود».
(٤) م: «الأمر»، وليس بشيء.
(٥) الغُفْل، بضمة فسكون: ما لا علامة فيه ولاسمة عليه من الدواب أو مالا يُرجى خيره ولا يُخشى شره ـ انظر لسان العرب (غفل) ١١/١٤
(٦) العُطل: المرأة إذا لم يكن عليها حلى، أو الخالي من المال والأدب ـ القاموس المحيط للفيروزابادي (ط الأميرية، ١٣٠١هـ) مادة: «عطل»، ١٧/٤
(٧) أي حظوظهم، وهو في م، ل: «حدودهم».
(٨) سقط في ل: «أن الله».
(٩) د: «عز وجل».
(١٠) فيه اقتباس من سورتي: يوسف ٥٢، يونس ٨١ ـ ولم يرد في ل: «ولايصلح...».
(١١) الأنعام: ١٤٧
(١٢) الأنعام: ٤٥.
(١٣) ل: «وكان ما سهله من ذلك»، وفي د: «وكان ما سهله ذلك»، وفي م: «سهل» بدل «سهله»، والمثبت هو الأقرب إلى الصحة.
(١٤) ل: «والجائر» ولا معنى له، والمثبت من م، د.
(١٥) ل: «وأصبح ولو كان».
(١٦) ليس في ل: «بل».
(١٧) الناظر: البصر أو النقطة السوداء التي في العين ـ م: «ناظرا» سقط.
(١٨) كذا ـ راحه: شم ريحه، وراحته الريح: هبّت عليه وأصابته.

kitabweb-2013.forumaroc.net

شخصاً لراح فؤاده.

فالحمد لله الذى جعل[١] أيّامه للفتوح مواسم، وأوقاته للزّمان مباسم، ودولته فى جبين الدهر غُرّة سائلة، وهمّته فى العُلوّ مناط الأنجم الزُّهر[٢] نائلة، وآثاره فى صُحف المعالى خالدة، ومحاسنه على مَرّ اللّيالى زائدة، وجعل هذا الفتح الجسيم والأمر العظيم فتحًا برزتْ له الأرض فى أثوابها القُشب، وتعالى أن يُحيط به نظم من الشّعر أو نثر من الخُطب[٣]، ويسرّ له هذه[٤] الفتوح المترادفة، والسعادات المتضاعفة، التى هى بحمد الله للفتوح سابقة، ولأمثالها قائدة سائقة، وسهّل عوده على المراد، إلى قرار الملك مطمئّن[٥] المهاد، راسى الأوتاد، رفيع العماد، فتوالت به البُشرى والبشراء، وترامت الكُتب والأنباء، بما وردّ خدود الأيّام، وأضحك وجه الإسلام، وبرّد صدور الأنام، وأعاد الحقّ عالى الأعلام[٦]، نافذ الأحكام، والباطل منحلّ النّظام، معتكر الظلام، ومدّ على أعداء هذه الدولة سرادق الإدبار، وألبسهم سرابيل الخَسار والتّبار[٧]، وصيّرهم لحوافر خيله طرائد[٨]، ولصوارم[٩] سَطوته حصائد، وتركهم وهم عذَاب ذوابله[١٠]، ومراتع مَناصله[١١]

وإلى الله الرغبة فى أن لا يُخْلى يومًا من أيّامه من فتح يُشرق بنوره الزمان، وصنع يقترن بأعلى منّة الضمان[١٢]، حتّى يفتح شرق الأرض وغربها، ويملك رأس الممالك وقلبها، إنّه ـ عزّ اسمه ـ خير مرغوب إليه، ومطلوب ما لديه.

---

(١) كرر ل: «الذى جعل».

(٢) م: «العلو محل مناط الأنجم الزاهرة»، والمثبت من ل، د.

(٣) يشير إلى شعر أبى تمام فى فتح عمورية (ديوانه ١/٤٥ ـ ٤٦):

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتّح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض فى أثوابها القُشب

(٤) ل: «بهذه»، تحريف.

(٥) ل: «المطمئن».

(٦) ل: «بما ورد حدود الإسلام، وأضحك وجر الإسلام ورد ورد صدور... على الأيام»، تحريف، والصواب فى م، د.

(٧) السرابيل: جمع سربال وهو القميص أو الدرع ـ التبار: الهلاك.

(٨) طرائد: جمع طريد وطريدة، بمعنى المطرود ـ ل: «وسيرهم... طوائد»، تحريف.

(٩) الصوارم: السيوف الماضية.

(١٠) العذاب جمع العذب وهو كل مستساغ من الطعام والشراب ـ الذوابل: الرماح ـ ل: «وهم عذب وابله»، تحريف.

(١١) مراتع: واحده مرتع، وهو موضع الرتع أى الأكل والشرب رغداً فى الريف ـ المناصل: السيوف، واحده مُنْصل، بضم الصاد وفتحها ـ ل: «مفاصله» بالفاء، تحريف، وفى م: «مناضله».

(١٢) الضمان: مصدر ضمن الشىء وبه، أى كفله.

kitabweb-2013.forumaroc.net

التهنئة بالوزارة[١]

كتابى، والأيّام بيض، والخير مستفيض، والقلوب مبتهجة، والوجوه منبلجة[٢]، والصدور منشرحة، والآمال منفسحة، والسعود طالعة، والنحوس غاربة، والعيدان رطبة، والموارد[٣] عذبة، والأوراق خُضْر، والخدود حُمر، والعيون راقدة، والضلوع باردة، والفصل ربيع، والعيش رقيق، والمَرعى مَرِيع[٤]، والمجال رحيب، والجناب خصيب، والعيش رقيق والزمان طليق،

وفى كلّ جوّ عارض متبجّس[٥] وفى كلّ قُطْر رائد متنفّس
وكلّ وليٍّ مسفر متبسّم وكلّ عدوّ مطرق متنكّس

لتجدّد الأحوال[٦] التى لم تكن مُخلَقة[٧]، وإنجاح الآمال إلى الله[٨] أن تكون محقّقة، وتَحلّى الصدر بمن يَحُلّ منه محلّ القلب من الصدر[٩]، بعدما كاد أن يكون عاطل النحْر، ذابل الزهر[١٠]، آفل البدر، عاتباً على الدهر،

* يحن إليه[١١] وهْو عنه مُنكّب ويبكى عليه وهْو يضحك ساليا
ولا عجب للدهر يفرح حاليا به ثم يأسى ـ لا خلا منه ـ خاليا

* فيا حُسْن الزمان وقد تَحلّى بهذا العزّ والإقبال صدْرُه[١٢]
وكان الدهر يَعْذِر قبل هذا فحلّ وفاؤه وانحلّ غَدْره
تصدّر للوزارة مستحقّ تساوَى قدرها شرفا وقدْره
فقلْ[١٣] فى النصْل وافقه نصاب[١٤] وقل من الأُفْق أشرقَ فيه بدره

---

(١) هذا العنوان مسبوق فى م، بالحرف «فى».
(٢) منبلجة ومتبلجة بمعنى ضاحكة هاشة مضيئة ـ م: «والقلوب مبتهجة والقلوب متبلجة».
(٣) لِ: «والأوراق»، والصواب من: م، د.
(٤) مَرِيع: مخصب.
(٥) العارض: السحاب المعترض فى الأفق ـ متبجس: منفجّر بالمطر.
(٦) ل: «الأطوال»، تحريف.
(٧) مخلَقة: بالية، يقال: أخلق الثوب أى بلى، وأخلق شبابه: ولّى.
(٨) هذا ما فى م، والذى فى ل: «وبانجاح...» وفيه وفى د: «الآمال التى أبى الله».
(٩) م: «وتجلى الصدر لم يحل...» ـ ل: «القلب والصدر»، والمرجح أن المثبت هو الصواب.
(١٠) كذا فى م ـ والذى فى ل، د: «بعد أن كان أن يكون...»، وفى ل فقط: «وابل الزهر» تحريف.
(١١) ل: «يحل»، تحريف.
(١٢) ورد هذا البيت والأبيات التالية فى تتمة اليتيمة، ط طهران، ص ٤٩ - ٥٠ (= ط بيروت، ص ٢٣٦)، وفيه: «تجلى بهذا الفخر...».
(١٣) ل: «فقد»، تحريف.
(١٤) م: «نافقه»، ولا معنى له ـ النصل: حديدة السكين، أما النصاب فمقبضه.

kitabweb-2013.forumaroc.net

لا أنّ[١] حالا حالت[٢]، أو رتبةً زالت، أو سبباً وقع، أو مُراداً امتنع[٣]، أو أمراً عرض[٤]، أو قدراً انخفض، أو زمناً خالف أحكامه، أو كدراً مازج أيّامه.

وكيف[٥] وهو للدولة قُطْب عليه[٦] تدور، وتحت[٧] تصريفه تعدِل[٨] وتجور، وبتدبيره تميل وتعتدل[٩]، وعلى حكمه تحِلّ وترتحل،

فلو أنهـــا ثَوْب لكان طرازه ... ولو أنهـــا أُفق لكان هلالَه[١٠]
ولو أنهـا فَصْل لكان ربيـعـه ... ولو أنهـــا مـــاء لكان زُلاله
ولو أنهـا نَصْل لكان فِـرنْده[١١] ... ولو أنهـا شـخص لكان جـمـاله

ولازالت الدنيا تصون صدورها[١٢] عمّن تُنافسه وتبذلها له[١٣]، ولكن ظنون طَمحتْ، وهِمم جَمحتْ، ونفوس حسدت، ونيّات فسَدت، وتدابير ساءت[١٤] فأساءت، وخطوب جلّت ثم تجلّت[١٥]، ومقادير توالت ثمّ تولّت، ونارٌ وَقدت ثم خمدت، وريح هبّت ثم ركَدت، وعين انتبهت ثم رقدت،

كـمـا يكتـسي الأفْق الظلام لوقـتـه ... وينفكّ[١٦] عنه حين ينفجر الفجرُ
وكالوصْل يمحو الهجر بهجة عَهْده ... ويَرجع غضاً حين ينقرض الهجر[١٧]

---

(١) كذا.
(٢) ل: «حالا كانت حالت».
(٣) ل: «انتفع»، والصواب من: م، د.
(٤) م: «أعرض».
(٥) م: «فكيف».
(٦) د: «عليه»، سقط.
(٧) م: «تحت»، بحذف الواو قبله.
(٨) ل: «تقول»، تحريف.
(٩) م، ل: «وتعدل»، والأصح ما في د.
(١٠) سقط في ل هذا الشطر والبيت التالي كله.
(١١) الفرند: السيف أو وشيه ـ ل: «فريده»، تحريف.
(١٢) يلحظ أن هذه العبارة على زنة البحر الطويل ـ ل: «لازالت...»، محذوف الواو قبله.
(١٣) كذا في ل، والذي في م: «عمن بنافسه وتبدلها له»، وهو غير مفهوم، وقريب منه ما في د، مع ترك «عمن».
(١٤) م: «وتدابيرا سآت»، تحريف
(١٥) ل: «جلت».
(١٦) م: «وينفد»، تحريف.
(١٧) ل: «البحور»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وقد تُخْطىء[١] الظنون وقد لانُصيب، وقد تأبى الإعراض وقد لا نُجيب،

وما بأكاذيب المُنى تُدْرَك العلا ... ولا بالهُوَينى يستتبّ[٢] احتمالها
وليس يروّى من تمادى[٣] به الظّما ... سرابُ فلاة يلمع ـ الدهر ـ آلها[٤]
وما يتحلّى الصدر إلا بأهله ... ولا يملك العلياء إلا رجالها
وهلْ[٥] يسكُن الأفلاك إلا نجومها ... وتأوى إلى الأغماد إلا نصالها

ومن التكلُّف ردّ السيْل عن مسيله[٦]، وصدّ اللّيث عن مقيله[٧]، ومكاثرة القَطْر فى انهماره، ومعارضة البدر فى أنواره، والبحر[٨] من لا طمه سطا به[٩] فأغرقه، والجمر من صادمه ذكا[١٠] له فأحرقه، وما أحسنَ ما قال ابن نباتة[١١]:

فإن تكُ دارت للأعادى عليكم ... رحىً أنتمُ قُطْب لها وثفال[١٢]
فكم من جبال قد علتْ شُرُفاتها[١٣] ... رجال فزالوا والجبال جبال

ولمّا[١٤] أعْمل السلطان رأيه العالى الصائب، وتدبيره النافذ الثاقب، وبصيرته[١٥] التى تُظلم معها البصائر والأبصار، وعزيمته التى تجرى بوفاقها[١٦] الأقضية والأقدار، فردّ النصلْ فى

(١) ل: «وقد يخف»، تحريف.
(٢) يستتب: يطرد ويستقيم.
(٣) تمادى به: تطاول وتأخر ـ م: «له».
(٤) الآل: السراب ـ ل «يمنع الدهر آيها»، تحريف.
(٥) ل: «وقد»، والصواب من: م، د.
(٦) ردّه عنه: صرفه ـ المسيل: المكان الذى يسيل فيه ماء السيل ـ ل: «رد السبيل عن سبيله»، م: «إلى مسيله»، والصواب فى د.
(٧) المقيل: موضع القيلولة حيث الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر.
(٨) ل: «والهجر»، تحريف.
(٩) أى قهره.
(١٠) ذكا: اشتعل واشتد وهجه.
(١١) د: «وما أحسن قول».
(١١) البيتان التاليان من قصيدة فى مدح القادر بالله ـ ديوان ابن نباتة السعدى ٣١٨/٢
(١٢) ديوان ابن نباتة: «... للعدو عليكم... وثقال» ـ القطب بسكون الطاء والضم أشهر: حديدة أو نحوها قائمة فى وسط حجر الرحى الأسفل، يدور حولها حجرها الأعلى ـ الثفال: جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق.
(١٣) ديوان ابن نباتة: «شعفاتها»، والشعفة رأس الجبل أوأعلى كل شىء، والشرفة قريب منه فى المعنى.
(١٤) م : «ولم»، تحريف.
(١٥) م: «وبصيرتها»، تحريف.
(١٦) ل: «بوفاتها» تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

نصابه، وسلّم الأمر إلى أربابه، وبوّأ[١] الصدْر من هو أولى به ـ عزّ الحقّ وبان، وذلّ الباطل وهان،

فأصبح(٢) أفق الدين أبيض زاهراً ... كما راح روض المجد أخضر[٣] ناضرا
وأقبل وجهُ الدهر وهو بمائه ... عن الرُّشد مُفْتَرّاً[٤] عن اليُمن سافرا

وقرّت[٥] قلوب كادت تَجب، وبرزتْ سُعود كادت[٦] تحتجب، وعلتْ جُدود كادت تنخفض، وانبسطت حدود كانت[٧] تنقبض، وانبرمت عقود كادت تنتقض[٨]

فيالها نعمة أهدت إلى الصدور برداً[٩]، وفتّحت في الخدود وردا، وأعادت الأيّام أعياداً، وأحرقت للحسّاد أفئدة وأكباداً!

فالحمد لله الذى أطلع النجم بعد أفوله، وروّى العُود قبل ذُبوله، وأجرى الماء بعد نُضوبه[١٠]، وأدنى العزّ قبل[١١] غُروبه، وزيّن الأصل بالثمر، وحلّى[١٢] البُرْج بالقمر، وآنس العرين بالأسد، وأهدى الرُّوح إلى الجسد، ونسخ ظلّ الليل بنور الشمس، ومحا بسعد اليوم نحس الأمس، ووصل فرع المجد بالأصل، وجمع بين الحَلْى والنّصل[١٣]، فأصبح الدّهر والأيام أعياد، ولنجوم المجد والسُّؤدد إصعاد[١٤]، وللدهر بكل حسن وحسنى[١٥] إسعاد،

---

(١) بوّأه مكانا أى هيأه له وأنزله فيه.
(٢) ل: «وأصبح».
(٣) م: «كما لاح... الأخضر»، والصواب في: ل، د.
(٤) مفترّ: ضاحك، وافتر ضاحكاً أى أبدى أسنانه.
(٥) ل، د: «فقرت».
(٦) ل: «وبرزدت سعود كانت».
(٧) كذا في النسخ الثلاث، ولعله: «كادت».
(٨) من: «وانبرمت»، متروك في م.
(٩) م: «بردا»، سقط.
(١٠) ل: «وروى العود بعد...» وكرر العبارة، والمثبت ما في م، د.
(١١) هذا ما ورد في د ـ وهو في م، ل: «بعد».
(١٢) كذا في د، وورد في م: «وجلى»، وهو في ل: «وحيّلى»، تحريف.
(١٣) الحلّى: السيف ـ النصل: حديدة السيف والرمح والسهم، أو هو السهم الطويل العريض.
(١٤) كذا في م ـ الإصعاد: الارتقاء والصعود ـ وفي ل: «ولنجوم النجوم السود والمجد إصعاد»، وفي د: «والنجوم السودد والمجد أعياد»، وكلاهما تحريف.
(١٥) كذا في ل ـ والذى في م: «حسبن»، وهو تحريف، موضع «وحسنى»، والعبارة مطموسة في د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

والعيش طَلْق والمُنى أمَم[١] وصدْر المُلك حالي
والصبح منبثّ السنا والغيثُ مُنْهلّ العزالي[٢]
وكواكب الآمال زُهْـ ـر غير مائلة الذُّبال[٣]

والناس كلهمُ رعيل[٥] واحد في خصْب مرعاه وصافي شرْبه
فالكلّ يُصبح شاكراً لزمانه والكلّ يُمسي آمنًا في سِرْبه[٦]

لما أطلعه الله ـ تعالى ـ به في الصدر من البدر، وأجدّه[٧] للفضل لمكانه[٨] من علوّ القدر، وأفاضه بإشراف زمانه على الأيام من الجمال، وقيّضه للأحوال تحت ظلاله من الانتظام والاعتدال.

وما أُهنئ الشيخ بهذه الدولة العالية، والحال الحالية[٩]، والمرتبة الموفية[١٠] على المراتب، والمرْقَبة المنيفة[١١] على المراقب،

على أنها فوق السُّها غير أنه[١٢] أُضيفت إلى مقداره فاستقلت
فقد جلّ عنها قَدْره ومَحلّه ولكنها عن سائر الخلق[١٣] جلّت

وهو بحمد الله النجم لا يُبْلَغ مداه، والزمان لا يلتقي طرفاه، والسيّد لا يُوصف عُلاه،

---

(١) أمم: قريب يسير التناول.
(٢) يريد أن المطر غزير متسع ـ العزالي: جمع العزلاء وهو مصب الماء من الراوية والقربة من أسفلها، حيث يتفرغ ما فيها من الماء ـ انظر: لسان العرب (عزل) ٤٦٩/١٣.
(٣) الذبال: جمع الذبالة، وهي الفتيلة.
(٤) لم يرد في ل حرف العطف أول البيت.
(٥) الرعيل: اسم كل قطعة متقدمة من رجال وخيل وطير ونجوم وغير ذلك.
(٦) السِّرب: النفس، وهو آمن في سربه أي لا يغزى ماله ونعمه لعزّه.
(٧) كذا ـ أجدّه أي أحكمه أو صيره جديدا.
(٨) ل: «بمكان»، تحريف.
(٩) الحالية: التي تلبس الحلى ـ ل: «والحال الحالية»، متروك.
(١٠) لم ترد في ل، وهي في م: «الموقنة»، وفي هامشه كلمة «الموقه»، وكلاهما لا معنى له، فجعلتها كما ترى ـ الموفية: المشرفة.
(١١) المرقبة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب ـ المنيفة: العالية.
(١٢) السُّها: كوكب صغير خفيّ الضوء والناس يمتحنون به أبصارهم ـ ل: «غير أنها».
(١٣) ل: «ولكنه...» ـ د: «سائر الناس».

kitabweb-2013.forumaroc.net

إنْ كـان فـيـمـا نراه من كـرم فـيـه مـزيد فـزاده الله[١]

فهنيئًا للملْك والصدر، وهنيئًا للمجْد والفخْر، وهنيئًا للدهر وأهل[٢] الدهر، وهنيئًا للدنيا والدين[٣] والإسلام[٤] والمسلمين، وزاده الله بهذه[٥] الحال انتشار[٦] جناح، وإسفار صباح، وذكاء مصباح، وامتداد غُرر وأوضاح[٧]،

ولابَرحتْ[٨] مـوفـورة مـسـتـقـرّة ولازال طَرْف الدهر يَطْرِف دونهـا
ولا جـرتِ الأقـدار فـيـهـا بغـيـر مـا يكذّب أوهام العـدا وظنونهـا

ولازالت هذه الدولة بهذه البهجة حالية، وتحت هذه السعادات نامية[٩] عالية، وعرّف الله مولانا بركة هذا الإقبال، وجعل ما آتاه منه متّصل الأوصال، زائداً على تناوب الغُدوّ والآصال[١٠]، مُنتهياً إلى حيث لاينتهي إليه أبعد الآمال،

بقيت وزير المشرقين فإنّما[١١] بقاؤك يارُكن المعالي بقاؤها[١٢]
ولازلت بحراً والصدور مَذانب[١٣] ولا بَرحوا أرضًا وأنت سماؤها

(١) البيت للمتنبي (ديوانه ٤/٢٦٥) من قصيدة في مدح أبي العشائر، وروايته: «فيك مزيد فزادك...».
(٢) م: «وأصل».
(٣) د: «وهنيئا» متروك، وفيه «للدين والدنيا».
(٤) ل: «وللإسلام».
(٥) د: «وزاد...» ـ م: «فزاد الله هذه».
(٦) ل: «انساح، ولا معنى له.
(٧) الغرر: جمع غرة ومعناه البياض، وغرّة الشيء أكرمه وأحسنه ـ الأوضاح: جمع الوضح، وهو البياض من كل شيء أو مطلق الضوء ـ ل: «غريز وإيضاح»، تحريف.
(٨) د: «فلا برحت».
(٩) د «نامية»، سقط.
(١٠) ل: «زائدا... والآصال» متروك.
(١١) د: «وانما».
(١٢) للبحتري (ديوانه ١/٢٥٤) ما يشبه هذا البيت وهو:
بقيت أمير المؤمنين فإنما بقاؤك حسن للزمان وطيب
(١٣) كذا في د ـ المذانب: جمع المذنب، وهو الجدول يسيل عن الروضة إلى الماء، أو مسيل الماء إلى الأرض، أو مسيل ما بين تلعتين ـ م: «والروس مذانب».

kitabweb-2013.forumaroc.net

التهنئة بالولاية

من جارى العادة بين الخدم والسادة، إذا تجدّدت نعمة جزيلة، وتمهّدت رُتبة جليلة أن يتلقّوا[١] التهاني، ويستنفدوا فيها الألفاظ والمعاني، ارتسامًا للرسم المرسوم، وذهابًا مع المذهب المعلوم، وأنا أربأ بمحلّه أن أُهنّئه بولاية، وإن أُربت من العُلوّ على كلّ غاية[٢]، وأُخاطبه مخاطبة[٣] متبجّح بما ناله، وإن جرّ على النجوم[٤] الزُّهر أذياله،

يُهنأ بالأعمال قوم وإنما ... نُهنّى بك الأعمال حين تليها
وما أنت بالمختال زهواً برتبة ... علت وإن اختالت بعزّك تيها
تزيّنت الدنيا بملكك فاغتدتْ ... سماء وأنت البدر تطلع فيها

ثم أهنّئ الولاية: تحلّى[٦] به صدرها، وعظُم بمكانه قدْرها، واكتست به رَوْنقًا وجمالا[٧]، وامتلأت بعَدله حسنًا واعتدالاً، وعاد ليلها بضوئه[٨] نهاراً، ورجعت ظُلُماتها بنوره[٩] أنواراً،

هنيئًا لأهل الشام أنك سائر ... إليهم مسير القَطْر يتبعه القطرُ[١٠]
تفيض كما فاض الغمام عليهمُ ... وتطلُعُ فيهم مثلما يطلع البدر

(١) م: «يتلقنوا»، تحريف.
(٢) أربت: زادت ـ م: «أرتب من الغلو...» ـ د «من الغلو إلى الغاية».
(٣) م: «وأخاطب بمخاطبة»، د: «وأخاطبه بمخاطبة»، والمثبت من ل.
(٤) م: «نجوم».
(٥) ل: «تزيلت»، تحريف.
(٦) م: «تهني».
(٧) م: «واكتسبت... وكمالا».
(٨) م: «بضوء»، ل: «بضؤ»، وما أثبته من د.
(٩) د: «بضوء».
(١٠) هذا البيت والذى يليه للبحترى (ديوانه ٩٩٢/٢) فى مدح المتوكل على الله عند سيره إلى دمشق ـ وفى م: «مسيل القطر قد ساقه الأمر»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فى التهنئة بقدوم الحج

ما القمر يتبسّم[١] إلى السارى، وهو لظلام الليل منتهب، والوِرْد العذب يرده الصّادى[٢]، وهو بنار الظّمأ ملتهب[٣]، والنُّجح يلقاه[٤] المخفق، وقد ترك[٥] سعيه عتبًا، والغيث يُسْقاه راعى سنين تتابعت جدْبًا ـ بأسرَ[٦] من قُفول الشيخ صادراً عن نُسُك مَقْضىّ، وَسعى مرضىّ، وسفر سافر[٧]، عن رُشد وافر، ويمن حاضر، فى ظلّ من السعادة كنين[٨]، وستر من صنع الله ثخين، إلى ديار طالما انتظرته كما انتظرت أوبة[٩] الهلال منازله، وحنّت إليه كما حنّت الرياض إلى الغَيْث ينهلّ فيها طلّه ووابله[١٠]، بعد ما كادت[١١] القلوب تنشّق[١٢] شوقًا إلى رجعته، والعيون تبيّض تشوّفًا[١٣] إلى طلعته، وبعد ما خلّف بكلّ أرض حلّها، وبُقْعة أظلّها[١٤]، عبَقًا[١٥] من محاسنه لا يَسْطع المسك سطوعه، وسنًا من فضائله لا يطلُع الفجر طلوعه.

ولله[١٦] الحمد على ما يسّر من هذه العودة الحميدة، والقُدْمة[١٧] السعيدة، المؤذنة بالنّعمة الجديدة، والدولة العتيدة[١٨]، وإليه ـ عزّت قدرته ـ الرّغبة فى أن يتقبّل منه النُّسُك[١٩] الذى أحسن لقضائه توفيقه، وسهّل إلى القيام بحقّه طريقه، وأن يجزل ثوابه على ما أدّاه من تلك المواجب[٢٠]، ويشكر له[٢١] السعى الذى تحمّل فيه ما تحمّل من المشاق والمتاعب، بمنّه.

---

(١) ل: «تبسم».
(٢) الورد: النصيب من الماء أو هو ورود القوم الماء ـ ، الصادى: الذى اشتدّ به العطش.
(٣) ل: «وهو بنهار الظلام ملتهب» ، تحريف.
(٤) ل: «يتلقاه».
(٥) م: «وقد يك».
(٦) م: «بأسد» ، والأصح المثبت من ل.
(٧) أى كاشف.
(٨) ل: «لين» تحريف.
(٩) ل: «أوب» ، وكلاهما بمعنى الرجوع.
(١٠) ليس فى م: «ينهل» وهو فى ل، د ـ الطلّ: المطر الضعيف الذى له أثر قليل أو الذى ينزل فى الصحو ـ الوابل: المطر الضخم القطر الشديد.
(١١) ل: «كانت».
(١٢) د «تطير».
(١٣) م: «تشوقا» ، ل: «شوقا» ، والصواب «تشوفا» ـ تشوّف إليه: تطلع، وتشوق: أظهر الشوق أوتكلفه.
(١٤) ل: «وتبعة أضلها» ، تحريف.
(١٥) العبق: مصدر عبق الطيب أى انتشر وفاح
(١٦) ل: «والله» تحريف.
(١٧) القدمة: اسم للمرة من القدوم.
(١٨) العتيدة: الكبيرة الجسيمة ـ د : «الجديرة» ، تحريف.
(١٩) النسك: العمل بما أمرت الشريعة أو التزهد وإخلاص العبادة.
(٢٠) الموجبة من الحسنات : التى توجب الجنّة ـ د : «المواهب».
(٢١) د : «اليه».

kitabweb-2013.forumaroc.net

في التهنئة بالمولود[١]

كتابي، عن سلامة ، والله يجعلها له[٢] ضافية اللباس، ثابتة الأساس، أُرجه[٣] الأنفاس، والحمد لله[٤]،

إذا وُلد المـــولود من آل هاشم فقد زيد[٥] في أهل المكارم واحد

ولو وصفتُ ما عندى من انشراح الصدر، وقوّة الظهر، واشتداد الأزر، والمسرّة الزائدة على القدر، لما عرفته من انضمام النجم إلى البدر، وانشعاب الخليج من البحر، ونهوض الصَّقْر من وَكْر الصقر[٦]، بقُدوم الفارس الميمون القَدم[٧] المبارك المقدم، السعيد المولد، الكريم المورد، الشريف المَحْتد[٨]، الذى ملأ العيون قُرة، وغدا فى جبين الدهر غُرّة ـ لكان[٩] العجز دون بلوغ المُراد غايتى بعد الجِدّ والاجتهاد.

وقد مِلت إلى الدعاء لهما بالسلامة والسعادة، والنماء والزيادة، والعلاء والسيادة، حتى يتمتع خليلِ بخليل، ولايخلو مالكٌ من عَقيل[١٠]

---

(١) العنوان فى د : «تهنئة الولادة» ـ م: «بمولود».

(٢) ليس فى ل: «له».

(٣) أُرجة: فائحة.

(٤) م: «ولله الحمد».

(٥) د : «زاد».

(٦) ومن المأثورات قول بعضهم (التمثيل والمحاضرة، ص ٣٦٧):

وحقّ على ابن الصقر أن يشبه الصقرا

وفى ل: «وهنرض السقر من...»، تحريف، والسقر لغة فى الصقر.

(٧) ل: «بقدوم الفارس الشريف الميمون...» ـ م: «المقوم»

(٨) أى الأصل والطبع.

(٩) ل: «فكان».

(١٠) مالك وعقيل: نديما الملك جذيمة الوضاح، نادمهما أربعين سنة، وكانا يحادثانه وما أعادا عليه حديثا قط حتى فرق بينهما الدهر ـ انظر: ثمار القلوب، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

kitabweb-2013.forumaroc.net

في التهنئة بالقضاء

المـراتب وإن جلّت أخطارها[١]، وعظمت أقـدارها، والولايات وإن حلّت[٢] النيّـرين مناكبها، وأشرقت في أفق العلو[٣] كواكبها، فإنها إذا زفت إليه، وأُطْلعت عليه، وحَلّ في ذَراه عقالها[٤]، وحطّت بساحته رِحالها، حقيقة بأن[٥] تتدرّع بمكانه بهاءً وجمالاً، ويملكها الفخر فتختال اختيالاً، وتلبس رداء البهجة قشيباً[٦]، وترعى جناب الأُنس خصيبا، إذ الحاكم يزين الأعمال ولاتزينه، ويحسّن الرتب إذا ترقّى إليها ولاتُحسّنه[٧]

ولابدع فإنه من لا[٨] يُنْظم المجد إلا بخلاله ولا يُعرف الكرم إلا من أفعاله، ولا توجد المحامد إلا في شرائعه، ولا تنشق[٩] المعالي إلا من طبائعه، ولا تُحلّى صدور الأيام إلا بفضله، ولا تتفرّع أفنان الشرف إلا من أصله.

ولهذا أُلْقي أزِمة المظالم[١٠] إلى حُكْمه، وصيّر النقض والإبرام فيه برَسْمه، من غير أن شدّ إليه رَحْل[١١] رغبة، ولبس له ثوْب خطبة، بل رآه السلطان له أهلاً، فبوّأه[١٢] صدره، وعلّمه بأعبائه[١٣] مستقبلاً ففوّض إليه أمره، فالتقيا التقاء الوامق والموموق[١٤]، واعتنقا[١٥] اعتناق الشائق والمشوق،

---

(١) الأخطار: جمع الخطر، وهو الرفعة في القدر والمنزلة.

(٢) ل، د: «حكت».

(٣) ل : «العلا».

(٤) ذراه: كنفه وستره ـ العقال: الحبل يعقل به البعير.

(٥) م: «أن».

(٦) أي جديدا نظيفا.

(٧) ليس في ل الحرف «لا».

(٨) ل: «لم».

(٩) أي لا تطلع ـ وفي م «ولا تشتق»، بمعنى ولا تؤخذ.

(١٠) كذا وردت بداية هذه الفقرة، والمظالم إحدى الولايات، والغرض منها قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ـ الأحكام السلطانية للماوردي (ط، الحلبي، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ص ٧٧.

(١١) ل: : «رحل»، متروك، وهو في م: «رجل»، والمثبت هو الصحيح.

(١٢) بوّأه: أنزله.

(١٣) هذا ما في ل، والذي في م: «باعنأبه».

(١٤) وامق: محب ـ موموق: محبوب.

(١٥) م : «واعتنقها» ، والصواب ما في ل، د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فلم تكُ تصلُح إلا له ولم يك يصلح إلا لها[١]

فأدام الله له[٢] ما ركّبه فيه[٣] من الفضائل، وزاده ما خصّه به من الفواضل، ولا زال نجماً للمكارم والمفاخر مسعوداً، وركناً للمحاسن والمعالي موطوداً[٤]، بمنّه وكرمه[٥]

* * *

(١) البيت لأبي العتاهية ـ انظر: أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص ٦١٢

(٢) د : «فأدام له» ـ وفي م: «فأدام»، مكررة.

(٣) م: «له».

(٤) هذا ما في م ـ والذي في ل: «ولا يزال...»، وفيه وفي د: «نجما للمفاخر مسعودا وركنا للمحاسن موطودا».

(٥) ليس في م: «وكرمه».

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب الثانى
فى الشكر

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[في الشكر]

إنعامُ الشيخ ـ أطال الله بقاءه، وأدام علاءه[١]، وجعل من لم يعتقد ولاءه[٢] فداءه ـ ظلّ يشمل الأبْعد والأقْرب، ومُزن[٣] يسقي المُجْدب والمُخْصب، وإحسانه ربيع للكافّة ناضر[٤]، وإفضالُه نعيم للبادى والحاضر حاضر[٥]، وله فى ذلك من المنّة الخالدة، واليد الطارفة والتالدة[٦]، ما يُفيده شكراً يرتضيه، وحمداً[٧] لاينتهى، وإن[٨] جَدّ معيده ومبديه.

فإذا صنع صنيعة، وقلّد يداً بديعة، ومنح فائدة بادئه وعائدة، وفعل فعلةً يفتتح بها صحائف المعالى، ويغفر معها ذنوب الليالى ـ جرى على خلق له[٩] ألف المجد إلْف الطُّرف للوسن[١٠]، وامتزج بالمكرمات امتزاج الروح بالبدن،

سجيّة صبّ[١١] بالمعالى متيّم ... وعادة حرٍّ بالمحامد مغرم
يعدّ ابتناء المجد أكرم مغنم ... ويعلم فوت[١٢] الشكر أعظم مغرم

ومن شَكر مساعيه التى هى أظهرُ آثاراً[١٣] من زُهْر النجوم فى الليل البهيم، وأذكى روائح من الوَرد يعانق أنفاسه أنفاس النسيم ـ كان كمن شكر المسك على سُطوعه، والبدر على طلوعه، والغيث فى انهماره، واللّيث فى اقتداره.

ومن ادّعى الإحاطة بشكر عوارفه التى تُخجل الروض فى وَشْى زخارفه، ونَشر صنائعه التى تُعجز الفكر عن وصف بدائعه ـ فقد ادّعى محالاً، ورام لمس النجم منالاً، ومتى يُحيط بها

(١) م: «إنعام الشيخ أدام الله علاه».
(٢) ل: «وداده».
(٣) المزن: السحاب.
(٤) ل: «ناظر»، تحريف.
(٥) البادى: المقيم فى المضارب والخيام، وهو خلاف الحاضر المقيم فى المدن والقرى ـ د: «حاضر»، سقط.
(٦) الطارف: المال المستحدث، خلاف التالد وهو كل مال قديم يورّث عن الآباء ـ د: «الطارفة التالدة».
(٧) لم يرد فى ل واو العطف، قبل «حمداً»، وهو فى : م، د.
(٨) لم يرد فى ل واو العطف قبل «إن»، وهو فى: م، د.
(٩) م : «له»، متروك.
(١٠) الوسن: أول النوم.
(١١) صب: مشتاق عاشق.
(١٢) كلمة «فوت» غير واضحة فى م، والبيت كله مطموس يتعذر تمييز كلماته فى د.
(١٣) وردت «أطهر» فى ل بالطاء المهملة، والكلمة لم ترد فى م، وفى هامشه لفظة يتعذر قراءتها ـ وفى ل: «آثارا»، متروك.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الإحصاء، أو يشتمل عليها[١] الاستقصاء؟ ومتى يُحَدّ الهجر، أو يعَدّ القطر[٢]؟ وكيف يحصى النمل، أو يُحْصر الرمل[٣]؟.

ولكنى اعتمدتُ فضله المتفتّق الأنوار[٤]، وكرمه المتألّق الأقمار، ومجده المشيد المبانى، وشرفه المعمور المغانى، وخلائقه المسكيّة النَّشْر[٥]، وشمائله الضاحكة الزَّهْر، وهممه العالية المراتب، السامية المناكب، الثاقبة الكواكب[٦]، التى سارت مسير الشمس والقمر، وهبّت هبوب الرياح فى البَدْو والحضر، وأياديه التى أحدقتْ بى إحداق الفضل بأقطاره، وفاضت علىّ فيض الغمام المنهلّ بقطاره[٧]، ونعمه التى ابتسمت عندى ابتسام المكارم فى أخلاقه، وأشرقتْ لدىّ إشراق نجوم[٨] المجد فى آفاقه، ومننه التى ردّت الشكر قصير الباع، ضيّق الرِّباع، حصِر[٩] اللسان والبيان، عمّا يُوليه من الإنعام والإحسان.

هذا، وللصنائع منازل تختلف، وللعوارف مراتب لا تأتلف، فمنها ما يَقضى الشكر حقّه[١٠] يداً بيد، ويصادفه نقداً بنقد، ومنها ما يكون كثير الشكر فى جَنْبه قليلاً، وينْثنى لسان النَشْر[١١] عنه كليلاً.

فأما ما يُوليه الشيخ، فإن أقلّه ـ ولا قليل فيه ـ أجلُّ من أن يحيط بذكره لسان، وأصغرُه ـ ولا صغير فى أياديه ـ أكبر[١٢] من أن يجمْع أطراف وصفه[١٣] بنان أو بيان، وإنما الصنيعة على قَدر مُوليها، والعارفة فى وَزَان[١٤] مُسديها، واليد مقيسة على مُهْديها، والبنيان فى

---

(١) م: «ويشتمل...» ـ ولم يرد فى د: «عليه».

(٢) كذا فى ل ـ والذى فى م: «يعده» موضع «يحده» ـ وفى د: «ومتى يعد القطر و(كلمة غير واضحة لعلها: يصد) الهجر» ـ والمرجح أن لفظة «البحر» أولى فى هذا السياق من «الهجر».

(٣) كذا فى م، والذى فى ل: «يحصى» بدل «يحصر» ـ وفى د: «... الرمل ... النمل».

(٤) الأنوار: جمع النور وهو الزهر ـ ل: «المتفق...».

(٥) النشر: الريح الطيبة.

(٦) د: «الكواكب... المناكب».

(٧) القُطار، بالضم: العظيم القطر من الغيث، وبالكسر؛ جمع قطر وهو المطر.

(٨) ترك ل هذه الكلمة، وهى فى م، د.

(٩) الحصر: العىى فى المنطق، الذى لا يقدر على الكلام.

(١٠) ل: «بحقه».

(١١) ل: «وينثنى لسان الشكر»، والصواب من م، د.

(١٢) م: «أكثر».

(١٣) ل: «وصله»، والصواب من: م، د.

(١٤) يعال هو فى وزانه ووزنه وزنته أى قبالته وعدله وحذائه ـ انظر: لسان العرب (وزن)، ١٧/٣٣٩.

kitabweb-2013.forumaroc.net

شرف[١] بانيه وشائده، والإحسان[٢] مُفْرغ فى قالب مؤْتيه وعاقده.

وأنا إذا رُمْت مقابلة آثاره[٣] الغُرّ لديّ، وقضاء حقّ نعمته الواجب[٤] عليّ، كنت كمن يروم تناول البدر، ويلتمس لمس الأنجم الزُّهر، ومثل هذه المكرمة لايهتدى لها[٥] إلا الشيخ، وهو المهتدى فى الكرم إلى الدقائق، والمُعيد فيه مجازات المجد إلى الحقائق،

ينال بأدنى سعيه أبعد المدى ... ويبلغ بالمعروف كلّ مكان
فيصبح موصوفا بكلّ فضيلة ... ويصبح ممدوحًا بكل لسان

لكنى أقتصر على ثناء أُثْنى نحوه مقانبه[٦]، وإطراء أُجهِّز إليه كتائبه، ودعاء أُطلع له كواكبه[٧]، ونَشْر لمعاليه أملأ منه المسامع، وشكر لها يُوليه من مساعيه أُحلّى به المجامع، وذكر يعير المسْك مفتوقًا[٨]، ويُخجِل الروض مصبوحًا ومغبوقًا[٩]

فإن اكتفى منى به أرضيتُه ... أولا فمن يسْطيع لمس الأنجم

وأما ما أفاضه علىّ من فواضله، بما أفاضه إلىّ من فضائله[١٠]، واستيفاء حظى من الجمال[١١] بمواصلته واستكمال قسطى من الشرف بمراسلته ـ فإنه جرى فيه[١٢] على نمط طالما عوّدنيه، وما دعاه إليه إلا فضله البسيط حواشيه[١٣]، وكرمه الوافى قوادمه وخوافيه[١٤]، والله يوفّقنى لشكر البعض من مساعيه، فأمّا الكلّ فلا مَطمع لى فيه.

---

(١) الذى فى م: «والبانى شرف» ـ وفى ل، د: «والبنان فى شرف»، ولعل المثبت قريب من الصواب.
(٢) م: «الإحسان»، محذوف الواو قبله.
(٣) م: «آثاره»، ل: «اساره»، والمثبت ما فى د.
(٤) ل: «الواجبة».
(٥) م: «المكرمات... إليها»، والمثبت من: ل، د.
(٦) ليس فى د: «نحوه» ـ مقانب: جمع مِقنب، وهى جماعة الفرسان والخيل ـ وفى م: «مغانيه»، تحريف.
(٧) ل: «الراكبه»، تحريف.
(٨) كذا فى ل، د ـ يعير : يعيب ـ مفتوق: مطيّب مخلوط بالعنبر ـ وفى م: «يعير المسك مفتوحا ومفتوقا»، وفيه زيادة لامعنى لها.
(٩) المصبوح: الذى سُقى الصبوح، وهو ما يؤكل أو يشرب غدوة ـ المغبوق الذى سقى الغبوق، وهو ما يؤكل أو يشرب بالعشى.
(١٠) ليس فى ل: «بما...»، وهو فى : م، د.
(١١) ليس فى ل: «من الجمال»، وهو فى : م، د.
(١٢) م : «منه».
(١٣) البسيط: الواسع المنبسط ـ حواشيه: جوانبه ـ ل: «وما دعاه عليه إلا بفضله...».
(١٤) القوادم: ريشات الطائر فى مقدم جناحيه، والخوافى: ما يخفى منها إذا ضمها.

kitabweb-2013.forumaroc.net

نعم، وللكرم ـ أدام الله تأييد الشيخ ـ حقوق معروفة، وشروط محفوظة، وسُنن مسنونة، وفُروض مفروضة، ومِن فواتح كتابه، وأوائل أبوابه، أن النِّعمة السالفة، تُشفَع بالنعمة الآنفة[١]، واليد التالدة تطرق اليد[٢] الطارفة، وابتداء الصنيعة سُنَّة مسنونة معلومة، وترتُّبها[٣] فريضة محتومة.

وإنّما تحسُن الروضة بالغدير، ويُذْكر الخورنق مع السَّدير[٤]، والأوّل يزينه الآخر، والغائب يُحيى ذكره الحاضر، والأيادى بأترابها[٥]، وحُسن اللآلى زائد فى أصحابها[٦]، والشيخ صَدْر الأكارم، وقيِّم[٧] المعالى والمكارم، وهو أخلق[٨] بهذا الخُلق، وأطْلَعُ من هذا الأفق، وأهْدى بهذه الطرق.

وها أنا إن أفضتُ فى شكر أياديه الجسام، وذكر مساعيه العظام، وعدِّ ما أولانيه من آلائه، وأفاض علىّ مِن نعمائه، وقَسم لى مِن رأيه الجميل، وإحسانه الجزيل، ورعايته الزائدة على التقدير، ما لم تهتد إليه آمالى[٩]، ولم يَطمع فيه أحد من أشكالى، ولم تطمَح إليه همّتى[١٠]، ولم يبلغه ظنّى ومُنيتى[١١]، وخلَع علىّ مرّة ثانية خلعًا[١٢] خالعة لأكباد الحسّاد، عائدة علىّ بجمال عالى[١٣] العماد، مُتّصل الأسباب، باق على الأحقاب للأعقاب[١٤]، جريًا منه على ما شاكل تلك الهمّة العظيمة[١٥]، والأخلاق الكريمة، والرُّتبة العَلِيّة، والنَّفْس الأبيّة السريّة، والنيّة

(١) ل «الآلفة»، والمثبت ما فى م، د.
(٢) ل: «تطرف لليد»، والصواب ما فى م، د.
(٣) كذا فى د ـ الترتب: الثبات ـ م: «وتربيتها» ـ ل: «وترتيبها».
(٤) الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة، يقال إن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو أمر رجلا من الروم اسمه سنمّار ببنائه، والعرب تضرب الأمثال بهذا القصر، وتذكره فى أشعارها وأخبارها مع قصر آخر قريب من الخورنق، هو السدير، اتخذه النعمان لبعض ملوك العجم ـ معجم البلدان (الخورنق) ٢/٤٩٠ – ٤٩٤، (السدير) ٣/٥٩ – ٦٠، وفى ل: «والسدير».
(٥) الأتراب: الأقران واللِّدة.
(٦) م: «اصطحابها».
(٧) القيِّم: السيد السائس للأمور ـ ل: «وقيمة» تحريف.
(٨) ل: «فهو».
(٩) ليس فى ل: «اليه».
(١٠) ل: «ولم يطمح بهمتى».
(١١) ل: «وأمنيتي»، وكلاهما صحيح، بمعنى ما يتمناه الإنسان.
(١٢) الخِلَع: الثياب التى تخلع ثم توهب أو تمنح، واحدها خلعة ـ وفى م: «مرة وثانية..» والمثبت ما فى ل، د.
(١٣) ل: «على».
(١٤) م: «باقى على الأحقاب والأعقاب».
(١٥) ل: «ما شكل تلك التهمة»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

النقيّة القويّة ـ لما رضيتُ الأرض طِرسًا، والبحر نِقْسًا[١]، والشجر أقلامًا، وأنفاس الرياح[٢] كلامًا.

ولم لا؟ وأنا غَذىّ نعْمته، وربيب منّته، والناشئ فى حجْر أياديه البيض، والآوى إلى ركن إفضاله الشائع المستفيض،

وما أنا إلا عبدُ نعمتك التى
نُسِبتُ إليها دون رهْطى ومَنْصبى[٣]
ومَوْلى أياد منك بيض متى أُقُلْ
بآلائها فى مشهد لم أُكذَّب[٤]
فآليتُ لا أنسى بلوغى بك العُلا
على كَرّة شتّى مِن شُهود وغُيّب[٥]
ودَفْعى بك الأعداء عنّى وإنّما
دفعتُ بركْن من «شَرَوْرَى» ومَنْكب[٦]

(١) الطرس: الصحيفة ـ النقس: المداد الذى يكتب به.
(٢) م: «الريح».
(٣) هذا البيت والأبيات التالية له للبحترى (ديوانه ١٩٤/١ – ١٩٥) وينسب هذا البيت والذى يليه لأحمد بن أبى طاهر فى: المنتخل ص ١٠٥
الرهط: القوم والقبيلة ـ المنصب: الأصل والمنبت.
(٤) ديوان البحترى: «لا أكذب» ـ م: «متى»، سقط.
(٥) ديوان البحترى: «وآليت» ـ م: «بلوغى إليك...».
(٦) شرورى: جبل مطل على تبوك فى شرقها ـ انظر: معجم البلدان ٢٨٢/٣ – ٢٨٣.

kitabweb-2013.forumaroc.net

كتاب له مفرد في الشكر[١]

كتابي، عن سلامة، والله يجعلها لك[٢] مُطمئنّة المِهاد، وارية الزناد، عالية العماد، مُتوالية الأمداد، مُربية على الأعداد.

والنعم ـ أدام الله الشيخ ـ مختلفة المنازل والمواقع، مُتفاوتة المراتب والمطالع، فمنها ما يُقْضى حقّه بديهة[٣]، ومنها ما يَشُدّ له الشاكر نطاقه[٤]، ويُمدّ فيه رواقه[٥]، ويَقْصر عليه جهده وعفوه، ويستنفد فيه كَدَره وصفْوه، ويَشغَل به زمانه، ويصرف إليه[٦] عن غيره لسانه، ثمّ يرجع مُنهدّ العَمد، منتهياً دون الأمد[٧]، متدرّعا[٨] لباس القُصور، معترفًا بالعَجز والحُسور[٩]

وهذه حالي فيما أَنعَم به عليّ[١٠]، الشيخ من القبول الذى لَبستُ به العزّ طويل الذُّيول، والجمال وافي الغُرر والحُجول[١١]، ورضِيتُ في ظلّه عن الزمان، وهو جمّ العثرات ، وغفرتُ مساءة الحوادث، وهي زائدة على الحسنات، ونظرتُ إلى الدهر وهو بمائه، ورأيت السعد وهو[١٢] في تمام إشراقه.

وكيف لا؟ وقد كنتُ والوساوس[١٣] تهْجس في خاطري، وتتصوّر لناظري أرى[١٤] العيش أسود، والأُنس أربد[١٥]، والأيّام عابسة، والعيدان يابسة، والنفس متّقدة[١٦]، والجوانح مضطربة[١٧]، أسفًا على حظّي عنده أن يكون مبخوسًا، ونجمي في أفقه أن يكون منحوسًا،

---

(١) لم يرد هذا الكتاب كله في د.

(٢) م: «له».

(٣) البديهة: أول كل شيء وما يفجأ منه ـ وزاد ل بعده لفظة «الشكر»، ولا وجه لها.

(٤) النطاق: كل ما يشدّ به الوسط.

(٥) الرّواق بكسر الراء وضمها: سقف في مقدم البيت أوستر يمدّ دون السقف.

(٦) ل: «ويطرف عليه» تحريف.

(٧) م: «الأبد».

(٨) ل: «مدرعا»، وكلاهما صحيح.

(٩) الحسور: الإعياء والكلل.

(١٠) م: «علي»، متروك.

(١١) الحجول: جمع الحجْل بفتح الحاء وكسرها، وهو البياض أو الخلخال.

(١٢) م: «وهو»، سقط.

(١٣) ل: «والأساس»، تحريف.

(١٤) ل: «لدى»، تحريف.

(١٥) أربد: من الرّبدة، وهي الغبرة، أو كلون الرماد.

(١٦) م: «متقدة ملتهبة»، وفيه زيادة.

(١٧) كرر ل هذه الكلمة.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ونصيبى من إحسانه أن يكون قليلاً، ورأيه فى اصطناعى أن يكون كليلاً، على أنّى لم أكن أخلو فى حالٍ من الأحوال من إنعامه الممتدّ الظلال، وإيجابه السابغ[١] السِّربال، ولكنى لم أكن أرضى بالكفاف، ولا أقتصر على الظاهر المصقول الأطراف.

ولو كنت أعلم أنّ[٢] لشكرى فى هذه النعمة مجالاً، ومن هذه المنة موقعًا ومقالاً،[٣] لقدّمت ما يُضاهى الأخضر المطور، ويُبارى الأخْصَرَ[٤] المسجور[٥]، ولكنى عرفتُ العجز فاعترفتُ به، ورأيتُ بُعدَ المَرام فأمسكتُ دونه.

ولازالت[٦] أيادى الشيخ سابقة شُكر الشاكر، مُعجزة قوّة الناشر[٧]، مُستنفدة جهد الناظم والناثر، ولا أخلاه الله من نعمة غضّة المكاسر[٨]، ودولة مُحصدة المرائر[٩]، وغُرة ميمونة الموارد والمصادر، ما ظهر فى الروض الناضر، صنع السحاب الماطر، بمنّه وكرمه.

(١) السابغ: المتسع الوافى.
(٢) ليس فى ل: «أنّ».
(٣) ل: «ومنالا».
(٤) كذا فى م، وماء خصر أى بارد، والذى فى ل: «الأخضر».
(٥) المسجور: المملوء ـ م: «المسحور».
(٦) م: «لازالت» محذوف الواو قبله.
(٧) ليس فى ل: «الناشر».
(٨) غضّة: طرية ناعمة ـ المكاسر: جمع المكسر وهو من الشجرة أصلها حيث تكسر منه أغصانها.
(٩) مُحصدة: محكمة الفتل ـ المرائر: الحبال المفتولة على أكثر من طاق.

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[في الممادح والأثنية]

الكَرَم ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ أَمْرٌ[١] طالما هُجرت مغانيه[٢]، ونُسيت ألفاظه ومعانيه، هذا[٣] وكلٌّ ينتحله ويدّعيه، ويزعم أنه الإمام فيه.

وهيهات لا تبطش الكفّ بلا ساعد، ولا تُقبل الدعوى بلا شاهد، ومن رام أن يتبيّن تقصيره، ويتحقّق ظاهر عجزه وتفسيره[٤]، فلينظر إلى الشيخ كيف يتلو صحائفه، ويَجلو طرائفه، ويعمر مدارسه، ويُحيي دوارسه[٥]، ثم ليقسْ حاله بحاله، ويزن فعاله بفعاله[٦]، فإن بلغ مداه[٧]، وانبسطتْ لمثل سُؤدده يداه، وإلا تميّز الصاعد من النازل، وتبيّن المفضول سَبْق الفاضل،

يريد الأنام مدى جعفر ... ولايَصْنعون الذى يصنعُ[٨]
وليس بأوسعهم ثروةً[٩] ... ولكنّ معروفه أوسع

قد كنت أسمعُ من[١٠] قبل بسفاتج[١١] المال، ولم أسمع بسفاتج الجمال، وأعرف بريد الأخبار، ولا أعرف بريد الأخطار، حتى أتاني برّ الشيخ من كلّ طريق[١٢]، وطالعني به كلّ عدوّ وصديق، فادّرعتُ به شرفًا، واهتززتُ من أطرافي صَلَفًا[١٣]، ولم لا؟

وقد أعادني ما خصّه الله به من الأوصاف، عادلاً من الإنصاف إلى الإسراف فنظم العقد،

---

(١) م: «أمر»، متروك.
(٢) المغانى: المواضع التى كان بها أهلوها، واحدها مغنى.
(٣) ل: «وهذا».
(٤) كذا فى النسخ، والتفسير بمعنى الإبانة والكشف والتأويل.
(٥) الدوارس: ما عفا وانمحى من الرسوم ـ ولم يرد فى م : «ويحيى دوارسه».
(٦) ل: «بفعله».
(٧) ل: «هداه» تحريف.
(٨) البيتان لأشجع بن عمرو السلمى يمدح جعفر بن يحيى البرمكى، وروايته فى الأغانى ١٨/ ٢٢٥، وكتاب الصناعتين ص ١٠٠ «يريد الملوك... كما يصنعون..».
(٩) فى المصدرين السابقين: «فى الغنى» موضع «ثروة».
(١٠) ل «من» متروك.
(١١) السفاتج: جمع سفتجة، تعريب سفته، بمعنى المحكم، وهى إقراض لسقوط خطر الطريق ـ التعريفات لأبى الحسن الجرجانى (ط الرسمية، تونس، ١٩٧١م) ص ٦٤، أو هى كتاب صاحب المال إلى عامله بإعطاء مال لآخر، وهو ما يسمى فى عصرنا بالحوالة التجارية.
(١٢) م: «الطريق»، والمثبت من ل.
(١٣) الصلف: الغلوّ فى الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر ـ وهو فى م بالضاد المعجمة.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ونثر الوَرْد، ونشر الحبير[١]، وذَرّ العبير[٢]، وجلا الروض المطير[٣]

ولو شاء كَفّ عن[٤] غَرْبه[٥] قليلاً، وترك للقاصدين إلى مجازاته سبيلاً، ولم يُخْبِ سناء السِّراج بضوء النهار، ولم يدع البحر يَطْمو فيطَمّ آذِيّه[٦] على الأنهار، ولكنه أراد أن يُسلم[٧] السبق للسباق، وأن لا يُجرى في المضمار[٨] غير العتاق[٩]

ولم أزلْ أعرف من فضل الشيخ وشهامته، وعقله وصرامته، وطهارة خلائقه، واعتدال مذاهبه في الحرِّيّة[١٠] وطرائقه، ما يرغِّبني في مواصلته، ويحرِّضني على مراسلته، وأسمع الناس ينشدون[١١] قول الحَكَمي[١٢]:

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقول البحتري[١٣]:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عُدّ ألفٌ بواحد

فأحسبهما لَغْواً من الكلام ليس[١٤] وراءه طائل، وهَذْراً[١٥] من القول ما معه حاصل، حتّى شاهدتُ منه ما صدَّقهما، وثبّت قواعدهما وحقّقهما، وعلمتُ أن لا يُستنكر[١٦] اجتماع فضائل الحقّ في واحد، وتألُّف أشتات المكارم والمحامد لماجد، حتى يكون أمّة في

---

(١) الحبير: البُرْد الموشّي المخطط أو الثوب الناعم الجديد.

(٢) العبير: ضرب من الطيب أو أخلاط منه تجمع بالزعفران ـ ل: «وذر الحبير». خطأ.

(٣) م: «المطير»، سقط.

(٤) ل «من».

(٥) الغرب: الحدّة في السيف واللسان.

(٦) يطمو: يمتلئ ويرتفع ماؤه. ـ يطم: يعلو ويغمر ـ الآذى: الموج.

(٧) م: «يسبق»، وليس بشيء.

(٨) المضمار: الموضع تضمر فيه الخيل للسباق ـ م، ل: «المضار»، تحريف.

(٩) العتاق: جمع العتيق وهو الفرس الرائع الكريم.

(١٠) الحرية بمعنى الكرم، وفي لسان العرب (حرر) ٢٥٥/٥: «وحرية العرب أشرافهم... ويقال هو من حرّية قومه أي من خالصهم» ـ ل: «مدامته» وهو تحريف، موضع «مذاهبهم».

(١١) د: «ينشدون»، متروك.

(١٢) م: «قول الحكمي»، متروك ـ والحكمي هو أبو نواس الحسن بن هانئ، والبيت في ديوانه ص ٨٧، وروايته في ديوانه (تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي) ص ٤٥٤: «ليس على الله...».

(١٣) ديوانه ٦٢٥/١، وفيه: «تفاوتت إلى الفضل...» ـ وفي ل: «مثال... لدى الفصل... إلفا...».

(١٤) اللغو: الكلام الذي لا يعبأ به ـ ل: «وليس».

(١٥) الهذر: الهذيان أو إكثار الكلام.

(١٦) ل: «ماصدقها وثبت قواعدها وحققها وعلمت أن يستنكر»، والمثبت من: م، د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

شخص رجل، وجماعة في صورة فرد، وعالمًا في تركيب إنسان، فقد اطّلعت منه على سيّد ألقتْ المعالي إليه مقاليدها[١]، ووقفت عليه أسانيدها[٢]، وقررّت به الليالي المُظلمة[٣] معاذيرها، واستصغرت معه الأكارم[٤] مقاديرها، وصَحِبتْ منه كريمًا يشتمل[٥] على الشيم الفائحة بروائح الكرم[٦]، ومُنعمًا يطوّق[٧] الرقاب بنعَمه، ويعلو النجوم بهممه[٨]، ويَسترق الأحرار بكرمه،

وماجدٍ زانَ آباءً له كرمًا[٩] وعاد من بعْدُ فيهم غُرّة الغررِ

ووقفت على فضائل عرّفتني أن النقص في الأنام ظاهر وَفْر[١٠]، وأن عدد الأفاضل قليل نَزْر[١١]، وأعلمتني[١٢] أن الزمان بالكرام عقيم، وأن دهرًا سَخَا به جواد[١٣] كريم، وأن حضرته[١٤] حضرة المجد وساحة الحمد، ومعدن المآثر، وموطن المفاخر، وأنّ من خدمها أقبلت إليه الأماني وفدًا، وحُشدت له السعادات[١٥] حشدًا، ولقي المجد في حيث قُطعت تمائمه[١٦]، والكرم حين رُفعت معالمه، وشاهد غيثًا تُزْهر[١٧] النِّعم من قطاره، وليّثًا يَطلُع البَدر من أزراره، وإنسانًا يقلّ العالم في قَدْره، ورجلا يَضلّ الدهر وأبناؤه في حواشي صدره.

وها أنا في زُمْرة المفتخرين بتلك الخدمة، المتقلّبين في تلك النعمة، المتشوّقين إلى تلك

---

(١) المقاليد: الخزائن أو المفاتيح ـ د: «مقالدها».

(٢) الأسانيد: جمع السند، وهو في الحديث النبوي: اتصال رواته، والمسند ما اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي صلى الله على وسلم ـ د: «أفنت» موضع «وقفت».

(٣) ل: «وقرت...»، م: «الظلله»، د: «الظالمة، ولعل المثبت هو الوجه الصحيح.

(٤) م: «... منه الأكارم» ـ وكرر ل: «معه»، وفيه «المكارم».

(٥) ل، د: «اشتمل».

(٦) ل: «الكريم».

(٧) ل: «يختم».

(٨) م : «النجم بهمة».

(٩) م، د: «وماجد زال أباله...»، ل: «آباء له عزيز»، ولعل المثبت هو الصحيح.

(١٠) أي كثير واسع ـ ل: «ن النبض في.... وقره»، تحريف.

(١١) أي قليل تافه ـ ل: «نزره».

(١٢) من لفظة «عرفتني» إلى هذا الموضع سقط في د، وهو قدر سطرين.

(١٣) ل: «لجواد».

(١٤) الحضرة: فناء الرجل وقربه.

(١٥) ل: «السعادة وحشدا»، والمثبت من م.

(١٦) التمائم: جمع التميمة، وهي خرزة تثقب، ويجعل فيها سير وخطوط لتعلق، ثم يتعوّذ بها ـ انظر: لسان العرب (تمم) ٣٣٦/١٤.

(١٧) ل، د: «زهر».

kitabweb-2013.forumaroc.net

الحضْرة، التى يتجمّل العالَم بجمالها، والرّتبة التى تَقْصُر النجوم الزُّهر دون منالها، غير جاهل بما فيه من الفخر الذى لو اكتساه النجم لأضاء بدراً، والمحلّ الذى لو حلّته الشمس لما طَلعتْ كبْراً، والمأثُرة البِكر التى هى ديباجة[١] الدنيا ومَكْرُمة الدهر، والسُّدّة[٢] التى أضحتْ رفيعة المَناكب، منيعة الجوانب، مُوطّأة الأكناف للأشراف، متّسعة الأقطار للأحرار، عذبة المناهل للأفاضل.

ولا غرو أن سبق[٣] إلى ابتناء المعالى، وشمائله هى التى يَنْبُن مناب البارد العذب[٤]، ويَقْمن مقام النَّور فى ناضر[٥] العُشب، وشيمه هى التى تصبو إلى الكرم صُبُوّ الروض إلى الدِّيم[٦]، وتحرص على العلياء حرص الظَّمْاء إلى الماء[٧]، وكلّ هذا مقتضى همّة بالسِّماك[٨] منتعلة، وسَجيّة على خصائص العلا والمجد مُشْتملة، ولابدع أن تنْهلّ على أوليائه سماء نعمائه، ويُسْبغ على المعتدّين بنضارة زمانه وعلوّ سلطانه، أذيال إفضاله وإحسانه.

هذا ومن احتاج إلى[٩] المجد: يَفتُق زهره، وينشُر حبره[١٠] ويَلبس حُجُوله وغُرره، ويَمْلك مُسْبغه ومُخْتَصره إلى هاد يَشحَذ بصره[١١]، ويُعرّفه[١٢] وِرْده وصدره، فالشيخ يسبق فيه سيله مطره، وتفوق عينه أثره، ويُصغّر خُبْره خَبَره، وينْسى مُحْتضره منتظره[١٣]

وإذا افتقر بيت بخراسان[١٤] إلى مُقرّظ يصف مفاخره، ويذكُر أوّله وآخره، فبيته فى

---

(١) الديباجة: بمعنى الحسن، وديباجة الوجه: حسن بشرته ـ م: «الذى هى..»، ل: «ذماجة»، تحريف.

(٢) السُّدة: كالظُّلة، تكون على باب البيت لتقيه من المطر، أو هى الباب نفسه، أو الفناء.

(٣) ل: «يسبق».

(٤) م: «العذب البارد».

(٥) ل: «ظاهر».

(٦) الديم: جمع ديمة، وهى مطر يدوم فى سكون.

(٧) ل: «العلياء...»، سقط.

(٨) السِّماك: واحد السماكَيْن، وهما نجمان نيّران، أحدهما السماك الأعزل، والآخر السماك الرامح ـ انظر: لسان العرب، (سمك) ٣٢٨/١٢.

(٩) م: «فى»، والمثبت من: ل، د.

(١٠) ل: «خبره».

(١١) د: «بصره»، متروك.

(١٢) ل: «ويعرف».

(١٣) د: «وينسى...» متروك.

(١٤) قال الحموى يصف خراسان: «بلاد واسعة، أول حدودها مما يلى العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد، منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس...» ـ معجم البلدان ٤٠٩/٢ – ٤١٥.

kitabweb-2013.forumaroc.net

شخص رجل، وجماعة في صورة فرد، وعالمًا في تركيب إنسان، فقد اطّلعت منه على سيّد ألقتْ المعالي إليه مقاليدها[١]، ووقفت عليه أسانيدها[٢]، وقررّت به الليالي المُظلمة[٣] معاذيرها، واستصغرت معه الأكارم[٤] مقاديرها، وصحبتْ منه كريمًا يشتمل[٥] على الشيم الفائحة بروائح الكرم[٦]، ومُنعمًا يطوّق[٧] الرقاب بنعمه، ويعلو النجوم بهممه[٨]، ويَسترق الأحرار بكرمه،

وماجدٍ زان آباءً له كرمًا[٩] وعاد من بعْدُ فيهم غُرّة الغررِ

ووقفت على فضائل عرّفتني أن النقص في الأنام ظاهر وَفْر[١٠]، وأن عدد الأفاضل قليل نزْر[١١]، وأعلمتني[١٢] أن الزمان بالكرام عقيم، وأن دهراً سَخَا به جواد[١٣] كريم، وأن حضرته[١٤] حضرة المجد وساحة الحمد، ومعدن المآثر، وموطن المفاخر، وأنّ من خدمها أقبلت إليه الأماني وفداً، وحُشدت له السعادات[١٥] حشداً، ولقي المجد في حيث قُطعت تمائمه[١٦]، والكرم حين رُفعت معالمه، وشاهد غيثًا تُزْهر[١٧] النِّعم من قطاره، وليّثًا يَطلُع البَدر من أزراره، وإنساناً يقلّ العالم في قَدْره، ورجلا يَضلّ الدهر وأبناؤه في حواشي صدره.

وها أنا في زُمْرة المفتخرين بتلك الخدمة، المتقلّبين في تلك النعمة، المتشوّقين إلى تلك

---

(١) المقاليد: الخزائن أو المفاتيح ـ د: «مقالدها».

(٢) الأسانيد: جمع السند، وهو في الحديث النبوي: اتصال رواته، والمسند ما اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي صلى الله على وسلم ـ د: «أفنت» موضع «وقفت».

(٣) ل: «وقرت...»، م: «الظلله»، د: «الظالمة»، ولعل المثبت هو الوجه الصحيح.

(٤) م: «... منه الأكارم» ـ وكرر ل: «معه»، وفيه «المكارم».

(٥) ل، د: «اشتمل».

(٦) ل: «الكريم».

(٧) ل: «يختم».

(٨) م: «النجم بهمة».

(٩) م، د: «وماجد زال أباله...»، ل: «آباء له عزيز»، ولعل المثبت هو الصحيح.

(١٠) أي كثير واسع ـ ل: «ان التبض في.... وقره»، تحريف.

(١١) أي قليل تافه ـ ل: «نزره».

(١٢) من لفظة «عرفتني» إلى هذا الموضع سقط في د، وهو قدر سطرين.

(١٣) ل: «لجواد».

(١٤) الحضرة: فناء الرجل وقربه.

(١٥) ل: «السعادة وحشدا»، والمثبت من م.

(١٦) التمائم: جمع التميمة، وهي خرزة تثقب، ويجعل فيها سير وخطوط لتعلق، ثم يتعوّذ بها ـ انظر: لسان العرب (تمم) ٣٣٦/١٤.

(١٧) ل، د: «زهر».

kitabweb-2013.forumaroc.net

الحضْرة، التي يتجمّل العالَم بجمالها، والرّتبة التي تَقْصُر النجوم الزُّهر دون منالها، غير جاهل بما فيه من الفخر الذي لو اكتساه النجم لأضاء بدراً، والمحلّ الذي لو حلّته الشمس لما طَلعتْ كبْراً، والمأثُرة البكر التي هي ديباجة[١] الدنيا ومَكْرُمة الدهر، والسُّدّة[٢] التي أضحتْ رفيعة المَناكب، منيعة الجوانب، مُوطّأة الأكناف للأشراف، متّسعة الأقطار للأحرار، عذبة المناهل للأفاضل.

ولا غرو أن سبق[٣] إلى ابتناء المعالي، وشمائله هي التي يَنْبُن مناب البارد العذب[٤]، ويَقْمن مقام النّور في ناضر[٥] العُشب، وشيمه هي التي تصبو إلى الكرم صُبُوّ الروض إلى الدّيم[٦]، وتحرص على العلياء حرص الظّماء إلى الماء[٧]، وكلّ هذا مقتضى همّة بالسِّماك[٨] منتعلة، وسَجيّة على خصائص العلا والمجد مُشْتملة، ولابدع أن تنْهلّ على أوليائه سماء نعمائه، ويُسْبغ على المعتدّين بنضارة زمانه وعلوّ سلطانه، أذيال إفضاله وإحسانه.

هذا ومن احتاج إلى[٩] المجد: يَفتُق زهره، ويَنشُر حبره[١٠] ويَلبس حُجُوله وغُرره، ويَملك مُسْبغه ومُختَصره إلى هاد يشحذ بصره[١١]، ويُعرّفه[١٢] وِرْده وصدره، فالشيخ يسبق فيه سيله مطره، وتفوق عينه أثره، ويُصغر خُبْره خبَره، وينْسي مُحْتضره منْظره[١٣]

وإذا افتقر بيت بخراسان[١٤] إلى مُقرّظ يصف مفاخره، ويذكُر أوّله وآخره، فبيته في

---

(١) الديباجة: بمعنى الحسن، وديباجة الوجه: حسن بشرته ـ م: «الذي هي..»، ل: «ذماجة»، تحريف.

(٢) السُّدة: كالظُّلة، تكون على باب البيت لتقيه من المطر، أو هي الباب نفسه، أو الفناء.

(٣) ل: «يسبق».

(٤) م: «العذب البارد».

(٥) ل: «ظاهر».

(٦) الديم: جمع ديمة، وهي مطر يدوم في سكون.

(٧) ل: «العلياء...»، سقط.

(٨) السِّماك: واحد السماكيْن، وهما نجمان نيّران، أحدهما السماك الأعزل، والآخر السماك الرامح ـ انظر: لسان العرب، (سمك) ٣٢٨/١٢.

(٩) م: «في»، والمثبت من: ل، د.

(١٠) ل: «خبره».

(١١) د: «بصره»، متروك.

(١٢) ل: «ويعرف».

(١٣) د: «وينسى...» متروك.

(١٤) قال الحموي يصف خراسان: «بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد، منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس...» ـ معجم البلدان ٤٠٩/٢ ـ ٤١٥.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الشرف الراسي[١] الأوتاد، والمجد العالي الأسناد، والرئاسة القديمة الميلاد، والرفعة الرفيعة العماد، أظهر من النجم في الظُّلَم، وأشهر من النار على العَلَم[٢]، وهو بحمد الله وارث[٣] افتخاره، ومُحيي دائر آثاره[٤]، ورافع مناره، ومُظهر شعاره.

وله من الهِمَّة في الفضل يَمُدّ طِرافه[٥]، والسُّؤدد بجمع أطرافه، والشرف يفرع أعرافه[٦]، ما يَسُرّ به أسلافه، بل له[٧] من إفضاله المزدحم الأفواج، وإحسانه الملتطم[٨] الأمواج، ومواهبه المتّصلة الأمداد، وفواضله المُوفية على الأعداد، ما يُخجل الورد في يَدَيْ مجتنيه، والعقد يزهى بتأنّق ناظميه.

وله الحضرة التي إليها تَحُطّ المعالي رِحالها، وعليها تجُرّ المحامد أذيالها، وفي أُفقها يُطْلِع الكرم صباحه، وفي ظلّها يبسُط الشرف جناحه، وفي قُربها تُرْعى الأماني مخضرّة الأكناف، وتُلْفى الليالي رقيقة الحواشي والأطراف.

وعنده الكرم الرحْب، والخُلق العذب، والشرف الوَحْف[٩]، والسُّؤدد الذي لا يُحيط به الوصف ، وله في حُكْم كرمه، الرُّفْع من أنباء نعمه، لكنني أستكثر لنفسي ما توالى عليّ من أياديه، وتتابع لديّ[١٠] من روائح إحسانه وغَواديه.

على أنه السيّد الذي يملك[١١] الرقاب بمساعيه، وتنطق الألسنة بذكْر أياديه، ويخلُد على مَرّ الأيام غُرّ مكارمه ومعاليه، حتى أصبحت فضائله وهي فَلَق الصبح ائتلاقًا، وكُعوب الرمح اتّساقا، ووجه الروض نُضرة، وقَطْر الغَيْث كثرة، وأمستْ محاسنه وهي العقد انتظاماً، ورقُوم[١٢] الوَشْي التئاماً، وماء المُزْن زكاء[١٣]، ونَشْر المسْك ذَكاء.

---

(١) م: «راسي»، والمثبت من: ل، د.

(٢) العلم: الجبل.

(٣) ل: «وهو بحمد وارث».

(٤) ل: «دثاره».

(٥) الطِّراف: بيت من الأدم، وهو من بيوت الأعراب.

(٦) يفرع: يعلو ـ أعراف: جمع عرف، وهو كل عالٍ مرتفع ـ م: «والتشرف يفرع أعرافه».

(٧) م: «بل هو»، تحريف.

(٨) ل: «المتلاطم»، وكلاهما بمعنى.

(٩) الوحف: بمعنى الكثير الحسن يوصف به النبات والشعر ـ م: «الوجف»، ل «الرحف»، وكلاهما لامعنى له.

(١٠) م: «علىّ» والصواب من ل، د.

(١١) م: «على أنه السيد الذي لا يحيط به الوصف ويملك»، وفيه زيادة لم ترد في ل، د.

(١٢) الرقم: ضرب مخطط من الوشي.

(١٣) الزكاء: النماء والريع.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ومن افتقر في سيادته إلى دليل، أو إيضاح مُنْهِج[١] له وسبيل، فمجدُه ـ أدام الله تأييده ـ أرفعُ مناراً، وشرفه أوْضح آثاراً، وكرمه أثبتُ دعائم، وفضلُه أشهر معالم، وسيادته أجدّ رسوماً، ونباهته أطلعُ[٢] نجوماً، من أن يجرى مادحه في مدحه على مُكْث[٣]، أو يفتقر مُطْريه إلى إيقاظ للخاطر بهزّ أو بعث[٤]

وعلى هذه القضيّة أطلقتُ العنان، وتوسّطت الميدان، وقلتُ الحمد لله الذى جعَل الدهر ليلاً الشيخُ الرئيسُ بدره، والزمان ديواناً هو صدره، ونَظم الأحرار عقداً هو واسطته، وعند[٥] أهل الفضل حساباً هو فاتحته وخاتمته، وصيّر المكارم فلكاً هو قُطْبه، والأكارم جسماً هو قلبه، فأصبح وبَدر الشرف يطلُع من أزراره، ودرّ الفخر يُستخرج من بحاره، وعَسْجد[٦] الحرّيّة يسبك من نجاره، وقدحه في الفضل أعلى القداح، وتقدمه فيه وافى الحُجول والأوضاح، يُستمطر بأنوائه[٧]، ويُستظلّ بسماء آلائه، ويُستضاء في المشكلات بآرائه، ويسير المجد تحت لوائه، ويتقلّب بنو الزمان في نعمته، وتنحطّ الجوْزاء[٨] عن همّته، وتتشرّف الأيّام بخدمته[٩]، ويَكِلّ حدّ السيف عن عزمته، حمداً يجلب من النعم المزيد، ويمترى[١٠] من القَسْم الجديد، حَمْد مُغرِق في موالاته[١١]، مُعْرِق في مصافاته، متمسّك بحبل عنايته، معتصم بالعُروة الوُثقى[١٢] من مشايعته.

والله ولىّ توفيقه، بمنّه وسعة طَوْله[١٣]

---

(١) منهج: واضح مستبين ـ م: «وإيضاح....».

(٢) م: «أجدر رسوما ونباهته أبهر»، والصحيح ما في: ل، د.

(٣) المكث: الأناة والانتظار، والمكوث أيضاً بفتح الميم وضمها.

(٤) الهزّ: التحريك ـ البعث: من بعثه على الشيء أى حمله على فعله، ل: «الخاطر...»، تحريف.

(٥) ل: «وعقد»، تحريف.

(٦) العسجد: الذهب أو هو اسم جامع يطلق على الجوهر كله من الدرّ والياقوت.

(٧) الأنواء: النجوم إذا مالت للمغيب، ولايكون نوء حتى. يكون معه مطر، وإلا فلا نوء.

(٨) الجوزاء: نجم يقال إنه يعترض في جوز السماء.

(٩) م: «في خدمته».

(١٠) يمترى: يستخرج ويستدر.

(١١) ل: «متابعته».

(١٢) العروة: ما يستمسك به ويعتصم، وعروة القميص: مدخل زرّه، والمستمسك بالعروة الوثقى هو الذى يعقد لنفسه عقداً وثيقاً من الدين ـ لسان العرب (عرو) ٢٧٣/١٩.

(١٣) د: «والله ... طوله»، متروك.

kitabweb-2013.forumaroc.net

في العناية[١]

للشيخ شمائل صافية الأديم، مسْكيّة[٢] النّسيم، ومحاسن حالية الصدور، ضاحكة[٣] الثغور، تأخذ أهل الفضل بالتعلُّق بحبله، والتظلُّل بأفياء[٤] ظلّه، لازال ربعه للأحرار آهلا، وسحابه للكرم هاطلاً، ولا بَرح السعد له صاحباً، والنحس عنه عازباً[٥]، والدهر لرضاه طالباً.

وتصل هذه الأحرف من جهة «فلان»، وهو من إذا شاهده[٦] الشيخ شَهد أن الفضل له بقيّة، وأنّ الأدب رُتبته بعدٌ عليّة، وصادف منه أديباً يُذّ الأدباء، وشاعراً يَسبق الشعراء، وفاضلاً يُصغّر اختباره أخباره، وترفع نفسه مقداره، ورأى من حُسن أخلاقه ما يدُلّ على[٧] طيّب أعراقه.

هذا وهو من الشرف بالقُلّة الشّمّاء[٨]، والذّرْوة العلياء، فإنّه من أُفق الرسالة طلَع، ومن نَبْعة النبوّة نَبع، ومن دَوْحة[٩] الإمامة تفرّع.

وقد أَصْحبتُه هذه[١٠] الأحرف دالا على حاله، ومُستدعيًا له الحظّ الأَوْفَر من[١١] رأى الشيخ وإفضاله، وإذا تطوّل به جرى على سُنّة طالما سارها، وطريقًا من المجد[١٢] قديمًا رفَع منارها.

سحائب إنعامه لأهل الفضل ماطرة، وبحور أياديه لأهل العلم زاخرة، فمن انتحى حضرته ـ لازالت مأنوسة ـ وقصد سُدّته ـ لازالت محروسة ـ ورد[١٣] على الجناب الرّحْب، والمنهل العذب، والمَراد[١٤] المريع، والمحلّ الوسيع، والمَرتع العَشيب[١٥]، والمَرْبَع الخصيب.

---

(١) ترك د هذا الفصل كله.

(٢) ل: «ومسكنه»، تحريف.

(٣) ل: «ضاحك».

(٤) الأفياء: جمع الفيء وهو ما كان شمساً فنسخه الظل ـ ل: «والتضلل بأفناء» تحريف.

(٥) عازب: غائب بعيد ـ ل: «غاربا»، وهو صحيح.

(٦) ل: «شاهد».

(٧) ل: «من».

(٨) القلّة: أعلى كل شيء ـ الشماء: الطويلة.

(٩) النبعة: شجرة تنبت في قلة الشجر، تتخذ من أعوادها القسيّ ـ الدوحة: الشجرة العظيمة.

(١٠) ل: «وقد أصحت بهذه...».

(١١) م: «ومن».

(١٢) ل: «طالما ساوها وطريقة في حر المجد»، تحريف.

(١٣) م: «وردت».

(١٤) المَراد: موضع اختلاف الإبل في المرعى مقبلة ومدبرة.

(١٥) العشيب: ذو العشب والكلأ الرطب.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ومن لجأ إلى ذَرا كرمه[١]، أحلّه ذُرا نعمه[٢]، ومن تفيّأ بظلّه، أسبل عليه ذَيل فضله، ومن ألمّ بفنائه، غرّقه في بحار نَعمائه، ومن تشرّف بالمُقام[٣] ببابه، أمطره سحائب إيجابه.

ولذلك أصبح والمكارم عليه موقوفة، وأعِنّة الفضل إليه مصروفة، والدهر بمحاسنه متطرِّز[٤]، والزمان بمكانه متعزِّز، فدام لواء الكرم بيديه معقوداً، وظلّه على العلم وأهله ممدداً، ولازال محلّه منتجَع[٥] الأحرار، ومَقصد الزوّار، ما سار سائر، وطار طائر.

ومساق هذه المقدِّمة إلى ذِكر «فلان»، وهو من له الأذِمّة[٦] المرعيّة لفضله وأدبه ونسبه، والخصال الحميدة التي اجتمعت له، والأنحاء السديدة التي خُصّ بها، ومشاهدته تُغني عن الشهادة له، وخُبره يُربي على الإخبار عنه.

والشيخ إذا جرى على سجِّيته وطريقته المحمودة في إنزاله[٧] من منازل الرعاية أعلاها، وإحلاله من مراتب الإيجاب أسناها، وإيلائه من التوفّر[٨] أرضاه، وإيتائه من البِرّ أهناه، استفاد شكراً لايفسُد منبعه[٩]، وسناءً يُشرق بالسُّعود مَطلعه.

والشيخ بأخذ الحمد من مُستقرّه بصير، وباجتلاب المجد[١٠] من أماكنه جدير، وكلّ لسان بنشر محاسنه[١١] رَطْب، وكلّ شرْب في شُكر فواضله عذب، و«فلان» من لاخفاء بفضله وحميد[١٢] خصاله، واشتماله على المعاني التي برز بها على أشكاله من الأفاضل وأمثاله، وهو لِما[١٣] يناله من توفّر رعايته وإيجابه ناشر ذاكر.

والشيّخ إذا رآه بعين الإحسان ملاحظة، وأوجب على حقوقه وأذِمّته[١٤] مُحافظة، صدَر

---

(١) الذَّرا بالفتح: الكنف ـ وفي م، ل: «إلى ذراكره»، ولا معنى له، والمثبت هو الصحيح.
(٢) الذُّرا بالضم: جمع الذُّروة، وهي أعلى كل شيء ـ وفي ل: «الغمته»، ولا معنى له، موضع «نعمه».
(٣) ل «ومن تسرف في المقام».
(٤) ل: «متطرزة».
(٥) المنتجع: الموضع يطلب فيه الكلأ.
(٦) الأذمة: جمع الذمام، وهو كل حق أو حرمة تلزم الإنسان، وبلام إذا ضيّعها.
(٧) م «من»، سقط
(٨) الإيلاء: مصدر أولاه المعروف أي أسداه إليه ابتداء من غير مكافأة ـ التوفّر: الرعاية والبرّ.
(٩) ورد في ل: «وايتلائه من البر اهنا استفاد شكرا لاسنبد متبعة»، وكله تحريف.
(١٠) ل: «الحمد»، والصواب من م.
(١١) ل: «محامده».
(١٢) م : «وحمده».
(١٣) ل: «بما».
(١٤) م «وذمته».

kitabweb-2013.forumaroc.net

عن حُكم السؤدد الذى[١] هو الكفيل بتمهيد أركانه، والمجد الذى هو المَلِيّ ببسط عنانه.

وقد تقرّر خروج «فلان» وهو عين أقرانه، وسابق ميدانه، والمشتمل من الفضل على أَوْفى أقسامه، والمختصّ بأعلى حظوظه وسهامه، وليس من إنصافه إكثارى فى[٢] عدّ أوصافه، ومشاهدته أنطقُ بما يحويه، ومعا شرته أفصح بما ينشره ويطويه.

فإذا[٣] جرى الشيخ على مقتضى ما خصّه الله به من المحاسن التى يُنْجد فيها ويَغور[٤]، والمفاخر التى يبسم ـ الدهرَ ـ نجمُها ولا يَغُور[٥]، وركّب فيه من الشمائل التى رقّتْ رِقّة الماء، وانبسطت انبساط الهواء، والنفس التى حلّت من المجد يفاعًا[٦]، والهِمّة التى جازت الثريّا ارتفاعًا، حرصٍ على اصطناع الأحرار واعتقادهم، ورغب فى تحصيل ولائهم له ووِدادهم، وتوفّر على مراعاة شُروط الكرم فيهم، حتى كأنّه يقضى بها فرضًا أو قَرْضًا[٧]، وبسط يديه[٨] بالمكارم إليهم، حتى كأنّه لا يحسن لهما[٩] قبضًا، لاجرم أنّ وفود الشّكر عاكفة بفِنائه، وأفواج الحمد واقفة تحت لوائه، ولغصون الثّناء[١٠] عليه رفيف، ولأعلام الإطراء حوله حفيف.

والله ـ تعالى ـ يُديم بقاءه[١١] لرياض المعالى ديمة هاطلة، ويُبْقى[١٢] علاءه فى جبين الأيّام غُرّة سائلة، مالاح القمران[١٣]، ودام[١٤] الفَلَك على الدوران، بمنّه وطوله.

وأنا على قدْر علمى باهتزاز الشّيخ لرعاية[١٥] حقوق الأفاضل، وارتياحه لما يُفيض عليهم من سِجال النِّعم والفواضل، على ما يليق بفضله العميم ومجده الصميم، أدُلّه على أحوالهم

---

(١) السؤدد: السيادة والشرف ـ وفى ل بياض موضع الحرفين الأخيرين من «السؤدد»، والهمزة واللام، من «الذى».

(٢) ل: «من».

(٣) ل: «وإذا».

(٤) أنجد: أتى النجد وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ، وغار يغور أى أتى الغور وهو المطمئن من الأرض.

(٥) لايغور: لا يغرب ـ م: «نجمها لايغور».

(٦) اليفاع: المشرف من الأرض والجبل.

(٧) القرض: ما يوهب لغير ثواب، فإذا كان لثواب فهو القرض ـ ل: «بها فرعا...» تحريف.

(٨) ل: «ويسط يده».

(٩) لم يرد فى م: «لا» وفى ل: «لها موضع «لهما».

(١٠) ل: «السراء»، تحريف.

(١١) ل: «بقاءه»، سقط.

(١٢) ل: «ويديم».

(١٣) أى الشمس والقمر.

(١٤) ل: «ودار».

(١٥) م: «برعايته».

kitabweb-2013.forumaroc.net

ومنازلهم، وأُسْفِر له عن وجه محاسنهم وفضائلهم، واثقاً بحُسن موقع ذلك لديه، وسعادة مَطْلعه عليه.

و«فلان» من إذا ذُكر العلماء والأفاضل، انعقدتْ عليه الخناصر، وافتتُحت باسمه الجرائد[١] والدفاتر، وأُثني بفضله البادي والحاضر، ونطق بسبقه الناظم والناثر، وشَهد بغزارة[٢] علمه الوارد والصادر، ومشاهدته له أعدل شاهد، ولما جمع الله فيه[٣] من المحاسن المشهورة والمآثر المأثورة أصدق رائد.

وقد أوجبَ الشيخ من اصطناعه وقبوله، وإبلاغه في الرعاية أقصى[٤] مأموله، ماسارت به الركبان، وغَصّت بذكره البلدان، فعرفه كلّ إنسان، ونطق به كلّ لسان، وصغُر في جنبه كلّ إحسان،

وليس ينال الشكر أدنى حدوده ... بحال وإنْ طاب الثناء وإنْ طالا[٥]
فما البحر مسجوراً ولا الريح عاصفًا ... ولا القَطْر منْهلا ولا الرمل مُنهالا[٦]
بأكثر من إنْعامه السابغ الذى ... عليه بلا حدّ تقاطَر وانثالا[٧]

قد عبّد الله للشيخ طُرق المكارم، فهو يسلُكها بغير دليل، وحبّب إليه أفراد المساعي[٨]، فهو يجرى إليها فرداً بغير رسيل[٩]، ولذلك إذا شقّ الورود[١٠] انفردَ الوارد، وإذا عظُم المطلوب قل المساعد، فهنيئاً له[١١] اجتناء المجد من أغصانه، واجتذاب الحمد إلى أوطانه.

وهذه المخاطبة تصل من جهة «فلان»، وله من قبولي ورعايتي المحلّ يَسْرى فيه بضياء قمر أزهر، ويدرُج منه في أفنان ريّان أخضر، فأما خلال النُّبل فهو مُشتمل على أفضلها

---

(١) الجرائد: جمع الجريدة التي يكتب فيها، والجريدة أيضاً السفة أو الخوص.
(٢) ل: «الغزارة».
(٣) ل: «فيه»، سقط.
(٤) م، ل: «أقضى».
(٥) ورد هذا البيت في ل بعد البيت الثاني، وفيه: «... الشكر احدوده... الثناء وطالا»، تحريف.
(٦) مسجور: مملوء ـ ل: «فالبحر... القط مسهلا...» تحريف.
(٧) ل: «السابق» موضع «السابغ».
(٨) ل: «المعاني».
(٩) الرسيل: الموافق في النضال ونحوه.
(١٠) ل: «وكذلك إذا شق الورد».
(١١) م: «له» متروك.

kitabweb-2013.forumaroc.net

مخصوص بأعدلها، وأما معاني الفضل فهر ناظم لمنثورها، جامع لمشهورها[١]، وأمّا[٢] أسباب التقدُّم فهو آخذ بنواصيها، منتهٍ إلى أقاصيها، وله حقّ محفوظ، ومحلّ ملحوظ، فالعلم رجح فيه معياره، وتبيّنت لمُشاهده أعلامه وآثاره[٣]، والصلاح اختار منه حظاً عُرِف فيه مكانه، وقَصّر دون بلوغ شأوه نُظراؤه[٤] وأقرانه.

والشيخ يسْفر له وجه الاختبار عن حاله، ويفصّل[٥] عنده ما عدلتُ إلى إجماله، ولما يخصه من توفّره وإيجابه، الذى لا تقلّص فى جلبابه موقع يُكسِبه[٦] الشكر متّسع الأقطار منهلّ القطَار.

والسلام.

(١) ل : «لمنثورها»،
(٢) ليس فى ل: «أما».
(٣) م: «آثاره وأعلامه».
(٤) ل: «وقصرت دون بلوغه شأنه نظراء»، تحريف.
(٥) يفصّل أى يبيّن ـ م، ل: «ويفضل».
(٦) ل: «فى جلبابه موقع يلبسه»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب الرابع
فى الشوق والحنين

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[في الشوق والحنين]

كتابي عن سلامة طُمس نجومُها[١]، ودرس رسُومها[٢]، وانمحى[٣] معالمها، وانجلى[٤] مواسمها، بما جنّته عليّ الأيام من فِراقه الذى أعاد عُود الوحشة مُورقًا[٥]، وشَمْل السرور متفرّقًا، وحَبل الأُنس متصرّمًا[٦]، وعقد الشرور منتظمًا، وساق إليّ وفود الشوق فهى بى مُحدقة، وحرَم عليّ[٧] أسباب البهجة فهى عنّى بَعْدَ بُعْده مُطلقة.

وحقيق على من فارق تلك الأخلاق الغُرّ، والشمائل الزُّهر، والعشرة المعشوقة[٨]، والسجايا الموْسوقة[٩]، والفضائل الموفورة، والمآثر[١٠] المشهورة، أن يشقّ جيْب[١١] الصبر، ويجعل النار حَشْو الصدر.

* إذا عُـدّ المكارمُ كنت منهـا ... بمنزلة الجبـال من الوِهاد[١٢]
وإن ذُكـر الأكـارم كنت نارًا ... مُضـرّمـة وكـانوا كـالرمـاد
رعـاك الله مـادَجت الليـالى ... ومـا بكت السـوارى والغـوادى[١٣]
ودُمتَ منَعّمًـا فى ظلّ عـزّ ... طويل السَّمْك مرفوع العماد[١٤]
فـعندك زاهرًا بدر المعـالى ... وعندك زاخـرًا بحـر الأيادى

* وانى وإن فـارقتُ نجْـدًا وأهله ... لمُحترق الأحشاء شوقًا إلى نجد[١٥]
أروح إلى وَجْد وأغدو إلى وجد[١٦] ... وأعشق أخلاقًا خُلقن من المجد

(١) أى ذهب ضوؤها، و«طَمَسَ الله كوكبه»، مثل يضرب لمن ذهب رونق أمره، وانهدّ ركنه ـ مجمع الأمثال ٤٣٤/١.
(٢) درس الرسم: عفا، ودرسته الريح: عفت أثره.
(٣) د : «وانمحت».
(٤) ل: «ياخلى»، د: «واخلى»، وكلاهما لامعنى له.
(٥) ليس في ل: «مورقا»، وبعد هذه الكلمة فى د: «وسم التأنس مخطنا»، وهى زيادة لامعنى لها.
(٦) ل: «متصرفا»، تحريف.
(٧) د: «علىّ»، يقط.
(٨) زاد م بعده: «الموموقة»، والمثبت من ل، د.
(٩) الموسوقة: المجموعة، والوسق: ضمّ الشىء إلى الشىء ـ ولم يرد فى م: «والسجايا الموسوقة».
(١٠) م : «والآثار».
(١١) ل: «أن يستوجب»، تحريف.
(١٢) م: «كنت فيها...» ـ الوهاد: جمع الوهد والوهدة وهو المطمئن المنخفض من الأرض.
(١٣) دجت الليالى: عمّت ظلمتها ـ السوارى: السحب المطيرة تسرى ليلا، والغوادى ما ينشأ منها غدوة.
(١٤) السَّمْك: الارتفاع أوالقامة.
(١٥) ل: «لمحترق الأشياء...»، وليس بشىء.
(١٦) د : «وأغدو على وجد».

kitabweb-2013.forumaroc.net

ولو مَلكتُ مُرادى، لما اخضرّ إلا فى ذَراه مرادى، بل لو دار الفَلك على اختيارى، لما نضوتُ[١]، إلا عنده ليلى ونهارى،

وتحت ضلوعي لوعة إن كتمتُها ... لخفتُ على الأحشاء أن تتضرّما
ولو بُحتُ فى كُتْبى بما فى جوانحى ... لأنطقتُها ناراً وأبكيتُها دما

وأنا[٢] لا أقترح على الدهر إلا لُقياه، ولا أقطع حاضر الوقت إلا بذكراه،

وانى لتعرونى لذكراك نفْضة ... كما انتفض العصفور بلّله القَطْر[٣]

وما أعُدّ[٤] أيّامى التى سعدتُ فيها بلقائه إلا مفاتح السرور، ومطالع السعود والحُبور[٥]، كأن آثارها علينا مواقع القَطر فى الرّياض، ولست أُعيبها إلا بقلّة البقاء وسرعة الانقراض[٦]، وكذلك[٧] عمْر السرور قصير، والدهر بتفريق الأحبّة بصير، وربّما اهتزّ العُود بعد الذُّبول، وطلع النجم بعد الأفُول، وأُديل[٨] الوِصال من الفراق، وعاد العيش المرّ حلو المذاق.

فأمّا الآن فلا أُزجّى[٩] الوقت إلا بقلب شديد الاضطراب، وجوانح لا تُفيق من التوقُّد والالتهاب، وليس ذلك بمستنكَر لمن فُجع بوصاله، ومُنى[١٠] بزياله،

فإن أفقد العيش الذى طاب باللّوى ... فقدْمًا فقدتُ الظلّ عند انتقاله[١١]

وكيف لا[١٢]؟ وحالى حالُ من ودّع صفو الحياة يوم وداعه، وانقطع عنه[١٣] العيش

---

(١) نضوت البلا: قطعتها.
(٢) م «وها أنا».
(٣) البيت لأبى صخر الهذلى (انظر: الأغانى ٢٤/ ١٢٣) وفيه: «فترة» موضع «نفضة».
(٤) م: «وأما بعد»، تحريف.
(٥) الحبور: السرور وسعة العيش ـ ل: «والحور»، تحريف.
(٦) كذا فى م، والذى فى ل: «الانقضاء»، وهو صحيح.
(٧) ل: «ولذلك».
(٨) الإدالة: الغلبة والقوة، يقال: أدالنا الله من عدونا.
(٩) زجّى الوقت وأزجاه: قضاه.
(١٠) م «ومنع»، تحريف.
(١١) البيت للبحترى من قصيدة فى مدح أبى الحسن على بن يحيى المنجم، وقيل فى مدح أبى جعفر بن نهيك (ديوانه ١٦٢٣/٣) وفيه: «فات» بدل «طاب»، وفى ل: «ان... فقدت الفضل...» ـ اللوى: منقطع الرمل، ومن غير إضافة: واد من أودية بنى سليم ـ معجم البلدان ٣٦٦/٤.
(١٢) م «كيف ولا».
(١٣) ل: «عنده»، والصحيح ما فى م، د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ساعة انقطاعه، وطوى الشوق جوانحه على غليل، وحنى أضلاعه[١] على كَمد دخيل، وما يَذكُر أيّامه فى أكناف فضله ونُضرتها ورياض أُنسه فى ظلّه[٢] وخضرتها[٣]، إلا أوجب[٤] على عينه أن تدمع، وانثنى على كبده خشية أن تتصدّع[٥]

وما أَسْمحنى[٦]! أشكو الفراق ولا أنتصف، وأصفُ من حر[٧] الاشتياق مالا يتّصف، ولكن قطع الزمان، ونَفث الأشجان[٨]، والاستراحة إلى خفّة الإعلان، من ثقل الإخفاء والكتمان، وتذكّر أيام عَذْبة الشمائل، معتدلة الهواجر والأصائل،

أشرقْن حتى كاد يُقْتبس الدّجى ورَطُبْن حتى كاد يجرى النجْندل[٩]

إذا تذكّرتها شَمل[١٠] الهُجوع، واشتعلت كبد دامية الصدوع، وجرت عبرات ملْء الجُفون، يمريها خوفٌ وجد للفراق[١١] ملء الضلوع، ولم لا؟ وقد بُليت بفراق مَن أودعَ قلبى فنون الحُرق، وعَرّف[١٢] بين عينى والأرق، وعلّمنى كيف تصير حَبْرة[١٣] الأيام عَبْرة، وكيف تنقلب فرحة الوِصال بالفراق تَرحة[١٤]، وحمّلنى ما لو[١٥] حمّل الصخرة الصمّاء

---

(١) د: «أضالعه»، الضلع جمعه أضلاع، وجمع الجمع أضالع.

(٢) د: «فيها» موضع «فى ظله».

(٣) ل: «ونضرتها».

(٤) م: «وجب».

(٥) ل: «تصدع» ـ وفيه اقتباس من شعر مجنون بنى عامر:

وأذكـــر أيام الحـــمى ثم أنثنى على كـبـدى من خـشـيـة أن تصـدعـا
فليـــت عـشـيـات الحـمى برواجع عليك ولكن خلّ عـــينيك تدمـــعـــا

(الأغانى ٦٤/٢، وانظر كتاب الصناعتين، ص ١٣٠).

(٦) كذا فى م ـ سمح سماحاً: جاد عن كرم وسخاء أوتساهل ووافق على المطلوب ـ ل: «وما استمحنى»، تحريف، وهو غير واضح فى د.

(٧) م: «حر»، متروك.

(٨) د: «الكتمان».

(٩) البيت للبحترى (ديوانه ١٧٥٦/٣) من قصيدة فى مدح المتوكل.

(١٠) كذا فى م ـ والذى فى ل: «إذا تذكرتها انفض شمايل»، د: «إذا ذكرتها النفس شمل».

(١١) كذا فى ل، والذى فى م: «يمريها حد وجد الفراق»، تحريف ـ د: «يمريها خوف عند الفراق» ـ يمريها: يستدرها، ومرى فلان الدم بالسيف أى أساله.

(١٢) كذا فى ل، وهو فى م «وعرق» وفى د «وعزف»، وكلاهما ليس بشىء.

(١٣) الحَبْرة: النعمة التامة ـ ل: «حسرة»، د: «خبره»، وكلاهما تحريف، والصواب من م.

(١٤) ترحة: حزن.

(١٥) م: «ما لم».

kitabweb-2013.forumaroc.net

لانفلقت وتصدّعت، أو الشمس المُنيرة لتبرقعتْ وما طلعت، وأغْرى[١] بي الشوق فلزمني ولزمتُه، وألّف بيني وبين الوَجد فألفني وألفتُه، فلا أسلُكُ للعزاء[٢] طريقًا إلا وجدتُه مسدوداً، ولا أقصد للصبر باباً إلا ألفيته مردوداً، ولا أعدّ اليوم بعد فِراقه إلا شهراً، والشهر دون لقائه إلا دهراً.

وما أَنَس فلست بناس أيامنا[٣] التي هي تاريخ زماني، وعنوان الأماني، أيامَ نَخطر في حُلل الصِّبا، ونتمايل من[٤] سكْر الهوى، ونفوز من دهرنا بالمني، إذ ثمر الوصال جنِيّ، ووِرْد العيش صافٍ هنيّ، وماء الاجتماع عذب، وغُصن الازديار[٥] رطب، وأعينُ الحوادث راقدة، وأسواق صُروف الدهر كاسدة.

سقاه الله، فما كان إلا لمحة الطَّرف[٦]، ووَثبة الطَّرف، ولَمعة البَرق الخاطف، وزورة الخيال الطائف.

شَوق ترك العقل مستطاراً، وأوقد في صميم القلب ناراً، وأرجو أن التلاقي يردّ الأُنْس جذعاً[٧]، ويترك حبل البَين قطعاً[٨]، فقد بدت ـ بحمد الله ـ مخايله، وما بعد المخايل إلا الغيْث بنسكب، ولا بعد التباشير إلا الفجر يلتهب.

عن سلامة بين غَمرات الشوق طائحة[٩]، ونفْس إلى الجوى غادية ورائحة، وطرف منذ فارقته مؤرّق، وقلب بنار الشوق مُحرَق[١٠]، وصبر جُبّ غاربه[١١]، ووجْد اشتبهت على نجمه مغاربه[١٢]، وصَبابه قُدّمت مواكبها، وسلوة طُمست كواكبها، ونشاط غربت شمسه، وأُنْس

(١) ل: «وأغرق»، تحريف.
(٢) م «في العزاء».
(٣) م: «بناس من أيامنا».
(٤) ل، د: «في».
(٥) الازديار: الزيارة، زاره وازداره: قصده مكرماً له ـ ل: «الازدياد».
(٦) الطَّرف، بالفتح :العين، وبالكسر: الفرس الكريم الأبوين ـ «ووثبة الطرف» متروك في م، د وهو في ل.
(٧) يقال: أعدت الأمر جذعاً أي جديداً كما بدأ ـ لسان العرب (جذع) ٣٩٤/٩ ـ م، ل: «جدعا»، ـ د: «جرعا».
(٨) ل: «منقطعا»، والمثبت من م، د.
(٩) طائحة: هالكة أو مشرفة على الهلاك.
(١٠) م: «الشوق طايحة»، تحريف.
(١١) جبّ: قطع واستأصل ـ الغارب: أعلى مقدم السنام.
(١٢) اشتبهت عليه: اختلطت ـ وفي ل: «اشتهبت»، والمثبت من م ـ اشتهب: غلب بياضُه سواده.
(١٢) م: «وأنس...» سقط، والمثبت من ل، وفيه «نفس» موضع «نفسه».

kitabweb-2013.forumaroc.net

* فياليت شعرى هل تبدّلت بعدنا رضًا لك منا[١] أو وجدت بنا كما
وجدنا فإنّا لانزال عيوننا سخائن قَرْحى تقطُر الدمع والدما

* وهل عُقَبُ الزمان يعُدْنَ يومًا بيوم من لقائك مستفاد[٢]
فقد أذْكى فراقك نار قلبى وعَرّف بين عينى والسُّهاد[٣]

خرجت نفسه[١٣]

فيها أنا فى عيش ركدت[٤] رياحه، وسرور[٥] قُصّ جناحه، وفرح أظلمتْ آفاقه، وأُنْس كسَدتْ أسواقه، وهمّ تجدّد[٦] شبابُه، وسُلوّ طار غرابه[٧]

فليت شعرى هل يسأل الشيخُ عن وجدى به[٨] واحتدامه، وعن شوقى إليه واضطرامه، وعن قلبى وانخزاله[٩]، ودمعى وانهماله، وحُزنى واتّصاله، وصبرى وانفصاله، والله المستعان على ما أُقاسيه من شوق ترك القلب سمعة، والعين دمعة[١٠]، والأُنس خبراً ما بعده أثر ولاعين[١١]، والسرور صفة لايحصُل منها نَقْد ولا دَيْن، والله[١٢] ـ عزّ اسمه ـ ولىّ الإدالة من الفراق، وإزالة ما عرض من الوحشة المرّة المذاق.

اللّهم أطْلع الفجر[١٣] الذى لاحتْ تباشيره، وأرنى الوجه الذى لا تتهلّل[١٤] إلا بالكرم أساريره، وأذقنى تلك الشمائل التى يشهد الضمير بأنها عذبة، والعِشرة التى دلّت الدلائل على أن أخلاق[١٥] الدهر تحت ظلالها رَطْبة.

---

(١) ل: «منا»، سقط.
(٢) البيتان للبحترى (ديوانه ٢/٧٢٤) من قصيدة فى مدح الفتح بن خاقان، وفيه: «فهل... يعدن فينا...».
(٣) ديوان البحترى: «لقد نار وجدى...» ـ م، : «وفرق بين...»، تحريف.
(٤) ركدت: هدأت وسكنت ـ ل: «كدرت» وليس بشىء، والمثبت ما فى م، د.
(٥) م: «وسرر»، تحريف.
(٦) ل: «جدد».
(٧) يقال: طار غراب فلان إذا شاب رأسه.
(٨) ل: «به»، متروك.
(٩) م، ل: «وانخزاله»، وليس له معنى، ولعذر قراءته فى د ـ الانخزال: الانقطاع.
(١٠) كذا.
(١١) الأثَر: ما بقى من رسم الشىء، والعَيْن: الشىء نفسه وذاته.
(١٢) ل: «وهو».
(١٣) ل: «الفضل»، والمثبت ما فى م، د.
(١٤) م: «لاتهلل».
(١٥) ل: «اختلاف»، تحريف والصواب من م، د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

اللهم حقّق هذا الأمل، وأتمم لى هذا الجذل[١]، وأرِنى تلك الطّلعة التى بمطالعها يطلُع السعد، ويسعَد الجدّ[٢]، ويتّسق الأمر، ويبتسم الدهر.

الشوق[٣] حال وصفها بيننا مُحال، قد ترك القلب طَوع البثّ والكمد، وأنساه ذكر الصبر والجَلد،

وعندى على قُرب المزار وبُعده ... وداد صحيح العهد غير سقيم
وكيف جرى صَرْف الزمان فإنّنى ... أُدلّ بقلب فى هواك سليم
فإن تكن الأيّام فرّق[٤] بيننا ... فما عَهْد أيام الحمى بذميم

هذا، وأنا لا أقترح على الدهر إلا لُقياه، ولا أقطَع حاضر الوقت إلا بذكراه، وما أُعُدّ الأيام التى سعدتُ فيها بمقاربته[٥] إلا مفاتح[٦] السعود، وذرائع الجَدّ إلى الصعود، ودلائل لقلبى على السرور، ودواعى الأمانى إلى السفور، ولكنها كانت قليلة البقاء سريعة الانقضاء.

ولله أوقات أُنسنا التى مضتْ وأعقبتْنا حسرة[٧]، وخلّفت عندنا شَهْقة وزَفرة.

أيامهنّ قصيرة ... وسُرورهنّ طويلُ[٨]
وسُعودهنّ طوالع ... ونُحوسهنّ أفولُ

فالآن صرنا والعيشُ غير عذْب ولا بارد، والدهر غير مُوات ولا مساعد،

والشوق ينتهب الأسى ... والدمع يلعب بالجفون[٩]
ولَو انّ ما بى من فرا ... قك دار يومًا فى الظنون[١٠]
لَصرفتُ عزْمى عن مدا ... ه صرْف مُمتنع حرون

---

(١) م: «وأدم لى...» ـ الجذل: السرور
(٢) ل: «ويسعد الجد»، متروك
(٣) هذا ما فى م، د ـ والذى فى ل: «للشوق».
(٤) كذا فى م، ل وهو غير واضح فى د ـ ولعله: «فرّقن».
(٥) ل: «وما أعد أيامى... بمقارنته».
(٦) م، ل: «مفاتيح»، والمثبت من د.
(٧) د: «ولله أوقات مضت أعقبتنا حسرة».
(٨) كتبت المخطوطات هذا البيت والذى يليه فى سياق الكلام، دون إشارة إلى أنه من الشعر، ووردا منسوبين إلى النمرى فى كتاب الصناعتين ص ٣١٦ – ٣١٧، والمختار من شعر بشار ص ٣٣١ ـ وفى ل، د: «وأيامهن...» بزيادة واو.
(٩) ل: «والشرق... بالعفون»، تحريف.
(١٠) م: «من»، سقط.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ولَعَمْرى إنّ الشوق لَيقرّب البعيد، ويُبعّد القريب، ويُحضر الغائب، ويُغيّب الحاضر، ولكنه نوع خديعة، يُسفر عن سراب بقيعة[١]، وطريق تخيُّل، يصير إلى سريع تزيُّل، وطُروق خيال وَطيف، يُحيل بالسُّقْيا على سحابة صيْف، والشفاء كلّ الشفاء فى[٢] حقيقة اللقاء، وإن كنّا كما قيل[٣]:

بكلٍّ تداوَيْنا فلم يُشف مـــا بنا على أنّ قرب الدار خير من البعد[٤]

فها أنا أنظر إلى وجه الأيام كيف اسوّدتْ، وأتأمل الأحوال كيف تقلّبت، والأمور كيف تغيّرت وتبدّلت ، فغرَب نجم السرور وغار ماؤه، وتنغّص طَيب العيش وتكدّر صفاؤه، ولا أترنّم إلا بقول الطائى[٥]:

أيامَنا مـــا كنت إلا مـــواهبًـــا وكنت بإسعاف[٦] الحبيب حبائبا
سنغرب تجديداً لَعهدك فى البكا فـــمـــا كنت فى الأيام إلا غـرائبـا

هذا، ووصل كتابك بعد عهد بعيد، وتطلّع إليه شديد، فبشّر من خبر سلامته بما أعاد اليوم عيداً، والجَدّ سعيداً، والسعد قريباً[٧] والنحس بعيداً،

فلو أطاقتْ من الإعظام تنشُـــره نواظرُ العـين مـا مكّنتُ منه يدى

جُمعت الأمانى[٨] فكانت نجوماً، وكان بدرَها[٩]، ونُظمت اللذات[١٠] فكانتْ عُقوداً، وكان واسطتَها، فجعلتُه[١١] نُصب عينى، أتسلّى به عند استيلاء الشوْق على قلبى، وأُطفئ بتأمّله نيران الوجد إذا التهبت فى صدرى، وسُرِرتُ به سرور من وجد ضالّة عمره، وأدرك جميع

---

(١) القيعة: جمع القاع وهي الأرض المطمئنة المنبسطة، وفيها يكون السراب نصف النهار، وورد فى سور النور: ٣٩، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

(٢) ل: «على».

(٣) م: «كما قيل»، متروك

(٤) البيت لابن الدمينة ـ ديوانه ص ٨٢ والحماسة لأبى تمام (ط صبيح ، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) ١٤٦/٢، والأغانى ١٧/ ١٠٤

(٥) البيتان من قصيدة لأبى تمام (ديوانه ١٣٨/١) يمدح الحسن بن سهل.

(٦) د «الاسعاف».

(٧) د: «والسعد قريبا»، سقط.

(٨) ل: «الأيام».

(٩) م: «وكان هو بدورها»، وفيه زيادة ليست فى ل، د.

(١٠) د: «الأيام».

(١١) م: «فجعلته».

kitabweb-2013.forumaroc.net

أمانيه من دهره، وأنستُ بتصفُّحه أُنس الرياض بانهمال[١] القَطر، والسارى بطلوع[٢] البدر، والمسافر بتعريسة[٣] الفجر، والعاشق بانقضاء أيام الهجر.

وكيف لا؟ وقد أصبح فى وجه الأمانى خدًا، بل فى خدّها وردًا، وصار[٤] حسنة من حسنات دهرى، لا يمحو مرور الأيام موضعها من صدرى، وطلعتْ طوالع السرور وكانت آفلة، واهتزّت غصون الفرح وكانت ذابلة[٥]،

وأسعدنى دهراً[٦] على ما أحبّه ... وأبدلنى بالطالع النحس أسعدا
وأصبحت الأيّام بيضًا ضواحكا ... وأصبح وجه الهمّ أقتر أربدا[٧]

فأما ما شكاه من الشوق واضطرابه،والوجد واحتدامه، والصبر وانهزامه، والجَلَد وانصرامه، فقد ذكر القُلّ من كُثْره[٨]، والصغْر من كبْره[٩]، والنّزْر من غَمْره، والضوء من جَمْره[١٠]، والسُّلاف[١١] من خمره، وعندى ما لا يُوصف[١٢] من أمره،

وبى منه مالا يُطفئ الماء حرّه ... وإنْ كنتُ أستغشى لباس التجلّد[١٣]
جوًى لاتكاد النار تبلغ عُشْر ما[١٤] ... أكابده من حرّه المتوقّد

شوقٌ يُذيب الحديد، ويُشيب الوليد، ويُكدّر الصفو، ويُقتّر الصحو[١٥]، ويُقلّبنى على حرّ الرمضاء، ويُشرقنى ببَرد الماء، ويُصمّم[١٦] فى قلبى ويُطبّق، ويُغرّب فى جوانحى ويُشرّق،

---

(١) انهملت السماء انهمالا: دام مطرها فى ضعف وسكون ـ د: «بانهلال» انهلّ المطر: انصب شديدا ـ ل: «بانهمال»، تحريف.

(٢) ل: «بتلوع»، وهو تحريف ظاهر، وإن كان له وجه بعيد.

(٣) التعريسة: نزول المسافر فى أول الليل أو آخره أو وقت السحر للاستراحة، فإذا انفجر الصبح سار.

(٤) م : «وصارت»، والمثبت من ل، د.

(٥) ل: «فكانت».

(٦) ل: «وساعدنى دهرى» ـ أسعده وساعده: كلاهما بمعنى.

(٧) أقتر: من القتر بسكون التاء وفتحها، أو القترة، وهو الغبرة يعلوها سواد كالدخان ـ والذى فى م: «وكان وجه الدهر أقتم أربدا»، تحريف ـ أقتم: أى يعلوه سواد ليس بالشديد.

(٨) القلّ والكثر، ويجوز فيهما الضم والكسر أى القليل والكثير.

(٩) الكبر بكسر الكاف: معظم الشىء وأكثره، ولايمتنع قياسا عليه أن يكون نقيضه: الصّغر، بالكسر.

(١٠) م: «والضوء...»، سقط.

(١١) السلاف: الخمر أول ما تعصر، أو ما سال من غير عصر.

(١٢) ل: «يصف»، والمثبت من م، د.

(١٣) م: «منه» متروك، وفيه «ثياب» موضع «لباس» ـ ل: «ولى منه... استغنى لباس...»، وورد البيت صحيحا فى د.

(١٤) م: «عشره ما» ـ ل: «عشرها ما»، والصواب من د.

(١٥) الصحو: ذهاب الغيم وارتفاع النهار ـ وهو فى ل: «الضحو».

(١٦) صمّم الضارب بالسيف: أصاب المفصل وقطعه، ومثله فى المعنى: طبّق.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ويعمل فى القلب[١]، عمل الصارم العَضْب[٢]

ولو شرعتُ فى ذكر ما أُقاسيه من الأشواق، وأعانيه من لوعات[٣] الفراق، كان قصارى القصور[٤] دون الإعراب عما ينطوى عليه الضمير، وتسهيل سبيل الالتقاء على الله يسير، وهو على ما يشاء قدير[٥]،

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنّان كلّ الظنّ ألا تلاقيا[٦]

نعمْ، وأنا كالمنكر لنفسه، المفجوع بأنسه، المفارق لقلبه، المصادَر على لُبّه، منذ قدّر الله من فراقه ما قدّر، وجرّعنى من مرارة بعاده ما جرّع، وفجعنى من الشرف[٧] بمجاورته[٨] ما فجع[٩]، وأفقدنى من الاستسعاد بصحبته ما أفقد، وأبعدنى من التيمُّن بمطالعته عمّا أبعد، فقد ودّعتُ طيّب العيش يوم[١٠] وداعه، وانقطعت عنّى المسرّة ساعة انقطاعه، وزايلنى المنام[١١] حين زياله، وارتحل عنّى صفْو الحياة[١٢] وقد ارتحاله.

فها أنا يسُطنى الشوق ويقبضنى، ويرفعنى الحنين ويخفضنى، ويطوينى النزاع وينشُرنى، ويُعْرينى التصبُّر ويسترنى، وتقوم بى الصبابة وتقعُد، وتغور بى الوحشة وتنجد.

وكيف يُستنكر شوق النبْت الذابل إلى العارض الهاطل، والسقيم، الوَصِب[١٣] إلى الشفاء المقترب؟ أم كيف لا يَحِنّ[١٤] الضالّ إلى الهادى، والأسير إلى الفادى.

---

(١) د : «فى قلبى».

(٢) الصارم العضب: السيف القاطع الماضى.

(٣) ل: «لوعة»، وما اخترته من م، د.

(٤) يقال: قصرك وقَصارك وقصاراك أن تفعل كذا أى جهدك وغايتك وما اقتصرت عليه، والقصور: العجز ـ لسان العرب (قصر) ٤٠٨/٦ ـ وفى م: «وكان قصاراه إلى القصور»، وفى د: «كان قصاراها القصور».

(٥) ليس فى م: «وهو...».

(٦) ينسب هذا البيت لمجنون بنى عامر، وروايته فى الأغانى ٩١/٢ : «جهد الظن».

(٧) م : «الشوق».

(٨) م، ل: «بمحاورته»، ولعل المثبت هو الأصحّ، والكلمة مما يتعذر قراءته فى د.

(٩) ل: «بما فجع».

(١٠) ل: «بعد».

(١١) ل: «الأمانى».

(١٢) م : «وارتحله عنى صفوة الحيوة».

(١٣) الوصب: المريض الموجع وجعاً دائماً ـ م: وسقيم...»، تحريف.

(١٤) م : «أم لا كيف لا يحن».

kitabweb-2013.forumaroc.net

وإذ قد حُمّ من فِراقه ما حُمّ، وأُلمّ، من الخطب ببعاده ما ألمّ، وجرى هذا الدهر الجائر، والفَلَك الدائر، على العادة في تفريق المؤتلف، وقطْع المتصِل، ونثْر المنتظم، وفضّ[١] الملتئم، والبخل على المحبوب[٢]، والضنّ[٣] بالمطلوب، فالحالُ بيننا ـ بحمد[٤] الله ومنّه ـ أصْفى من أن يتكدّر بالاعتذار، وأثبت من أن يتغيّر على تغيُّر الأدوار، ويتقلّب بتقلُّب الليل والنهار.

والودّ الخالص إذا شابه التكلّف شانَه[٥] والعهد الصحيح إذا مازجه التصنُّع صغر شانه، وعلى ذلك فما أنا من الله بآيس أن[٦] يُتيح سبباً، يُعيد المزار مقترباً، والشمل مجتمعاً، وحبل البين منقطعاً، ويُريني[٧] الدهر في ظلّه ـ كما كان ـ رَطْب الأخلاق، مشرق الآفاق، مخضرّ الأوراق، ممتدّ الرّواق، ويُعيدني[٨] من الغُدوّ والرواح إلى سُدّته، والاكتفاء من الدنيا وبهجتها، والحياة ولذّتها، والزمان وطِيبه، والعيش ولينه، بالنظر إلى بهيّ غرتّه ، [و] إلى مالا[٩] أُوثر شيئاً عليه، ولا تقف أمانيّ وآمالي إلا لديه، ولاينتهي اقتراحي ومُرادي إلا إليه[١٠]

إنه وليّ ذلك، والقادر عليه.

---

(١) فضّ: كسر وفرّق ـ ل: «قضّ» ـ د: «قص».

(٢) م : «والبخل بالمحبوب».

(٣) ل: «والطن». ـ د: «والغبن».

(٤) ل: «والحال بيننا لحمد».

(٥) د: «والعهد... شأنه»، سقط.

(٦) أيس منه لغة في يئس منه ـ د: «بآيس من أن».

(٧) ل: «فيريني».

(٨) ل: «ويعيد»، تحريف.

(٩) كذا في م ـ وما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ـ ل: «إلى أبهى غرته مالا».

(١٠) م: «ومرادي إلا إليه»، متروك.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب الخامس
فى العتاب والاستبطاء

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[في العتاب والاستبطاء]

ليت شعري عن الألى تركونا خلفهم بالعراق هل ذكَرونا[١]
أم لعلّ المدى تطاول حتّى[٢] قَدُم العهدُ بيننا فنَسُونا

كتبتُ، والعهدُ صحيح، والقلبُ سقيم[٣]، والصبرُ ظاعن، والوجدُ مُقيم، ومع ذلك فلا كتَاب ولا رسول، ولا إلى الوصال وُصول وما بى جَفاء، ولا بالعُذر خفاء.

وليس[٤] الشيخ بأوّل من حرم الظّماء الماء، ومنع الطَّرْف الإغفاء[٥]، وحرّم على الدَّنف[٦] الشفاء، وأودَع القلب الداء، ثم حجر عليه الدواء[٧]، وهيّن على الحبيب المباعد[٨]، تلهُّب[٩] النفس الصاعد، وقليلٌ من المُغْرَم الصبّ، تحدُّر الدمع المنْصبّ، وقد يصِل الهاجر[١٠]، ويرجع للوفاء الغادر،

وإن شجرتُ يا عزُّ فيك الشواجر[١١]

* ياسرْحة الماء قد سُدْت موارده أما إليك سبيل غير مسدود[١٢]
لحائم حام حتّى لاحراك به مُحلأً عن طريق الماء مطرود[١٣]

---

(١) ورد هذا البيت والذى يليه غير منسوبين فى زهر الآداب ٩٩٩/٢ وذيل الأمالى والنوادر (ط ٢، دارالكتب المصرية، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م)، ١٢٨/٣، ورواية البيت الأول فيهما: ليت شعرى عن الذين تركنا خلفنا...».
وفي م: «ذكرونا» بدل «تركونا».

(٢) زهر الآداب: «أم يكون...» ـ م: «تطاول عنا» ـ وكررل: «أم لعل المدى».

(٣) ليس فى م: «والقلب سقيم».

(٤) سقط فى م حرف العطف.

(٥) م: «الإغضاء» وهووجه جائز.

(٦) الدنف: الذى براه المرض.

(٧) د : «ثم...» سقط.

(٨) م «المتباعد»، ل: «والمباعد» والمثبت ما فى د.

(٩) د : «تلهف».

(١٠) ل: «المهاجر».

(١١) ومن شعر كثير عزة (ديوانه ص ٣٦٩):

أمنقطع يا عزّ ما كان بيننا وشاجرتى يا عزّ فيك الشواجر

(١٢) البيتان لإسحاق بن إبراهيم الموصلى ـ الأغانى ٣٨٣/٥ والمنتخل ص ٢٢١، وغير منسوبين فى لسان العرب (سرح) ٢٠٩/٣ وفيه أن العرب تكنى عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء لأنها حينئذ أحسن ما تكون، والرواية فى هذه المصادر «طريق» بدل «سبيل».

(١٣) فى الأغانى : «حتى لاحيام به...»، وفى اللسان: «عن طريق الورد مردوده» ـ محلأً: مطرود، ممنوع من ورود الماء.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فمن أغراه[١] بأن تكون طرق الإعراض[٢] بيننا[٣] معمورة، وأجنحة الانقباض منشورة، ويد التواصل مقصورة، بل مكسورة؟

إلى متى لا يهجُر هذه الطرق، ولا يترك حدّة[٤] الخُلق؟ ليعُد الشيخ إلى الوصل، فإنه أليقُ بالفضل، وليُعرض عن هذا الصدّ،[٥] فإنّه يَقدَح[٦] في المجد، وليقطَع لسان عتابي، فإنّه طويل، ليس له إلا إلى الصديق سبيل، هذا مع ما جمعني وإيّاه من الأحوال[٧] التي تدلّ على الوداد القديم الميلاد، العالي الإسناد، الراسي الأوتاد، ما يوجب أن تكون أسباب المواصلة مرعيّة، وحدود المكاتبة من الخلل محميّة، وشروط التقريب والتقرّب محفوظة، وعهود الإخاء والصفاء[٨] بعين الوفاء ملحوظة، فإذا[٩] عرض ما ينافي هذه الحال، ويخالف هذا المثال، تكدّر شِرْب[١٠] الوفاء، وغاض ماء الصفاء وهمّ عَقْد الودّ بالانحلال، وأذعن عَهْد[١١] الإخاء للاختلال.

وأنا أربأ به أن تتطرّق هذه الصفة[١٢] إليه، وتقع هذه السِّمة عليه، وأعيذه بالله ـ تعالى[١٣] ـ أن يقعُد تحت هذه القافية[١٤]، ويتحلّى بهذه الحلية الخافية[١٥]، فأعاتبه[١٦] معاتبة مُدلّ على كرمه، وأستبطئه استبطاء واثق بسجاحة شِيَمه.

أليس من العجائب، بل من أغرب الغرائب، أن أُمنى بما كنت مُنيتُ به[١٧] من المحنة

---

(١) ل: «نعم ما أغراه»، والصواب من م، د.

(٢) م، د: «الأغراض».

(٣) ليس في م.

(٤) كذا في م ولعله الصواب، وهو في ل: «هذه»، وفي د مما تستحيل قراءته.

(٥) م: «هذه الصدة».

(٦) أي يعيب ويطعن.

(٧) ل: «جمعتني من الأحوال».

(٨) م: «والوفاء».

(٩) ل: «وإذا».

(١٠) م: «مشرب».

(١١) ل: «عقد».

(١٢) ل: «الصنعة»، تحريف.

(١٣) هذه الكلمة ليست في ل.

(١٤) كذا ـ والقافية: آخر كل شيء، وقفاه قفواً: قرفه أو قذفه بأمر قبيح،، والقِفوة:الذنب.

(١٥) م، د: «الحافية».

(١٦) م: «وأعاتبه».

(١٧) بدءا من «بما كنت منيت به» إلى «وكيف خطرت بباله وكيف أهلني»، ساقط في: ل ـ وانظر نهاية هذا السقط فيما يلي ص ١٢٧.

kitabweb-2013.forumaroc.net

التى جلبها علىّ كيد الحسّاد، وساقها إلىّ بُغاة الفساد، ثم يمُنّ الله ـ عزّ اسمه ـ بمَا يمنّ[١] به من كشف تلك الأحوال، المشتملة على تلك الأهوال، وخروجى منها خروج المشرفيّ من الصّقال[٢]، فلا تكاتبنى فى الابتداء مسليًا، ولا تفاتحنى فى الانتهاء مهنّئًا، والعهد بيننا صحيح، والودّ من كل شَوب صريح، وأنا بفضله عارف، وعلى ثباته فى صحبته واقف، وعلى رعاية ما تعاقدنا عليه عاكف، ولقلبى بكلّيته إليه صارف.

فإن كان حلّ العقد، ونسى العهد ـ وما أظنّه ـ فما الذى دعاه إليه[٣]، وحدا عليه؟ وإن كان على الإخاء مقيمًا، وعلى سنن الوفاء مستقيمًا، فما العذر من هذا الهجران، الذى كان يجانس فيه[٤] أبناء الزمان؟ ولعلّ له عذرًا وأنت تلوم[٥]

هذا عتاب، أرجو أن يتلوه منه إعتاب[٦]، ويتّصل الحبل، ويلتئم الشمل،

ويُجلَى به وجــه الوداد ويكتســى حياءً كصبغِ الأُرْجُوان المُعصفَر[٧]

فأمّا أنا فلعهده ذاكر، ولفضله ناشر، وبمحاسنه هاتف، ولمناقبه وفضائله واصف، وبحبل إخائه متمسّك، وفى حرم صفائه متنسّك،

فـإن كـان صـرْف الدهر قـاضـيًـا علينا فـمـا بين القلوب بعـاد[٨]

لعلّ الشيخ ـ أدام الله تأييده[٩] ـ ملّ من مخاطبتى، وتبرّم بمكاتبتى[١٠]، ولذلك لست

---

(١) د: «والله تعالى بما منّ».

(٢) المشرفى: السيف المنسوب إلى المشارف، وهى قرى من أرض اليمن ـ الصقال: الجلاء والصيانة.

(٣) فى م: «فإن كان حل العهد ونكث العهد فما الذى دعا إليه»، والمثبت ما فى د.

(٤) م: «الذى كاد يجانس فيها»، والمثبت من د.

(٥) هذا مثل يضرب لمن يلوم من له عذر، ولا يعلمه اللائم، وأوله:

تأنّ ولا تعجل بلومك صاحبا... ـ (مجمع الأمثال ١٩٢/٢).

ونسب إلى مسلم بن الوليد أنه قال:

لعل له عذرا وأنت تلوم وكم لائم قد لام وهو مليم

(الجاحظ، البيان والتبيين «تحقيق: عبدالسلام هارون، ط لجنة التأليف...، ١٩٤٨م» ٣٦٣/٢ وعنه نقل سامى الدهان فى: شرح ديوان صريع الغوانى مسلم... «ط ٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠»، ص ٣٤٠).

(٦) الإعتاب: الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضى العاتب.

(٧) الأرجوان: صبغ شديدة الحمرة ـ المعصفر: المصبوغ بالعصفر، وهو نبات. ومن شعر البحترى يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل (ديوانه ٨٩٠/٢):

وأجلو به وجه الإخاء وأجتلى حياء كصبغ الأرجوان المعصفر

(٨) كذا، والشطر الأول من هذا البيت غير مستقيم الوزن.

(٩) د: «تمهيده».

(١٠) د: ملّ مخاطباتى وتبرم بمكاتباتى».

kitabweb-2013.forumaroc.net

أُصدِّر إليه[١] كتابا، فأقرأ له جواباً، إن كان إعراضه عن ذلك لما ازدحمت عليه من مآربى، وتواترت لديه[٢] من مطالبى، فسأقبض عنها عنانى، وأضمّ على الأفلاك منها بنانى.

فليراجع شيمته[٣] المعهودة، وليُعاودْ عادته المحمودة، ولايؤاخذْ بما نسينا أو أخطأنا[٤]، على أنّى أُعيذه بالله ـ تعالى[٥] ـ من ذلك، فإنه أشهرُ كرماً، وأرفع فى المحامد علماً، وأعلى هممًا، وأثبتُ فى المفاخر قدمًا، من أن يتبرّم بحلّ عقد علي وداده سرّ فؤاده، ووقّف على إصفائه جوانحه، ووكّل بنشر محاسنه جوارحه، ولكنّى قلتُ ما قلتُه بعدما لاحتْ دلائله، وبانت مخايله، ولمحت بوارقه[٦] ووضحت طرائقه،

مالى جُفيتُ وكنتُ لا أُجفَى ... ودلائلُ الهجران لا تَخفى[٧]

وأراك تشربُنى وتمزجنى[٨] ... ولقد عهدتُك شاربى صِرفا

هذا، ولمّا وصل كتابه الذى أدنى من القلب شفاء، وأهدى لشرب هذا العيش صفاء، وسرد عقد الأُنس سرداً، وكسا خدّ الزّمان وردًا، بما تضمّن من ذكر سلامته، لازال لواؤها له معقوداً، ورواقها عليه ممدوداً، وشِربها منه موروداً، ونجم الفضل والكرم بتمامها ودوامها مسعوداً ـ قلت:

أيها الكتاب: أهلاً بك وسهلاً، فقد جدّدت وصلاً، وأفضت علىّ من الأُنس سَجْلاً[٩]، ومَطرتنى الفرح سَحًا وهطْلاً.

أيها الكتاب: ليت من كتبك دام على العهد، وحَفظ شرائط الودّ، ولم يَحْلُل وثيق العهْد[١٠]، وعدل إلى مذهب الأنس[١١]، وسَجَر طريقة الوِرْد[١٢]

(١) د «له».

(٢) م: «وتوافرت...» ـ د: «عليه».

(٣) م: «بشيمته».

(٤) فيه اقتباس من قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة ٢٨٦) ـ وفى د: «ولا يؤاخذنا وأخطأنا».

(٥) لم يرد فى د.

(٦) البوارق: السحاب ذو البرق، وبرق أى لمع.

(٧) هذان البيتان لابن المعتز (ديوانه ٨٩/٢)، والشطر الأول سقط فى د.

(٨) فى م: «ونمرحنى»، ولا وجه له، وهو مطموس فى د، والمثبت من ديوان ابن المعتز.

(٩) السجل: مصدر سجَل الماء أى صبّه صبًا متصلا، والسّجْل: الدلو العظيمة المملوءة.

(١٠) كذا فى م، د.

(١١) تختلف سجعة هذه العبارة عن السجعات الأخرى للفقرة، والذى فى م: «الانس»، ومثله فى د مع مدّ الهمزة، ولعل المثبت هو الصواب.

(١٢) كذا وردت العبارة فى د ـ سجر: ملأ ـ والذى فى م: «وهجر طريقة الود»، لا يستقيم مع السياق.

kitabweb-2013.forumaroc.net

أيها الكتاب: ما أحذقَ صاحبك بالجفاء، وأولعه بالإعراض عن الأصدقاء، وأميله إلى تكدير مشارب الصفاء[١]، وأحرصه على جفاء الإخوان والأخلاء.

أيها الكتاب: كيف ذكَرني مُصْدِرك؟ وكيف خطرتُ بباله؟ وكيف أهّلني لوصاله؟ وكيف نزل عن حاله في انقباضه وملاله؟ وكيف يفرغ إلينا[٢] من أشغاله؟ ثم أجبتُ عنه نفسي، فقلت: إلى كم هذا الجدل؟ وحتّام لا ينقضي قولي الخَطَل[٣]، وقد شاركتُه في الفعل، فلم أُفرده بالعَذل[٤]؟ ألم أُقارضه الهجران نقْداً بنقد؟[٥] ألم أُكايله الإعراض مُدّاً بمُدّ[٦]؟ ألم أذهب من الجفاء[٧] كلّ مذهب؟، ألم أركب من التقصير كلّ مركب؟ فما هذا التبكيت[٨] والتأنيب؟ وما هذا[٩] التعجّب والتعجيب؟ وما هذا الإنكار والاستغراب، وقد مَدّ طرفيكما التجنّب والاجتناب؟

فهلُمّ فلنعْمُر[١٠] طريقة الإخاء، ونهجر شريعة الجفاء، ونطوي جريدة العتاب،ونَنشُر صحيفة الإعتاب، ولا نرجِع إلى قرع هذا الباب[١١]،

فتصفو لنا الدّنيا وتدنو لنا المُنى ونرجِع للحُسنى ونستأنف العمرا[١٢]

---

(١) د: «وأميله الصفاء»، سقط.

(٢) م: «تفرغ» موضع «يفرغ» التي في ل، وهو غير واضح في د ـ م: «إليه»، والصواب من ل، د.

(٣) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب.

(٤) وردت هذه الكلمة في النسخ بالزاي، وجعلتها بالذال ـ العذل: اللوم.

(٥) قارضه: جازاه، وقارضه مالا وأقرضه: أعطاه إياه قرضا.

(٦) المدّ: مكيال، وهو رطلان أورطل وثلث أو ملء كَفّيْ الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدّ يده بهما ـ القاموس المحيط (مدد) ٣٣٤/١

(٧) م: «بالحفاء».

(٨) التبكيت : التقريع والتعنيف.

(٩) ل: «فما هذه ... وما هذه»،والصواب في م، د.

(١٠) ل: «فلنقم»، والمثبت من م، د.

(١١) ل: «هذه الباب».

(١٢) م: «تصفو... إلى الحسنى....»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب السادس
فى الشكوى والاعتذار

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[في الشكوى والاعتذار]

وصل كتابه متضمّناً لصنوف[١] من الخطاب، وضروب من العتاب والإعتاب، وفهمتُه، وحمدتُ الله ـ تعالى[٢] ـ على ما أولاه، واستدمتُ له ما أعطاه[٣]، فأمّا ما ظنّه من الظنون، وتصرّف فيه من الفنون، فالجميع معلوم، وأنا فى الكلّ مظلوم.

ذكر ـ أدام الله عزّه ـ أوّل شأنه وآخره، وموارد أمره ومصادره، وذكر أحواله وأنا لها ذاكر، ووصفها[٤] وكلّها[٥] عندى جَلِيّ ظاهر، ولستُ أُنكر ما له عندى من الأواصر القويّة، والأذمّة المَرْعيّة، والأسباب المَرْضية، ولو[٦] شئتُ أن أقول، هو الذى طوى ما نشر، وخذل بعد ما نصر، ونقض ما أبرم، وأوهى ما أحكم[٧]، وحلّ ما عقد، وهدم ما شيد[٨]، وقطع ما وصل، وفسخ ما أصّل[٩]، فنطق[١٠]، مع كلّ ناطق، ونعق مع كلّ ناعق، ونجم مع كل ناجم[١١]، وقام مع كلّ قائم، وإن كان الله لكلّ جميل[١٢] صانعًا، ولكلّ كيد دافعًا، بعد أن عَلِم أنى أحللتُه[١٣] محلّ السمع والبصر، واعتدلتُ[١٤] له فى الوِرْد والصَّدَر، ولم أدّخر عنه ما وجدتُ إليه سبيلاً، ولم أَرْض له إلا محلا حليلا وجاهًا عريضًا طويلاً، ولم أكن له[١٥] إلا خير عُدّة، وأوثق عُمْدة، وأسدّ ركن، وأحصن حصن، وأقوى يد ولسان، وأمضى سيف وسنان.

ولو جريتُ على ما ساعد عليه الزمان، واتّسع له الإمكان، لوجدتُ مقالاً، ورأيتُ للكلام موضعًا ومجالاً، ولكنّى طويتُ ما انطوى، ونسيت ما مضى، وأعرضتُ[١٦] عما انقضى، ولولا

---

(١) م: «بصنوف»، تحريف.

(٢) لم ترد «تعالى» فى.

(٣) ل: «واستدمت له على ما أعطاه» تحريف، والمثبت فى م.

(٤) م: «وأنا له ذاكر وصفها»، تحريف.

(٥) ل: «وكلى»، د: «وكل»، والمثبت فى م.

(٦) كذا ـ وفى م: «وإن»، والمثبت فى ل، د.

(٧) م: ونقض بعدما... وأوهى بعدما...» ـ د «أوهن» موضع «أوهى»، وكلاهما بمعنى.

(٨) م: «وحل بعدما...» وهدم بعدما...»

(٩) م: «وفسخ بعدما...» ـ ل: «ماواصل»، والمثبت فى د.

(١٠) ل: «ونطق».

(١١) نجم: ظهر وطلع.

(١٢) م: «جميع»، تحريف.

(١٣) ل: «حللته» ـ وأحلّه المكان وأحلّه به وحلله به: جعله يَحُلّ.

(١٤) كذا فى (ل، د) والذى فى م: «واعذرت».

(١٥) ل: «له»، سقط.

(١٦) ل: «وعرضت».

kitabweb-2013.forumaroc.net

أنّي طالعتُ في أوّل خطابه من خبر السلامة ـ خيّمتْ في جنابه، ووصلْت أسبابها بأسبابه ـ ما هززتُ به أعطافي، بل اهتززتُ له من أطرافي، ونسيتُ معه كلّ عتب، وغفرتُ فيه للأيام كلّ ذنب ـ لطرتُ وجلاً، ولذبْتُ[١] خجلا، وخرجتُ من إهابي[٢] قلقًا، وجريتُ مع سوء الظن بها أرقبه طَلَقًا[٣]

وأرجع إلى أوّل الصورة، وفاتحة السورة: متى ظنّ الشيخ بي[٤] نهوضاً بما حمّلني، وصبراً على ما كلّفني، واحتمالاً لما ألزمني[٥]، وجَلَداً فيما جشّمني، حتّى بسط لي[٦] العنان، وأشرع إليّ[٧] السِّنان، وجرّني على الجَمر بل أحرّ، وجرّعني الصبر بل أمرّ؟ من أين توهّم لي هذا القلب، فأهدى إليّ هذا العتْب؟

أنا رجل لا أُسيغ العسل، فكيف أتجرّع الحنظل؟ ولا أستلين الحرير، فكيف أفترش الجَنْدل؟ ولا أستعذب الماء الزُّلال، فكيف أستَفّ الخرْدَل؟[٨] ولا أستطيب العنبر الورد، فكيف أشُم الحرْمَل؟[٩]

فلو شاء عدل عن المصارفة إلى المناصفة[١٠]، ورجع من المخاشنة إلى الملاينة[١١]، وفعل الأليق بشرفه، والأحسن في قضية كرمه، وجرّ ذيل العفْو على زلات أوليائه، وقابل بحُسن الاحتمال هفوات أخلائه، وأنا[١٢] بجُرمي معترف، ومن بحر إحسانه مغترف[١٣]

أنا المُـذنب الخطّاء والعـفـو واسع فلو لم يكن ذنْب لما عُرف العفوُ[١٤]

---

(١) ل: «وذبت».

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) ل: «مما أراقبه...» ـ الطلق: الشوط الواحد، يقال عدا الفرس طلقا أي شوطا.

(٤) م: «الى».

(٥) د: «واحتمالا له لما لزمني».

(٦) د: «إلى».

(٧) م: «الى».

(٨) م: «أسف» بدل «أستف» وكلاهما صحيح ـ الخردل: نبت له حب صغير حريف الطعم.

(٩) الحرمل: حب كالسمسم لا يأكله إلى المعزى.

(١٠) المصارفة: ردّ الشيء عن وجهه ـ المناصفة: المقاسمة على النصف، ويريد به النصفة أو الإنصاف بمعنى إعطاء الحق على قدر الاستحقاق.

(١١) ل: «الملايمة».

(١٢) ل، د: «أنا»، بدون الواو قبله.

(١٣) م: «ومن بحر...» سقط.

(١٤) البيتان لإبراهيم بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي يعتذر إلى المأمون ـ الأغاني ٢٥٢/٢٠ وفيه وفي الورقة لابن الجراح (تحقيق: عزام وفراج، ط دار المعارف بمصر، ١٩٥٣م) ص ٢٧: «ولو» موضع «فلو» ـ ولم يرد الشطر الأول في : ل، د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فإن تَعْفُ عنّى تلْقَ خطوى واسعًا[١] وإن لم يكنْ عفو فقد قصّر الخطو[٢]

وأما ما ورد له من الكتاب، وصدر عنى من الجواب، وقد بخستُه فيه حقّه من الخطاب[٣]، فذاك[٤] باب من تلك الأبواب، ويعلم الله ـ تعالى ـ أنى ما قصدتُ غضًا منه[٥]، ولا عمدتُ إزراءً به، ولا أردت قَدْحًا فى حاله، ولا إخلالاً بما يلزم من إجلاله، ولكنّى استرسلتُ على سجيّة الانبساط، وجريتُ مجرى من يعدل عن سنن الاحتشام، ولم أدرِ أنّ ذلك مما يُؤثّر فى نفسه، وينال من قلبه[٦]، ومن رفع الله من قدْره فلن[٧] يضعه تقصيرى، ومن[٨] أعلى محلّه فلن[٩] يحطّه تقديمى أو تأخيرى.

وبعدُ، إن كان لذلك[١٠] عنده خطر، وفى قلبه أثر، فلأسلُكنّ سبيل التنوُّق[١١]، ولآخُذَنّ فى طريق التعمُّق[١٢]، لتتجدّد الحالة العامرة[١٣]، وتزول الوحشة المخامرة[١٤]

هذا إعتابى[١٥] واعترافى، فليتقبّلْ اعتذارى من سوء اقترافى، فقد وقفْت عليه ضميرى وروحى، وجعلتُ ذكره غَبوقى وصَبوحى، واصطفيتُه بالصّفو من[١٦] ودّى، فلم أشغل بغير مُوالاته صميم[١٧] قلبى،

فلو كان أمرى فى يدى لأريتُه بياض وِدادى فى سواد فؤادى

(١) الأغانى: «تلف خطوى...» الورقة : «ألف خطوى..» والسطر مغفل فى د.
(٢) الأغانى والورقة: «والايكن..» ـ م: «العفو» موضع «الخطو».
(٣) د: «وقد بخسته...»، سقط.
(٤) م: «فذاكر»، تحريف.
(٥) ل: «ويعلم الله أنى ما اعظائه»، تحريف،والصواب فى م، د.
(٦) ل: «قبله»، تحريف.
(٧) م: «فلا» والمثبت من ل، د.
(٨) م، ل:، «من» متروك، وهو فى د.
(٩) م: «فلم».
(١٠) م: «لذاك».
(١١) التنوق: التجود والمبالغة والتأنق ـ م: «فلأسلكن به مسلك التشدق». والتشدق: التوسع فى الكلام من غير احتراز ـ د: «سبيل التنوق»، سقط.
(١٢) التعمق: التنطع والتنوق أيضاً.
(١٣) د: «يتجدد...» ـ العامرة: اللازمة، وعمر الرجل ما له وبيته أى لزمه ـ م: «الغامرة».
(١٤) أى الملازمة المخالطة، وفى م، د: «المغامرة»، تحريف.
(١٥) ل: «عتابى» والصحيح ما فى م، د.
(١٦) د: «بالصفو من» سقط.
(١٧) م: «ضميرى».

kitabweb-2013.forumaroc.net

ومن اعتصم بهذه العُروة، واستمسك بهذه الجملة، استوى عنده الهجر والوصال، واعتدل في حُكمه الإعراض[١] والإقبال، واكتفى بما تُحرزه[٢] الضمائر، واستغْنى عما تُبرزه الظواهر.

وهذا كلام من قَصد بالعتاب، ثم عندى ما يُحبّ من الإعتاب، فهو المنصف، وأنا المسرف، وهو المَجفوّ، وأنا الجافي، ووِردى الكدر، وورده الصافي، وأنا له بحيث يحبّه ويهواه، وعلى ما يُؤْثره ويرضاه، أُسَمِّح[٣] المراد، وأُصْحَب[٤] في القياد، وأرعى حقّ الوداد، وأشتمل على ما[٥] أصفى الاعتقاد، وأرجع إلى ما كنت عليه من التكثّر به والاعتداد، والتقوّى بمكانه والاعتضاد، فليرجع إلى الثقة والاعتماد، وليعرضْ عما كان من نَزْغ الشيّطان، الذى لا تخلو منه أحوال الإنسان، نَصِرْ إلى أوّل الأمر ونكنْ خليطيْن من ماء الغمامة والخمر.

فله العُتبى، ومنه النُّعْمى، وأمرُه الممتثل المفعول[٦]، وقوله المتّبع المقبول، وعفوه المنتظَر المأمول، وأنا الخادم الطائع، والوَلِيّ المُشايع، ولاردّ عليه مقبلاً ومعرضاً[٧]، ولابدّ منه مسيئاً ومحسناً، فليُجرنى من هذا العتاب الممتدّ الأمد، المُهْدى شغل الأبد،

لستُ على عتْبك جَلْد القُوى ولا على هجْرك شاكى السلاح[٨]

ومن العجائب أنّى أرى حالى عند «فلان» تلفظها الأفواه، وتمُجّها الآذان، وتعافها النفوس، وتجتويها العيون، وتتصرّف فيها الظنون، بعدما رأيتُها ولا الدرّ سَرْداً، ولا الزلال[٩] يتضمّن عُذوبة وبَرْداً.

فليت شعرى ما باله لا يشربه ممزوجًا، وعهدى به يشربه صِرْفًا، ولا يرضاه معرفة، بعدما[١٠] كان يرضاه صديقًا وإلفًا؟ بل[١١] ليت شعرى كيف اكتستْ شوْكة الشكو[١٢]

---

(١) ل: «الاعتراض».

(٢) ل: «يحذره»، تحريف.

(٣) لعله بمعنى سمّح الشيء أى جعله سهلا لينا أو سمّح الرمح وغيره أى ثقفه، أو سمّح فلانا أى ساهله.

(٤) يقال أصحب فلان أى انقاد واستقام ـ لسان العرب (صحب) ٩/٢.

(٥) م: «ما»، متروك.

(٦) كذا في م ـ وليس في د: «المفعول»، وموضع هذه الكلمة في ل: «وقوله الممتَثل».

(٧) هذا في ل، ، د ـ والذى في م: «ومدبرا».

(٨) البيت للبحترى (ديوانه ٤٣٧/١) من قصيدة في مدح أبى نوح عيسى بن إبراهيم وفيه: «لست على سخطك...» ـ وفي م: «لست على هجرك...» ـ شاكى السلاح: ذو شوكة وحدّ في سلاحه.

(٩) ل: «ولاالزوال»، تحريف.

(١٠) ل: «وبعدما».

(١١) ل : «بل» سقط.

(١٢) ل: «اكتسب شوكة الشكر» ـ د: «اكتسب شوكة الشكوى».

kitabweb-2013.forumaroc.net

ازدياداً، ومريرة العَتْب قوّة واستحصاداً[١]؟ وكيف صارت رُقاى لاتَسُلّ[٢] ضغينته وهى تَحُلّ العُصُم[٣]، ولا تَحْلُل[٤] حِقده وهى تَحْلُل الصخور الصُّمّ؟

أُعيذه[٥] بالله أن يرى غَرْس يديه يذبُل، وهو لا يسقيه، ووليّه يطلُب تعطّفه، ولا مساغ لعطفه فيه، وعلى كل حالٍ فليس عندى إلا طاعة له حُرّة، ونفس فى مودّته برّة، وما هو إلا:

* أخ مـا غـيّـر العـهـد ولا خـان ولا بـدّل[٦]
على شـيـمـتـه الأُولى وفـى مـذهـبـه الأوّل

* يراقبُ رأيك حـتّى يصحّ وينظُر عـفـوك حـتّى يثُوبا[٧]

(١) المريرة: الحبل الشديد الفتل، وفى د: «وجريدة...» ـ استحصاده: استحكام فتله.
(٢) الرُّقى: جمع الرُّقية، وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة ـ م: «صارت رقابى...» ـ ل: «ولاتسل».
(٣) العصم: جمع العِصام وهو الحبل ورباط كل شىء.
(٤) د: «ولاتجل».
(٥) م: «أعيذه».
(٦) هذا البيت والذى يليه من قصيدة للبحترى (ديوانه ١٧١٤/٣) فى مدح أبى نوح عيسى بن إبراهيم، ورواية الأول: «... المهد الذى كان...» ـ وفى م: «الدهر» موضع «العهد».
(٧) البيت للبحترى فى ديوانه (١٥٣/١) والرواية فيه: «أرقب... وأنظر عطفك...»، وهو آخر بيت من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويعاتبه.

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب السابع
فى العيادة والتعزية

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[فى العيادة]

اتّصل بى خبر علّة علته، وعارضة اعترته[١]، فكدتُ أطير قلقًا، وكاد فؤادى يعود فَلَقًا[٢]، وقابلنى الدهر بوجه أربد، ولبستُ على الدنيا نقابًا أسود[٣]، وتقلقلتْ أحشائى واضطربت وضاقت علىّ الأرض بما رَحُبت[٤]،

محاذرة على المجد المرجّى ... وإشفاقًا على الكرم الأصيل[٥]
فإنك ما اعتللت بل المعالى ... وإنّك ما مرضتَ بل القلوبُ[٦]

ولابِدْع أن يوحشنى سُقمه، وتثقُل علىّ علّته، وهو ركن المعالى الأعظم، وعمادها الأقوم، وبدرها الأزهر، وبحرها الأزخر[٧]، وأصلها الأصيل، وفرعها الطويل.

وبودّى أنّه إذا عانى داء، أن أُقْبَل له فداء، وإذا عرض له[٨] عارض اعتلال، أن أكون أوّل قادر على النيابة عنه بنفس أو بمال[٩]، فأبذُل المصون، وأُبرِز المَكنون، وأُسارع[١٠] إلى الإجابة، وأنتدب لحسن[١١] النيابة، ولئن عجزتُ عن تحمّل ذلك فى ظاهر الحال، لقد وفّيتُ المشاركة بما فى القلب[١٢] من الاشتغال، والجوانح من الاشتغال[١٣]

ولولا ما قارنه من خبر إقباله[١٤]، وتعقّبه بما مَنّ الله به من إبلاله[١٥]، وأنعم على الفضل به من كشْف العلّة وإماطتها، ومحْقها وإزالتها، وإعادة الصحّة إليه مخضرّة العود، منتظمة

---

(١) ل: «وعارضه اعترضته وعزته»، تحريف.
(٢) الفَلَق: الشق فى الجبل والشعب ـ وفلقه فَلْقًا: شقّه.
(٣) م: «الدنيا لباسا ودا» تحريف.
(٤) فيه اقتباس من سورة التوبة ٢٥، ١١٨
(٥) البيت للبحترى (ديوانه ٣/١٧٤٠) فى مدح الفتح بن خاقان، وفيه: «... على الفضل... على المجد الأثيل» ـ وفى ل: «محاذرة على الوجد...».
(٦) ويقول البحترى (ديوانه، ٣/١٧٣٨):
ولما اعتلّ أصبحتِ المعالى ... محبّة على خطرٍ مهول
(٧) الأزخر: من زخر أى طما وكثر ماؤه.
(٨) ل: «له»، متروك.
(٩) ل: «أومال».
(١٠) ل: «وأتسارع».
(١١) أنتدب له: أجيب وأسارع ـ وفى ل: «بحسن»، تحريف.
(١٢) م: «ولقد.... بما للقلب».
(١٣) م: «والجوابت من....» ـ ل: الاشمال»، وكلاهما تحريف.
(١٤) هذا ما ورد فى م، د ـ والذى فى ل: «خير أفعاله».
(١٥) أبلّ من المرض إبلالاً: برأ وصحّ.

kitabweb-2013.forumaroc.net

العقود، فمزج[١] السُّمَّ بالشَّهد، وقرن النحس بالسعد، وردّ العارض مَفْلول الغَرْب[٢]، منقوض القَطْب[٣] ـ لكنت[٤] لاشكّ إليه وافداً، وعليه وارداً، وبه مُلمّاً[٥] عائداً، ولَما اقتصرتُ فى هذه العيادة على جارى العادة، من المكاتبة[٦] دون الوفادة،

فلا تحسبَنْ تركي العيادة جفوةً ولا سوء عهد جاذبتْني جواذبُه[٧]

فلو ملكتُ المُراد لما بعُدتُ عنه، ولا قصرتُ دونه ولو سحبًا على الوجه، أو مشيًا على الرَّأس.

ولمّا عجزتُ عن الواجب من ذلك، وأنهضتُ «فلانًا» للأخبار[٨] متعرِّفًا، وعن حقيقة الأمر مستكشفًا، ولما عندى من مشاركته مظهراً، وعن التقصير الواقع عليه[٩] معتذراً، وقلتُ[١٠] الحمد لله الذى وعظ باليسير، وعافى[١١] فى الكثير، وسألتُه أن يجعل العارض له غائباً لا يئوب، ونائياً لاينُوب، والصحّة حالاً لا تَحول، ونعمة[١٢] لاتزول.

وعلمى أن الشيخ يُوقِع هذا الكتاب موقعه، ويضع هذا الخطاب من القَبُول[١٣] موضعه، ويُهدى إلىّ الخبر المُبهِج[١٤] بالصّحة، كساه الله ـ تعالى[١٥] ـ جلبابها، وأفاض عليه سحابها، والعلّة، قطع أطنابها[١٦]، وأوهى أسبابها، جارياً على عادته فى الفضل، وشيمته فى النبل.

---

(١) ل: «مزج».
(٢) الغرب: حدّ السيف وغيره.
(٣) القَطب: الجمع بين الشيئين، والقطب، إدخال إحدى عُروتى الجوالق فى الأخرى عند العَكْم ثم تثنى ثم يجمع بينهما ـ انظر : لسان العرب (قطب) ١٧٥/٢
(٤) ل: «وكنت».
(٥) م: «مسلماً».
(٦) ل: «فى هذه العيادة جريت على جارى من المكاتبة» ـ د: «الكتابة» موضع «المكاتبة» التى فى م.
(٧) البيت للبحترى (ديوانه ٢٠٢/١) من قصيدة قالها فى علّة نالت الفتح بن خاقان ـ وفى م: «ترك العيادة،...».
(٨) ل، د: «لاخباره».
(٩) م، د: «إليه»، والمثبت من ل.
(١٠) م: «وقل».
(١١) ل: «وعاده».
(١٢) ل: «والنعمة».
(١٣) د: «من القبول»، سقط.
(١٤) د: «المبهج»، سقط.
(١٥) ليست فى ل، د.
(١٦) الأطناب: حبال الخباء والسرادق ونحوهما.

kitabweb-2013.forumaroc.net

والله ـ تعالى[١] ـ يُبقيه في[٢] أفق المكارم نجمًا، لا يُمْضى عليه الدهر وصَرْفه حُكمًا، ما أدّى الغُدوّ إلى الرواح، وتمخّض الليل بالصباح. والسلام[٣]

(٥) ليست في ل، د.
(٦) د: «على».
(٧) لفظ: «والسلام» ورد في ل فقط.

kitabweb-2013.forumaroc.net

في التعـزيـــة

كتابي، أطال الله بقاء «فلان»، وأدام تمكينه وتوفيقه[١]، وسهّل إلى كلّ خير[٢] طريقه، وحرسه من غيَر الليل[٣] والنهار، وجعله وارث الأعمار، ولا أخلاه من نِعمة ضاحكة الأنوار، ودولة واسعة الأقطار.

قد أحلّ الله الشيخ من العلم[٤] بصُروف الدهر وتفنّنها، وأحوال الزمان وتلوّنها، والمعرفة بأنّ الدنيا دار لها بسكانها مَدار، وأنّ الحياة ثوب مستعار، ونعيم الدنيا وبؤسها بمكان، ما لواحد منهما فيها[٥] قرار، والإحاطة بأنّ لكلّ طالع أُفولاً، ولكلّ ناضر ذُبولاً، ولكلّ[٦] ضياء ظلامًا، ولكلّ[٧] عُروة من عُرا الدنيا انفصامًا ـ مَحَلا يُقوّى في العزاء عزائمه، ويُصغّر في عينه نوائب الدهر وعظائمه، ويُغنيه عن عظة[٨] تُجدد[٩] له صِقالا، وتَحُل عن عقله عقالا.

وهو يتلقّى المصائب إذا حلّت عَقْوته[١٠]، وقَرعت مَرْوته[١١]، بصبر يَقْصُر عنه الطوْد الأشمّ، وعزم ينفلق دونه[١٢] الصّخر الأصمّ، وحلم يَرجح إذا طاشت الأحلام، وقدم[١٣] تثْبُت إذا زلّت الأقدام.

وهذه حال تُرينا الإمعان في تعزيته ومدّ المقال[١٤] والإسهاب[١٥] في ضرب الأمثال، نوعاً من تجاوز حدّ الإجلال.

ورد[١٦] ـ أدام الله علوّ الشيخ ـ النبأ العظيم، الذي لم يَدعْ للصبر باباً إلا سدّه، ولا للجلَد

(١) كذا في م ـ والذي في ل: «تمكينه وتأييده وتمكينه وتوفيقه» ـ وفي د: «وأدم تأييده وتمكينه وتوفيقه».
(٢) د: «إلى الخيرات».
(٣) ل: «وحرصه...»، تحريف ـ م: «الليالي».
(٤) م: «من العلم». سقط.
(٥) م: «فيهما» ـ ل: «منهما»، سقط.
(٦) ل: «ووراء كل».
(٧) ل: «وكل».
(٨) ل: «عزة»، تحريف.
(٩) كذا في م، والذي في ل، د: «تجد»، وكلاهما بمعنى يصيره جديدا، وأجدّه بمعنى أحكمه.
(١٠) العَقوة: الساحة والمحلّة.
(١١) المَروة، واحدة المرو، وهي حجارة بيض براقة تكون فيها النار وتقدح منها.
(١٢) د: «دون».
(١٣) سقط حرف الميم من هذه الكلمة في م، وهو في ل: «وقدما».
(١٤) ل: «ومد في المقال».
(١٥) م: «والاسهاب»، سقط.
(١٦) ل، د: «وورد».

kitabweb-2013.forumaroc.net

ركناً إلا[١] هدّه، بنُفوذ أمر الله ـ تعالى[٢] ـ الذى كتبه على عباده، فجعلهم فيه شَرْعاً سواء، وضربه عليهم حقًّا قضاء، فى ذلك الشيخ الذى كان[٣] حلية الزمان العُطْل، وطراز السُّؤدد الغُفْل، أنار الله برهانه، وثقّل ميزانه، ولقّاه عفوه وغفرانه.

فاسْودّ[٤] النهار المبصر، وأمعن فى الجزع المستيقن المستبصر[٥]، وحرّم على العيون أن تبخَل بالدموع، وعلى القلوب أن تسكُن تحت الضّلوع، وثلَم جانب الدين،وعاد على[٦] الشريعة بالتوهين، وترك العلم مُنتهَك[٧] الحريم، منخرق الأديم، وغادر الفضل دارس الرسوم، غائر النجوم، إعظامًا لما طرق به الدهر من الخَطب البكر، والداهية النُّكْر، فى ذلك السيّد الندْب،[٨] حين فرع ذِرْوة الكمال، وشارف نَيْل أقصى الآمال، وصدَقتْ فيه الظّنون، وطمحتْ إليه العيون، بل[٩] حين انفرد بالسؤدد الرحْب، والخُلُق العذب،

ودارت عليه المكْرُمات حَواليًا[١٠] مدار النجوم السائرات على القُطْب

وكذلك البدر لاينكسفُ إلا ليلة[١١] تمامه،والورد لا ينتثر[١٢] إلا بعد ابتسامه، والكمال يعقبُه الزوال، والموت مولَع باختزام الأماثل، واصطفاء العقائل، ثم هو للكافّة مُرصِد[١٣]، والكلّ بسهمه مقصود ومُقْصد[١٤]

---

(١) ل: «إذا».

(٢) متروك فى د.

(٣) ل، د: «الذى كان» متروك، وهو فى م.

(٤) ل، د،: «واسود».

(٥) ل، د: «المبصر».

(٦) ل: «إلى».

(٧) انتهك حرمته: تناولها بما لا يحلّ ـ وفى ل: «منهتك» ـ وانهتك الشيء: انشقّ طولا.

(٨) رجل ندب أى خفيف فى الحاجة ظريف نجيب ـ ل: «سيد الندب» ـ م: «السيد البدر»، والمثبت من د.

(٩) ترك ل : «بل»، وهو فى م، د.

(١٠) الحوالى: جمع الحالية، أى التى تلبس الحلى ـ والذى فى ديوان البحترى (١/١٠٧):

ودارت بنو ساسان طرًّا عليهم مدار النجوم السائرات على القطب.

(١١) د : «ليل».

(١٢) ل: «لاينثر».

(١٣) مرصد: بمعنى مترقب، يقال أنا لك مرصد بإحسانك حتى أكافئك به ـ وفى د: «للكافة مهتد»، تحريف.

(١٤) مقصد: من الإقصاد وهو القتل على كل حال، أقصده: قتله أو طعنه أو رماه بسهم، فلم تخطئ مقاتله فهو مقصد ـ انظر: لسان العرب (قصد) ٤/٣٥٦ - ٣٥٧.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فإنّا[١] لله وإنّا إليه راجعون، رضًا[٢] بقضائه الذى ماله مردّ[٣]، ولا عنه مصدّ، واستسلامًا[٤] لحكمه الذى تفرّد بإمضائه، وتوحّد[٥] بإنفاذ قضائه.

نعم، وما نالنى[٦] من الأسف على هذه الفجيعة، والقلق بهذه الرزيّة[٧] الفظيعة، التى تركت رسوم الفضل دارسة، وآفاق المجد دامسة، فعلى حسب خلوصى فى مودّته، وتمكنى من خدمته، وتدرّعى ملابس نعمته، وغير كثير إذا بكى دمعًا أن أبكى دمًا، وأزِلّ عن موطئ[٨] الصبر قدمًا،

ومن سرّ أهل الأرض ثم بكى أسى بكى بعيون سرّها وقلوبِ[٩]

والله ـ تعالى ـ يُلْهِم الشيخ عزاء، يجعل له[١٠] عليه الجنّة جزاء، ويجعل هذه المصيبة التى أصابته خاتمة، ولا يريه بعدها إلا دولة قائمة، ونعمة دائمة[١١]، وأيّامًا لمُراده ملائمة، بمنّه وسعة فضله.

(١) د: «وانا».
(٢) كذا فى د، والذى فى م، ل: «رضاء».
(٣) م: «الذى»، متروك ـ ل: «الذى لايرده».
(٤) ل: «واسلاما».
(٥) ل: «وتعزز».
(٦) م: «نعم وأنا».
(٧) «من الفجيعة» ليس فى ل ـ د: «لهذه».
(٨) ل: «وأذل عن موطن»، تحريف.
(٩) البيت للمتنبى (ديوانه ١/٤٩) من قصدة يعزى فيها سيف الدولة عن عبده يماك التركى.
(١٠) م: «له»، سقط.
(١١) م: «ونعمة دائمة»، متروك.

kitabweb-2013.forumaroc.net

التعزية[١] بالولد

كتابي، وأنا أبسُط أطراف بناني فتنقبض، وأُمهِّد أركان خطابي فتنتقض[٢]، إشفاقًا من مكاتبته[٣] معزِّيًا، ومفاتحته مسلِّيًا، عن صغير أو كبير من حواشيه[٤] وخدمه، فضلاً عمّن هو سلالة مجده وكرمه، ولكن أقدار الله ما عنها مهرب، وأقضيته ما وراءها مذهب، ولارادّ لها كيف اختلفت، ولا مُجير عليها[٥] كيف تصرّفت،

* تأمّل رويدًا هل تعُدّنّ سالمًا إلى آدمٍ أم هل تعُدّ ابن سالِم[٦]

* هي الأقدار ليس لنا الخيار وهل بالموت ياللنّاس عارُ[٧]

وما أهلُ المنازل غير ركبٍ مطاياهم : رواح وابتكار

اتّصل لي من نبأ نفوذ قضاء الله ـ تعالى ـ في الولد[٨] النّفيس فَرْع المجد الأثيل، والسُّؤدد الأصيل ـ جعله الله له فَرَطًا[٩] وذُخرًا، وعوّضه[١٠] عنه ثوابًا وأجرًا ـ على حين[١١] نضارة من عوده، وابتسام من سعوده، وتأميل[١٢] من الكافّة لارتفاعه وصُعوده، وتشوُّف من المعالي أن يرتفع كما رفع أبوه[١٣] أعلامها، ويتسنّم كما تسنّم[١٤] ذروتها وسَنامها، ما وقف القلب[١٥] على الأسف، ودعا المقتصِد في الجزع إلى السَّرف، ضنًّا بنجوم المجد، أن تأفِل

---

(١) ل: «تعزية».

(٢) د: «وأمهد ... فتنتقض»، سقط.

(٣) م: «كتابته».

(٤) الحواشي: جمع الحاشية وهم أهل الرجل وخاصته.

(٥) ل: «لها».

(٦) البيت لأبي تمام (ديوانه ٢٥٧/٣) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق، ويعزّيه عن أخيه القاسم بن طوق ـ وسقط من ل الكلمة الأولى من البيت.

(٧) هذا البيت والذي بعده للبحتري (ديوانه ٩٥٩/٢) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب، وكان الواثق غلب آل وهب وأخذ منهم ألف ألف دينار.

(٨) ل: «الله ـ تع ـ عز ذكره في الولد».

(٩) م، د: «له» متروك ـ ويقال في الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فرطا، أي أجرا يتقدمنا حتى نرد عليه ـ انظر: لسان العرب (فرط) ٢٤٢/٩).

(١٠) له: «وعوض».

(١١) م: «حين»، سقط.

(١٢) م : «وتأمل».

(١٣) كذا في م، د ـ والذي في ل: «المعالي لم يرفع لها رفع أبوه» ـ يرفع: يرتفع قدره.

(١٤) م: «كما يتسنم» ظ تسنّم: علا.

(١٥) كذا ـ وفي م: «ما»، متروك.

kitabweb-2013.forumaroc.net

قبل أن تستقلّ، وسحائب الفضل أن تنقشع قبل أن تستهلّ، وصيانة للشيخ عن الدهر أن يطرُقه بما يُنقص له[١] عدداً، أو يُورِث قلبه كمداً، وعلمًا بأنّ مثل هذه الرزيّة أفدح، ولنار الحزن أقدح.

إن الفجيعة بالرِّياض نواضراً لأشدّ منها بالرياض ذوابلا[٢]

وذلك أقلّ ما يلزمني في حكم مشاركتي له[٣] فيما يأتي به الدهر في طَوْريْه، ويُسفر عنه في دَوْريه، وما يأخذني به مما تحمّلْته من عوارفه، التي تُخْجل الرَوض في مَطارفه وأياديه، التي تُكْثر الغَيث وقد انهلّت غواديه.

ومما سكّن القلب بعد اضطرابه، وأطفأ الوجد إثر التهابه، تذكّرى نعمة الله ـ عزّ وجلّ[٤] ـ في بقاء الشيخ، فإنها نعمة للمصائب جابرة، وللدّهر في تصرّفه غادرة، لا عدمتُ منه من يسُدّ كلّ ثلْم، ويأسو كلّ كَلْم.

وجعل الله ـ تعالى ـ هذه المصيبة خاتمة المصائب، ووفّقه من الصبّر عليها لما يَذْخر[٥] له من الأجر أعظم الرّغائب[٦]، إنه بيده[٧]. والسلام[٨]

(١) م: «لك».

(٢) البيت لأبي تمام (ديوانه ١١٤/٤) في رثاء ابني عبدالله بن طاهر،وهما صغيران، وفيه «لأجل منها....».

(٣) د: «له»، سقط.

(٤) م: «عزت قدرته».

(٥) م: «يدخر» ـ ذخره واذخره وادخره: اختاره أو اتخذه أو خبأه لوقت الحاجة.

(٦) د: «العظيم الرغائب».

(٧) ليس في م: «إنه بيده».

(٨) لم يرد في د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب الثامن
فى المداعبة والمطايبة

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[في المداعبة والمطايبة]

كتابي[١]، أطال الله بقاء السيّد فالسيد[٢]، ثم[٣] الأجَلّ فالأجلّ، والأعظم فالأعظم[٤]، والأكرم فالأكرم، والأنفس فالأنفس، والأشرف فالأشرف، وهلُمّ جرًا، ما وجد الخالع[٥] للحبل مجرًا[٦]، من الثناء والدعاء، والتقريظ والإطراء، وجميع ما يخرج من هذا الوعاء[٧]

ولولا الأخذ بالسُّنّة في مطاولة[٨] الحبيب للحبيب[٩]، وفرحة الأديب بالأديب[١٠]، وأنس الغريب بالغريب، واهتزاز المريض للطبيب[١١]، لأجللت مجلسه[١٢] ـ آنسه الله ـ عن[١٣] التثقيل والتطويل والإبرام بمَدّ الكلام[١٤]، لكنّي راجعتُ فهمي ووهمي، واستعرضت نثري ونظمي، وشاورت نفسي، وأجلْتُ فكري وحدسي[١٥]، في أن آتيَ بكلام بديع

---

(١) هذه الرسالة جواب لرسالة كتبها شرف السادة محمد بن عبيد الله الحسيني البلخي إلى منصور الهروي، وأورد الباخرزي الاثنتين ـ الابتداء والجواب ـ في ترجمة منصور ـ دمية القصر، تحقيق: الحلو، ١٥٨/٢ - ١٦٤ (تحقيق : التونجي ٧٢٥/٢ - ٧٣٠) وانظر في المصدر نفسه ترجمة «شرف السادة» ١٧٧/٢ - ٢١٠ (تحقيق: التونجي ٧٤١/٢ - ٧٧٧).

وقد بدأ جواب منصور بهذه الأبيات:

فداوك نفسي قد محتني يد البلى ... على أنني فيما ترى العين سالم
وهيهات مالي في السلامة مطمع ... ولكنني متعلم متسالم
أؤمل أن ألقاك يومًا وليتني ... فيلقى هشاما سالم الملك سالم
سلمت ففي ظل السلامة تكتسي ... ملابسها للمكرمات مسالم

(٢) ل، د: «فالسيد» متروك.

(٣) لم ترد «ثم» في بعض نسخ الدمية، وهو ما اختاره محققه.

(٤) م: «فالأعظم»، متروك.

(٥) الدمية: «إلى ما وجد...»، وفيه زيادة أثبتها محققه عن بعض النسخ، وفي بعضها أيضًا «الخادم» بدل «الخالع»، وهو في د: «المادح». تحريف.

(٦) كذا في الدمية ، ولعله هو الصواب، والذي في م، د: «بحرا»، وهووجه صحيح، وفي ل: «حجرا».

(٧) ورد بعده في الدمية: «ويكفيني الاكتفاء باسم حان (وفي بعض نسخها : جنان أو حنان) فلم أخرج من عيان إلى بيان».

(٨) في بعض مخطوطات الدمية: «من مطالعه» ـ د: «في مطاولة».

(٩) م: «للحبيب، متروك.

(١٠) ل: «بالأديب» سقط.

(١١) في م وبعض نسخ الدمية: «بالطبيب».

(١٢) م: «لأجلست مجلس» ـ ل: «لأحللته مجلسه»، وكلاهما تحريف.

(١٣) الدعاء متروك في د وبعض نسخ الدمية ـ م: «من» موضع «عن».

(١٤) وورد بعده في الدمية: «ولكني عرفت خلقا عظيما، وطبعا كريما، وسجية سريّة، وهمّة عليّة، فوثقت بالعفو، واستيثار ما عندي من الكدر بما عنده من الصفو، فأرسلت نفسي على سجيتها».

(١٥) م، د: «وحدسي»، متروك

kitabweb-2013.forumaroc.net

بعيد[١]، ونظام ما يشكّ[٢] أنه نظام فريد[٣]

فلما رأيتُه سلك من الدُّر ما سلك[٤]، وسبك من التِبْر ما سبك، وفرَك من المسك ما فرك[٥]، وحَزك من سلسلة الإعجاز ما حزك[٦] ـ نبّهت عقلي، وقِسْتُ خلّي بنَقْلي[٧]، ونظرتُ في فِتْري وشِبْري[٨]، وتذكّرتُ ما ذهب من حِبْري سِبْري[٩]، وقلتُ[١٠] يا أبا أحمد ـ أعزّك الله ـ اعلم الحال[١١]، ثم اطلُب المُحال[١٢]، واعرف ثم اهرِف[١٣]، ولا تُروِّج الزَّيف على الناقد[١٤]، ولا تُهد الطَّيف إلى الراقد[١٥]، ولا تتعرّضْ للمس النجوم[١٦] الثواقب، ولا تسبَح بقصير باعك في البحر ملتطِم الغوارب، واسكتْ فقد حان لك السُّكوت، ونسجتْ عليك العنكبوت[١٧]، وكادت تخلو منك البيوت، وذهب السمع والبصر، وبطَل العَين والأثر، وتناثر

---

(١) ل: «بعيد»، متروك.

(٢) م: «يشكره»، تحريف.

(٣) وردت الفقرة في الدمية على هذا النحو: «وقد حدثت نفسي، وأجلت فكري، وشاورت صحبي، وراجعت فهمي ووهمي، واستعرضت نثري ونظمي، في أن آتي بكلام بديع بعيد، ونظام ما يشك امرؤ أنه نظام فريد».

(٤) م: «من الدر ما سلك»، سقط.

(٥) يقال: فرك الرجل الثوب بالمسك وغيره أي صبغه به صبغا شديدا.

(٦) حزّكه بالحبل: حزمه وشدّه ـ وفي النسخ: «وحرك... ما حرك»، والصواب ما أثبته محقق الدمية عن إحدى النسخ.

(٧) الخلّ: الخمرة الحامضة، ويقال للخمرة: أم الخلّ ـ النَّقْل، بفتح النون وضمها: ما يتنقل به على الشراب ـ لسان العرب (نقل) ١٤/٢٠٠

(٨) الفتر: ما بين طرفي الإبهام والسبابة، وفتَره: قدّره وكاله بفتره ـ الشِبْر: ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر، وشبَره: كاله بشبره، وروى التوحيدي أن من مأثورات أحد الفلاسفة قوله: قس شبرك بفترك، لعلك تصيب مكان رشدك ـ البصائر والذخائر ٨/١٤١ ـ وفي ل، د: «وسترى»، تصحيف.

(٩) الحبر والسبر، بتسكين باءيهما، وبتحريكهما، كلاهما بمعنى الحسن والبهاء، ويقال: فلان حسن الحبر والسبر إذا كان جميلا حسن الهيئة ـ انظر: لسان العرب (حبر) ٥/٢٢٩، (سبر) ٦/٤ ـ وفي د: «من سبرى وسبرى»، تحريف ـ وفي الدمية: «من خبرى وسبرى»، تحريف.

(١٠) ل، د: «قلت»، بحذف الواو قبله.

(١١) ل: «اعلم حقيقة الحال».

(١٢) أوردت الدمية المطبوعة هذه الكلمة بالجيم.

(١٣) الهرف: الإطناب في الثناء والمدح ومجاوزة القدر في ذلك، وفي المثل: «لاتهرف بما لا تعرف» أي لا تمدح قبل التجربة ـ انظر: لسان العرب (هرف) ١١/٢٦٢.

(١٤) ترك د حرف الواو قبل «لاتروج» ـ الناقد: من يميز الدراهم.

(١٥) م: «إلى غير الراقد» ـ وليس في د: «ولاتهد...».

(١٦) ل: ولاتتعرض للنجوم، وأثبت ما في م، د، الدمية.

(١٧) في الدمية: «ونسج...» بحذف تاء التأنيث ـ والعنكبوت مؤنثة، وربما ذكّرت في الشعر، وهي الدويبة المعروفة بالنسيج الذي تصيد به الذباب وغيره، ويضرب المثل بوهائه ـ انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢/٢٥٨ ولسان العرب (عنكب) ٢/١٢٣.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الثَّمر[١] والكَثَر، وجُمع الشمس والقمر[٢]، واضمحلّ الليل والسَّمر[٣]، ولم يبْق إلا[٤] القضاء والقدر، والشَّيب وكلّ شَيْن، والعمى وكلّ عَيْب، والضعف وكلّ خَلَل[٥]، وأحوال الزمان، وما بها خفاء[٦]، وجفاء[٧] أهله، ومن أين لهم جفاء[٨]، وبدون هذا ينْفُق الحمار[٩]، ثم إن كان لابدّ فمن المصيرة[١٠]

وصل[١١] كتاب[١٢] السيّد، الجليل[١٣] السيّد، وما أعدْتُ السيّد تكريراً[١٤]، لكنْ تقريراً[١٥]، فالأول سمة[١٦] هو لابدّ بها متّسِم، ولها مرتسم[١٧]، حتى يكون سجعًا، والثانى صفة، جُمْلته[١٨] بها متّصِفة، ومعانيها له منتظمة مرتصفة[١٩]، واللّفظ مِن ههنا لشُعْبَة[٢٠]

---

(١) الثمر: هو الرطب فى رأس النخلة، فإذا كبر فهو التمر، وتقع الثمر على كل الثمار، ويغلب على ثمر النخل ـ والكثر، بسكون الثاء وفتحها: جمار النخل وهو شحمه الذى فى وسطه أو طلع النخل، وفى الحديث: «لاقطع فى ثمر ولا كثر» ـ انظر: لسان العرب (ثمر) ١٧٥/٥، (كثر) ٤٤٨/٦ ـ وفى م: «والكبر»، وفى الدمية: «الهم والكبر»، وفى هامشه أن فى بعض النسخ: «النجم والكثر»، وجميعه تحريف.

(٢) فيه اقتباس من سورة القيامة ٩

(٣) د: «والسحر».

(٤) فى الدمة: «والمرء بين»، وهورواية إحدى المخطوطات، موضح: «ولم يبق إلا».

(٥) الدمية: «والضعف...» متروك.

(٦) كذا فى ل، د ـ ووردت فى م، والدمية: «خفاء»، مقصورة.

(٧) الجفاء، يقصر ويمد: غلظ الطبع أوترك الصلة والبر ـ وفى م: «حفاء».

(٨) كذا فى ل، د ـ وهو فى م: «حفاء»، وفى الدمية «جفاء».

(٩) دون ذا ينفق الحمار:مثل يضرب عند المبالغة فى المدح، إذا كان بدونه اكتفاء ـ انظر: مجمع الأمثال ٢٣٢/١ والفاخر، ص ١١٥

(١٠) كذا وردت، ومعناها غير ظاهر، والذى فى م: «المضيرة» ـ والذى فى ل: «فإن كان ولابد...»، وهو مما لا يمكن قراءته فى د. والمختار هو الوجه الوارد فى الدمية.

(١١) بدأ م هذه الفقرة الجديدة بلفظة «فصل»، كأنها منفصلة عما سبقها، وليس فى ل، د، والدمية ما يدل على ذلك.

(١٢) زاد م بعده: «الشيخ».

(١٣) فى الدمية: «الأجل»، وفى هامشه أنه رواية بعض النسخ.

(١٤) ليس فى م: «السيد» ـ وفى ل: «تكرارا».

(١٥) الدمية: «ولكن...»، بزيادة واو ـ م: «تقديرا».

(١٦) الدمية: «اسم».

(١٧) الدمية: «ولها مرتسم»، متروك.

(١٨) م: «حملته»، وفى الدمية: «جملة»، والمثبت فى ل.

(١٩) ل: «ومرتصفة»، بزيادة واو.

(٢٠) لعله شعبة بن الحجاج بن الورد الواسطى أبو بسطام، روى عن أنس وابن سيرين، كان من أصدق الناس فى الحديث والتثبت والبصر به، ونقية رجاله، حتى وصفه أحمد بن حنبل بأنه أمة وحده فى هذا الشأن،وقال عنه الشافعى: لولاه ما عرف الحديث فى العراق. وكان عالمًا بالشعر والأدب ـ ترجمته فى تاريخ بغداد للخطيب ٢٥٥/٩ – ٢٦٦ والوافى بالوفيات للصفدى، الجزء ١٦ (تحقيق: وداد القاضى، ط فيسبادن، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص ١٥٥ – ١٥٦، والأعلام للزركلى ٢٤٢/٣.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وقد تضمّن[١] من الفضل والإفضال، والإحسان والإجمال، والتوفّر والإيجاب، والرعاية والإكرام، مالا يُنسب إلا إليه[٢]، ولا يُوجد إلا لديه، ولا يُجمع إلا تحت يديه من برّه الجزيل، ورأيه[٣] الجميل، وهذا أيضًا من ذلك القبيل تسجيع كما يراه، وترجيع كما يرضاه أو لا يرضاه[٤]

ثم كثُر الوَحَل، فوقف الجمل، والصحيح هو الوحل[٥]، وللسجع حركته، وأراه يجوز، وإن لم يجُز أجزتُه[٦]، والدليل عليه قول القائل[٧]: لا وحياةِ[٨] الحمار في وحَل الطين.

ولعلّ السيّد[٩] يقول: «هذا الشيخ[١٠] قد خرِف»، وهذا أمرٌ[١١] قد عُرِف، وأنا به معترف[١٢]، وغيري للذنب[١٣] فيه مقترف، فإن قال فقوله مقبول[١٤]، وإن عفا فالعفو عند رسول الله مأمول[١٥]

---

(١) ل: «وقد ضمن»، والمثبت من م والدمية.

(٢) ورد في الدمية بعد لفظة «والإكرام»: «فيما أولانيه من بره الجزيل ورفعني إليه من قدره الجليل وذكرني به مالا ينسب إلا إليه ولا يوقف إلا عليه» ـ د: «إلا» متروك.

(٣) د: «والرأي» ـ الدمية: «بره الجزيل ورأيه»، متروك.

(٤) ل: «أولا ترضاه»، متروك.

(٥) ل: «من» بدل «هو»، والمثبت في م، د ـ وعبارة الدمية: «ثم وقف الجمل وكثر الوحل»، وأسقط ما بعده.

(٦) ل: «وأراه يجوز» سقط، والمثبت من م، د، وجعله محقق الدمية: «وأراه تجوز... أجزيه».

(٧) ظن ناسخ م أن ما بعده شعر، فكتب: «بيت» بعد كلمة القائل.

(٨) الدمية: «وحيرة»، وأشار محقق الدمية إلى أن في إحدى نسخها «حيات».

(٩) م: «الشيخ»

(١٠) ورد بعده في الدمية: «أيده الله».

(١١) الدمية: «سر» وهو رواية إحدى النسخ، موضع: «أمر».

(١٢) وردبعده في ل، وأثبته محقق الدمية عن بعض نسخه: «ومن بحره مغترف» وليس في م، د.

(١٣) زاد م بعده لفظة: «الذي».

(١٤) كذا في م ـ والذي في ل، د: «فإن قال فمقبول» وفي الدمية: «إن قال فمقبول».

(١٥) يشير إلى بيت كعب بن زهير (شرح ديوانه ص ١٩) من قصيدة «البردة»:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

وتكملة الرسالة في دمية القصر»:

«وهو بحمد الله ـ تعالى ـ غصن من تلك النبعة، وبعض من تلك الجملة، وخليج من ذلك البحر، وضياء من ذلك البدر، فلا عجب أن اقتدى، ولا بدع أن اهتدى.

فأما الجواب لفظًا بلفظ، وحرفًا بحرف، ومعنى بمعنى، وكلمة بكلمة، على الرسم بين الأقران، والعادة بين الإخوان، والطريقة بين أبناء الزمان، فما أقلّ عقل الإنسان، وما أعدّه من الصواب، في هذا الجواب، أن أعرض عن الهذيان، بعدما حيل بين العير والنزوان، وأنشد:

إن ابن جَفْنة من بقية معشر

أبيات حسان... وقد أحسن فيها كلّ الإحسان، إلى آخر الدّستان، وقد جمعتُ بين الملح والأشنان، ووقفت لما انتهيت إلى هذا المكان.

kitabweb-2013.forumaroc.net

والى أبى بكر القُهُستانى[١] فى مثله

كتابى ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ بلا هَنْدسة ولا هَنْدمة[٢]، ولا تَنْجيم ولا فَلْسفة، وقد وصل كتابه المقصور على علّة[٣] الغلْظة والدقّة[٤] وصفة الكثافة والرقة، وحديث السعة والضيق، وما يجرى[٥] فى هذا الطريق.

وأنا يا مولاى كما علمت فى كتاب إقْليدس[٦]، وحل أشكاله، ورفع إشكاله[٧]، ووَسْم[٨] أغفاله، وفتح أقفاله، خفيف البضاعة، ضعيف الصناعة، قليل البراعة، قصير اليراعة[٩]، ضيّق الباع، قَفْر الرباع[١٠]، أُدلّ بذِهن كليل، وفهم عليل، وزَنْد كاب[١١]، وحدّ

= شكر الله سعيه وحيّا وجهه، وسقى ربعه، وطيّب ذكره، ورفع قدره، وتولّى عنى شكره، بجوده ومنّه.

وانى وان فارقت نجدًا وأهله ... لمحترق الأحشاء شوقًا إلى نجد
أروح على وجدٍ وأغدو على وجد ... وأعشق أخلاقًا خُلقن من المجد

وإن تجمع الأيام بينى وبينه، ثم يسمح خاطرى بما أردته بعد، والسلام، ولرأيه التوفيق والعلوّ والسداد، والصواب والرشاد، وكل ما ذكره هذا الباب البلغا والخطبا والشعرا والكتبا، وهذا صحيح على القياس، وإن لم يكن متداولا بين الناس، وأعوذ بالله من الوسواس الخناس، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة».

(١) على بن الحسن: كاتب شاعر كثير المزاح راغب فى اللهو، بزغ نجمه فى دولة السلطان محمود الغزنوى، إذ سلكه بين ندمائه ووظفه فى دواوينه، واتصل بابنه محمد، وأصبح رئيسا لديوانه فى أثناء ولايته لأبيه على خوزستان (ترجمته وشعره فى: تتمة اليتيمة ٧٣/٢ – ٧٥ وخاص الخاص ص ١٧٣ – ٧٤ ودمية القصر ٢١١/٢ – ٢٥٥ ومعجم الأدباء ٢١/١٣ – ٣١ وحدائق السحر فى دقائق الشعر لرشيد الدين الوطواط (ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربى، ط لجنة التأليف...، القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، ص ١٠٠ – ١٠٦ وانظر: عصر الدول والإمارات، الجزيرة العربية ـ العراق ـ إيران للدكتور شوقى ضيف، (ط ٢، دار المعارف بمصر، ١٩٨٣م) ص ٦١٣ – ٦١٥ وفى ل: «الفتهنتارى» تحريف.

وأما الموضع المشهور باسم قوهستان، فأحد أطرافه متصل بنواحى هراة ثم يمتد فى الجبال طولا حتى يتصل بقرب نهاوند وبروجرد، وهى الجبال بين هراة ونيسابور، وربما خففت النسبة إليها، فيقال: «القهستانى» ـ انظر: معجم البلدان ٢٠٥/٤.

(٢) الهندمة: الإصلاح على مقدار مناسب ونظام حسن.

(٣) ل: «المقصود على غلط»، تحريف.

(٤) م: «الغلظة والدفة»، د: الغلط والدقة»، وكلاهما تحريف.

(٥) د: «وما يجرى»، سقط.

(٦) حكيم يونانى، له يد طولى فى علم الهندسة ـ ترجمته فى تاريخ الحكماء للقفطى (ط ليبزج، ١٩٠٣م) ص ٦٢ – ٦٥

(٧) لم يرد فى م، ل: «ورفع إشكاله» وأثبته من د، ورأيت أنه يناسب السياق ـ الأشكال بالفتح: جمع الشكل وهو الشبه والمثل، وأمور أشكال أى ملتبسة، وبالكسر أى الالتباس ـ ومن مصنفات ابن رشيق: رسالة رفع الإشكال ودفع المحال ـ العمدة (تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، ط السعادة، ١٣٧٤هـ) ١١/١

(٨) م: «ووسيم»، تحريف.

(٩) اليراعة: أصل معناه القصبة ينفخ فيها الراعى، ويطلق على القلم ـ ولم يرد «قصير اليراعة» فى م، ل ـ وهو فى: د.

(١٠) ل: «ضيق الباب قفر للرياح»، تحريف.

(١١) أى لم تخرج ناره.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ناب[١]، وطمع آب، يدخُل عليه العجز من كلّ باب.

فياليت شعرى، كيف فتحت رأس هذا الجراب[٢]، وسللت سيفك من هذا القراب[٣]؟ كأنك أردت يا سيّدى أن تُعْلمنى كيف تصرّفك فى الفنون، وتصلّفك بالجنون[٤]، وتبسّطك فى الكلام، وتسلّطك على الأقلام، تُصرّفها[٥] كيف تريد، وتُبدئ بها ما تشاء وتُعيد، فتقلّبت يَمْنة ويَسْرة، وأورثت مُجاريك غيظاً وحسرة[٦]

هذا معلوم يا فديتُك[٧]، فإذا ذكر أهله سمّيتُك، وإذا طلب أصحابه ناديتُك، وإذا دعوت العجزة[٨] لبّيتُك، فارفُق فقد أتعبتَ أو زِدت ، واسكن فقد أُحْجرتَ[٩] أو كدت.

نعم يا قُرّة عينى، أو ما استحييْتَ[١٠] أن تُذكّرنى عهداً مضتْ أيّامه، وانقضتْ[١١] أجوره وآثامه، ونُسى حلاله وحرامه، ودَرَست رسومه وأعلامه، فذكرت دقّة الخُصُور والشّفاه[١٢]، وضيق العيون تحت سعة الجباه، واعتناق الأحباب، وما يليه من الأسباب، وما يُسمّى أو لا يسمّى، مما يظهر وإنْ كان يُعمّى[١٣]

هذا أيضاً عندى ـ فدتْك نفسى ـ مِن حديث عنْقاء مُغْرِب[١٤]، الذى يرويه أهل الجهل،

---

(١) أى كليل لايقطع.

(٢) الجراب: وعاء من إهاب الشاء، ويستعار لقراب السيف.

(٣) القراب: غمد السكين والسيف.

(٤) كذا ـ والتصلّف بمعنى الصلف وهو الغلوّ فى الظرف والزيادة فى المقدار مع تكبر، والتصلف أيضاً أن يكثر الرجل الكلام والمدح لنفسه ـ م: «فى الجنون».

(٥) هذه الكلمة متروكة فى د، وهى بزيادة واو فى أولها فى ل.

(٦) ل: «وأثرت مجاريك غيظاً وحضرة» تحريف ـ وفى د: «مجازيك» بالزاى.

(٧) م: «فهذا...» ـ د: «يا» متروك.

(٨) كذا فى ل، د ـ وهو فى م: «العجز».

(٩) كذا فى ل، د، والذى فى المعاجم: حجره وحجّره وتحجّر عليه: كله بمعنى ضيّق ما وسعه الله وخصّ به نفسه، واحتجر: التجأ واستعاذ ـ وفى م: «أعجرت» ، ولا معنى له، ويستقيم معناه بالزاى.

(١٠) كذا فى م والذى فى ل، د: «أو اشتهيت».

(١١) م، د «وأيامه انقضت».

(١٢) ل: «والشفآء» تحريف.

(١٣) أى يخفى ويلبس.

(١٤) عنقاء مغرب أو مغربة: من الألفاظ الدالة على غير معنى، وهى فيما يظهر من كلام القدماء طائر خرافى، يبيض بيضاً كالجبال، ويبعد فى طيرانه، يخطف الفيل كما يخطف الحدأة والفأر، وقد أفاض الدميرى فى الحديث عنها وأورد أقوال من سبقوه عن عجائبها من مثل أرسطاطاليس والقزوينى والعكبرى وغيرهم ـ حياة الحيوان الكبرى ٨٦/٢ ـ ٩٠ وانظر ثمار القلوب ص ٤٥٠، وعجائب المخلوقات ص ٢٨١، وللجاحظ إشارات إلى الشكّ فى وجودها ـ الحيوان ١٠٥/٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣. و«العنقاء المغرب هى التى أغربت فى البلاد، فنأت ولم تحس... وفى الحديث: طارت به عنقاء مغرب أى ذهبت به الداهية» ـ لسان العرب (غرب) ١٣٣/٢.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وآوى يُرَى ابنُه، ولم يُر آوى في الحَزْن والسهل[١]

فإن كان وصفك فيه يُوافق موصوفًا، ونَسجك يصادف غَزْلاً وصُوفًا، فأنت خير الناس بعد الأُستاذ أبي نواس[٢]، فخُذ بالنّصّ واعدل عن القياس، وعُدّني من النّسناس[٣]، فإنّي تحت قول النّمَريّ من ولد النّمر بن قاسط[٤]، ولا أدري لِمَ[٥] قُلبتْ ميمه من الكسر إلى الفتح، ولا أشك أنّ له علّةً جليّةً[٦]، فإنْ كانت موجودة في خزانة حكمتك فاجعلها لي[٧] هديّة، أعتقدْ لك عليها منّة سَنيّة، وأعدّها منك نعمة هنيّة، وإن بخلت أو تباخلْت، أو غفلت أو تغافلت، لحقك لوم وعذل، ولم[٨] يُقبل منك صَرْف ولا عَدْل[٩]،

يا زائرينا من الخيام ... حيّا كما اللّهُ بالسلام[١٠]
لم تطرقاني وبي حراكٌ ... إلى حلال ولا حرام[١١]
يحزنني أنْ أطفْتما بي ... ولم تنالا سوى الكلام

---

(١) يشير إلى بيت أبي نواس في هجاء إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت (ديوانه، ص ١٧١):

وما خبزه إلا كآوى يرى ابنه ... ولم ير آوى في حزون ولا سهل

ويروى أنه يقال لابن آوى بالفارسية: «سعال حيوان»، وأنه مفسد للكروم والثمار، وإذا وقع نظر الدجاج عليه لا يصبر حتى يأتيه ليأكله، ويذكر الدميري أنه سمي بذلك لأنه يأوي إلى عواء أبناء جنسه ـ انظر: الحيوان ١٨٢/٢ – ١٨٣ وأيضاً ٦٠٤/٣، وعجائب المخلوقات، ص ٢٥٢، وحياة الحيوان الكبرى ١٥٢/١ ـ من «وآوى» في د: سقط ـ ل: «الحسن»، تحريف، موضع «الحزن».

(٢) هوالحسن بن هانئ ـ ت١٩٥ ـ الشاعر العباسي المشهور بالعبث والمجون.

(٣) من الأمثال المولّدة: «ذهب الناس، وبقي النسناس» ـ مجمع الأمثال ٢٨٦/١ والنسناس، بفتح النون وكسرها: جنس من الخلق على صورة الإنسان ـ انظر ما ذكر عنهم في حياة الحيوان الكبرى ٣٥٦/٢ – ٣٥٨ ولسان العرب (نسس) ١١٦/٨ – ١١٧

(٤) النمري: هو منصور بن سلمة بن الزبرقان، من شعراء العصر العباسي الأول ـ ترجمته في طبقات ابن المعتز ص٢٤١ – ٢٤٧، والشعر والشعراء ٨٥٩/٢ – ٨٦٢، والأغاني ١٤٠/١٣ – ١٥٧

والنّمر بن قاسط بن هنب بن أفصى: جدّ جاهلي كان له بالمدينة عقب كثير، ارتد جماعة منهم في أيام أبي بكر فأبادهم خالد بن الوليد، وذكر عز الدين بن الأثير أن النّمر مكسور الميم، والنسبة إليه بفتحها ـ اللباب ٣٢٦/٣.

(٥) ليس في ل: «لم».

(٦) ل: «جليلة»، تحريف.

(٧) م: «إلي».

(٨) م: «لم»، محذوف الواو قبله.

(٩) الصرف: الحيلة أو التطوع أو الوزن...، والعدل، الفداء أو الفرض أو الكيل...، ويقال في الفدية: «لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا»، أي لم يأخذوا منهم دية، ولم يقتلوا بقتيلهم رجلا واحدا، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك ـ انظر: لسان العرب (صرف) ٩٢/١١، (عدل) ٤٦٠/١٣.

(١٠) هذا البيت والبيتان التاليان من شعر منصور النمري في مدح هارون الرشيد ـ طبقات ابن المعتز ص ٢٤٦، والشعر والشعراء ٨٦١/٢، والأغاني ١٣٩/١٣، ووردت دون نسبة في: تاريخ بغداد للخطيب، ط السعادة، ١٩٣١م، (ترجمة: يحيى بن أكثم» ١٩١/١٤ – وفي ل: «يازائرين...»، وفيه وفي د: «حياكم».

(١١) ل: «ولي حراك...» ـ م: «إلى حلال وحرام».

kitabweb-2013.forumaroc.net

الناس ـ أيّدك الله ـ لا أشكّ[١] أنك سمعت خبرهم، وإن كنتُ أعلم أنّك لم ترهم، فأما النسناس فهم قوم في[٢] ناحية المشرق، لأحدهم يد ورجل على ما يُقال، يَطْفِر[٣] كما يطفر الغزال، في قصّة عهدتها على من يرويها[٤]، فأما أنا فلستُ أقبلها بحال ممّن يحكيها، فاقبلْه إن شئت أو دَعْ[٥]

فأمّا دقُّ مصر[٦] وسلّه[٧]، فمعدوم عندي دقّه وجلّه[٨]

وأمّا الرمح وظلّه، ومن يستظلّ به أو يُظلّه، فههنا تُسكب العَبَرات[٩]، وتَصْعَد الزّفرات، وتكثُر الحَسَرات، وتتحرّك الحَشَرات[١٠]

وأما الضراط[١١] وتصحيفه، ونحو الشيخ فيه[١٢] وتصريفه، فرضي الله عن شيخنا سيبويه[١٣]،

---

(١) م: «لاشك»، والمثبت من ل، د.

(٢) م: «من» والمثبت من: ل، د.

(٣) أي يثب في ارتفاع.

(٤) ل: «على ما يرونها»، تحريف.

(٥) كذا في ل، د ـ والذي في م: «فاقبل... فدع».

(٦) الدِّق بمعنى الطرف من الأموال أو من النسيج والثياب، وقد أشار الثعالبي إلى ما يدفع على دقّ الطرز في مصر من الخراج، فقال عند حديثه عن كتّان مصر: «ربما بلغت قيمة الحمل من دقّ مصر الذي هو من الكتان لا غير مائة ألف ألف دينار» ـ ثمار القلوب، ص ٥٣٠، وقال أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية: «ولما قدم أحمد بن طولون إلى مصر متقلداً بها عمل المعونة أهدى إليه أحمد بن محمد بن مدبّر من دقّ مصر ودوابها والرقيق المجلوب إليها ما مقداره عشرة آلاف دينار» ـ المكافأة (ط الجمالية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) ص ٧٢، وقال التيفاشي أحمد بن يوسف: «... فناولتني ثوبا مُزوّرا (أي: مذهبا) وجبّة خزّ ومنديلا من دقّ مصر» ـ نزهة الألباء فيما لايوجد في كتاب (تحقيق: جمال جمعة، ط ١، لندن وقبرص، ١٩٩٢م) ص ٢٢٨ وفي ل: «وأما...»، وفي د: «مضر».

(٧) كذا ـ والسلّ جمع السُّلّة، وهي سلّة الخبز، أو الجونة المستديرة المطبقة، يجعل فيها الطيب والثياب ـ انظر: لسان العرب (سلل) ١٣/ ٣٦٤

(٨) الدقّ والجلّ، بالكسر فيهما: أي الصغير والكبير ـ وفي م، ل: «وحله» تصحيف ـ وفي ل: «عنده» موضع «عندي».

(٩) من أمثال المولدين: «ههنا تسكب العبرات» ـ مجمع الأمثال ٢/ ٤١٠

(١٠) كذا في م ـ والذي في ل: «ويتحرك الحرسات أو الحشرات»، وهو في د: «ويتحرك الحشرات أوالحرشات».

(١١) كذا بالضاد المعجمة في د.

(١٢) ليس في م «فيه»، وهو في ل، د.

(١٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، توفي سنة ١٨٠هـ، و«سيبويه» لقب فارسي، معناه بالعربية رائحة التفاح ـ ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٣ ـ ٤٦٥، وطبقات النحويين واللغويين ص ٦٦ ـ ٧٢ وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، وإنباه الرواة ٢/ ٣٤٦ ـ ٣٦٠، ونزهة الألباء ص ٦٠ ـ ٦١.

kitabweb-2013.forumaroc.net

أو جلبويه[١]، وسقى تُربة أخينا نفطويه[٢] أو دُهْنويه[٣]، ونَسي الله من نسي إمامنا شَمِر بن حَمْدويه[٤] أو ذَمَويه، وجزى خيراً من ترحّم على عمّنا ابن خَالَوَيْه[٥] أو عَمَّويه، ولم يبق ممّن[٦] أذْكره غير خالنا مسْكَويه[٧] أو عُودويه[٨] ـ لا إله إلا الله! كيف سقط عنّي ذكر ابن الدُّرُسْتَويه(٩)، أو شكَسْتَويه؟[١٠] وكان لي مَعْرفة من اليهود، لا أدري في أي حرمانه دخل يعرف بنحمويه[١١]

هذا[١٢] ـ والله ـ نرد[١٣] تجاوزت فيه الحدّ، وبلغتُ منه الأمد، يا هذا مالَكَ والفُضول؟ لم لا تَعدل عن مثل هذه الفُصول؟ هنأك الله ما رَزقك من الفراغ، ورزقني منه ما فيه بعض البلاغ.

---

(١) كأنه يريد أن يقول مداعبا إن «ساب» أي مشى ومضى، أو «سيّبه» أي تركه، تقابل «جلبه» جلبا أي أتى بالشيء وساقه من موضع إلى آخر.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة، كان فقيها وإماما في النحو، توفي سنة ٣٢٣ هـ، لقب «نفطويه» لدمامته وأدمته تشبيها له بالنفط، على مثال «سيبويه» لأنه كان ينسب في النحو إليه ويجرى على طريقته ويدرس كتابه ـ ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٤٧ – ٤٩، وطبقات النحويين ص ١٥٤ وبغية الوعاة ١/٤٢٨ – ٤٣٠ – وتاريخ بغداد ٦/١٥٩ – ١٦٢، وإنباه الرواة ١/١٧٦ – ١٨٢، ونزهة الألباء ص ٢٦٠ – ٢٦٢

(٣) الدهن: ما يدهن به الرأس وغيره، والقطران أيضاً ـ مع الفارق ـ نوع من الدهن أو هو القطران عامة، ومنه ما تطلى به الإبل للجرب وغيره.

(٤) أبو عمرو الهروي: عالم فاضل ثقة ونحوي لغوي وراوية للأخبار والأشعار، أخذ عن ابن الأعرابي والفراء والأصمعي وأبي حاتم وسلمة بن عاصم وغيرهم، توفي سنة ٢٥٥هـ ـ ترجمته في بغية الوعاة ٢/٤ – ٥ وإنباه الرواة ٢/٧٧ – ٧٨، ومعجم الأدباء ١١/٢٧٤ – ٢٧٥، ونزهة الألباء ص ١٩٦ – ١٩٧، والوافي بالوفيات للصفدي (ط فيسبادن، ١٩٨٢م) ١٦/١٨٠ – ١٨١

(٥) هوالحسين بن أحمد، لغوي من كبار النحاة، توفي سنة ٣٧٠هـ ـ ترجمته في: يتيمة الدهر ١/١٢٣ – ١٢٤، ونزهة الألباء ص ٣١١ – ٣١٢، ووفيات الأعيان ٢/١٧٨ – ١٧٩، وبغية الوعاة ١/٥٢٩ – ٥٣٠، وإنباه الرواة ١/٣٢٤ – ٣٢٧ ـ وفي م: «ممن يترحم على عمنا خالويه»، والصحيح ما في ل، د.

(٦) ل: «من».

(٧) هو أبو علي بن محمد بن يعقوب مسكويه، الباحث المؤرخ، مؤلف: «تجارب الأمم»، و«تهذيب الأخلاق»، توفي سنة ٤٢١هـ ـ ترجمته في معجم الأدباء ٥/٥ – ١٩، وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين (ط الإنصاف، بيروت، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ١٠/٩٢ – ١٣٠.

(٨) العود مما يتبخّر به.

(٩) هو عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه بن المرزبان، من علماء اللغة، فارسي الأصل، توفي سنة ٣٤٧هـ ـ ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/٤٢٨ – ٤٢٩، ووفيات الأعيان ٣/٤٤ – ٤٥، وطبقات النحويين، ص ١١٦ وبغية الوعاة ٢/٣٦، ونزهة الألباء، ص ٢٨٣، وإنباه الرواة ٢/١١٣ – ١١٤، وفي د: «ابن»، سقط.

(١٠) كذا ـ ولعل فيه مقابلة بين اللفظتين الفارسيتين: درست بمعنى صحيح، وشكست بمعنى مكسور.

(١١) كذا وردت هذه العبارة في النسخ الثلاث، وقد تركتها كما هي.

(١٢) م: «وهذا»، بزيادة واو.

(١٣) كذا في ل، د ـ ولا يتضح معناه، وهو في م دون نقط.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ومثله مما كتب[١] إلى أبى سهل الزّوزنى[٢]:

يامَن فـــؤادى فى هواه حنيـــذْ ... مـا مـرّ بى بعـدك عيش لذيذ[٣]
فـالرُّطْب مـذْ فـارقْـتنى يابس ... والحُلو عَيْن المـرُّ إلا النبـيـذ

والله لو وجدتُ العافية، من هذه القافية، لتركتُها لفظًا، كما تركتها معنى، وطويتُها مذاكرة، كما طويتها مباشرة، ونسيتها مكاتبة، كما نسيتها مشاربة، وهجرتها مداعبة، كما هجرتها مقاربة، فلا تَحْسبن الشيخ صديقًا لاهيًا[٤]، ولا ما ألفه من القول واهيًا،

كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيًا[٥] ... وثالثـة جـرّتْ علىّ[٦] الدواهيـا
فراقك ـ وهْو الخَطْب ـ أفْقدنى المُنى ... وسمّج فى عينى وقلبى المـلاهيـا

ومن[٧] عبد بنى العباس، فضلا عن عبد بنى الحسحاس[٨]، حتّى لايَسقُط شعْره، ولايُعَصب شعره، ولا يُصفع قفاه، حتّى تخرج عيناه، لا سيّما[٩] والمجالُ فَسيح، والاضطرار مبيح، وللمقال مقام، وللكلام نظام.

---

(١) له: «ومثليها...»، تحريف ـ د: «فصل كتبه».

(٢) لم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها ما يعين على التعرف عليه ـ وفى م: «أبى»، متروك ـ زَوْزَن: كورة واسعة بين نيسابور وهراة، كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم ـ انظر: معجم البلدان ٢/٩٥٨ - ٩٥٩

(٣) هذا الشعر مسبوق فى ل بلفظ: «وهو يقول» ـ حنيذ: محترق، وحَنَذَه: أحرقه أو شواه ـ ل: «حنيذة»، تحريف.

(٤) م: «صديقه ناهيا»، والمرجع ما فى ل، د.

(٥) هذا عجز البيت الأول من قصيدة مشهورة مفضلة لعبد بنى الحسحاس، وصدره:

عميرة ودّع إن تجهّزت غاديا

(ديوان سحيم ص ١٦، والأغانى ٢٢/٣٠٤، وخزانة الأدب، لعبد القادر البغدادى، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ٢/١٠٢

(٦) د: «عليه».

(٧) كذا فى م، والذى فى د: «وما»، وليس فى ل: «من».

(٨) هو سحيم: شاعر رقيق اشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بنى أسد، فنشأ فيهم، وقد عاش إلى أواخر خلافة عثمان، رضي الله عنه، وله ديوان شعر مطبوع ـ انظر: الشعر والشعراء ١/٤٠٨ - ٤٠٩ وسمط اللآلى ٢/٧٢٠ - ٧٢١ وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (تحقيق: إحسان عباس، ط بيروت، ١٩٧٤م) ٢/٤٢ - ٤٤.

(٩) م: «ولاسيما».

kitabweb-2013.forumaroc.net

فصل[١]

وصل كتاب الشّيخ جدًّا صراحًا[٢]، لايَعرف هزْلا ولا مِزاحًا، فالحمد لله على الوقار، المجلوب بالأوْقار[٣]، وكدتُ أقولَ[٤]:

وكـــان أغضَّ فى عـــينى وأندى ... على كـــبـــدى من الزّهر الجنىّ[٥]
وأحـــسن مـــوقـــعًـــا منّى وعنْدى ... من البُـــشـــرى أتتْ بعـــد النّعىّ[٦]
وضُـــمّن صـــدرُه مـــا لم تُضـــمّن ... صـــدور الغـــانيـــات من الحُلىّ

ثم وجدتُ ذلك قد تكرّر على الآذان، حتى تكرّج[٧] على الأذهان،، وتولّج فى البيوت، حتّى ضرب عليه بيت العنكبوت، فعدلتُ[٨] إلى قول أبي الطّيب[٩]

هنّ فيه أحلى من التوحيد

ثم تذكّرتُ ما لَحقه من الوعد والوعيد، حتّى نُسب إلى الزّندقة مرّة، وإلى الخلاعة ثانية، وإلى الجهالة ثالثة، وإلى قلّة المبالاة رابعة، ولَقِى كَلّ عذاب بَئيس[١٠]، ورُمى بكلّ داهية دَرْدَبيس[١١]، ولو لم يتداركه القاضى، لكان الباقى أكثر من الماضى.

فأما الشوق وبرّحه، فليس مما[١٢] يمكن شرحه، فالأوْلى بنا تَرْك ذكره وطَرحه، إلى أن

---

(١) لم يرد العنوان فى ل.

(٢) الصُّراح، والكسر فيه أفصح من الضم: المَحْض الخالص من كل شيء.

(٣) الأوقار: جمع الوِقر، وهو الحمل الثقيل، يحمل على ظهر أو رأس.

(٤) هذه أبيات مشهورة لأبي تمام يصف فيها صحيفة جاءته من الحسن بن وهب ـ ديوان أبي تمام ٣٥٥/٣ وانظر العقد الفريد لابن عبد ربه (تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، ط لجنة التأليف...، القاهرة، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م) ٢٠٢/٤ والمنتخل ص ١٨ - ١٩، وزهر الآداب ٨٣٤/٢ - ٨٣٥.

(٥) ل: «فكان... من الدهر الخير»، تحريف.

(٦) موضع هذا البيت والذى يليه فى م الألفاظ: «وأروى بعده بيتى البشرى بعد النعى وما لم يضمن صدور من الحلى»، وموضعهما فى ل: «وأروى بعده ما لم يضمن صدور الغليات من الحلى»، والكلمات مطموسة لا يستطاع قراءتها فى د، فكتبتهما كما فى الديوان والمصادر الأخرى.

(٧) كرج الشيء وأكرج وكرّج وتكرّج أى فسد وعلاه خضرة ـ لسان العرب (كرج) ١٧٦/٣ـ، ل: «حتى لكن»، تحريف.

(٨) ل: «فعدلت فيه».

(٩) ديوان المتنبى (٣١٥/١) وصدر البيت:

يترشّفن من فمى رشفاتٍ

(١٠) أى شديد، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ـ الأعراف ١٦٥.

(١١) الدردبيس: الداهية، والشيخ الكبير الهمّ.

(١٢) ل: «بحيث» بدل «مما» التى فى م، وهو متروك فى د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

يُداوى بصنع الله ـ تعالى ـ بالاجتماع قَرْحه، وأنا الآن معه تحت قول ابن أبى البَغْل[١]، ولو كان ابن أبى الفَرَس لكان أدنى من الفضل[٢]، ولكنّها الأسماء والكُنى، ولا خصومة فى الشهوات والمُنى:

أمل كان مكان الشـ ـمس فى بُعْد المكان[٣]
فدَنا حتّى إذا صا ر بلَمْس وعِيان
استردّته يدُ الدّهـ ـر فعُدنا فى الأمانى

قد علِم الشيخ أنّ جُرح العَجْماء جُبَار،[٤] فكيف إذا تَوالى سُكْر وخُمار[٥]، واجتمع اغتباق[٦] وابتكار، وحُثّت[٧] صِغار وكبار، ولم يبق زِمام[٨] وعِذار،[٩] ولا صديق ولا جار، فليس إلا ضَرْب وإسار، واغتصاب واقتسار[١٠]، وكلّ هذا تنصّل واعتذار،

وإن عوائد الأيّام فيها لما هاضتْ بوادنها انجبار[١١]

وأنا وليّ الدم وصاحب الثّار، وخالع الشّعار والدّثار[١٢]، فلا يعيبَنّ الشيخ هذا السّجع

---

(١) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى، مترسل شاعر بليغ فصيح من أهل المروءات، ولى الوزارة فى أثناء خلافة المقتدر (بويع فى ٢٩٥ وتوفى فى ٣٢٠هـ) ـ الفهرست لابن النديم (ط الرحمانية، ١٣٤٨هـ) ص ١٩٧، وانظر: أبو الحسين بن أبى البغل وأخوه أبو الحسن وما تبقى من أخبارهما ونثرهما ونظمهما، محمد يونس عبد العال، مجلة «تراثيات» (العدد السابع، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، يناير ٢٠٠٦م) ص ٩٧ – ١٣٤

(٢) د: «إلى الفضل».

(٣) الأبيات لابن أبى البغل، وقد رواها التوحيدى بعد قوله: «قال أبو مسلم بن أبى معمر، أنشدنى أبو الحسين بن أبى البغل، وقد ردّ عن طريق أصفهان إلى بغداد...» البصائر والذخائر ٢٠٨/٦ ـ وفى م: «بعد الأمانى».

(٤) الجبار من الدم: الهدر، وجرح العجماء ـ وهى البهيمة ـ جبار أى لا قَود فيه ـ انظر: لسان العرب (جبر) ١٨٦/٥

(٥) الخمار: بقية السكر، أو ما أصاب من ألم الخمر وصداعها.

(٦) ل: «واختبار»، د: «واسكار»، وكلاهما تحريف، والصحيح ما فى م.

(٧) م: «وحثث»، ل: «وجشت»، د: «وجث»، وكله لامعنى له، ولعل الصحيح: «حثت»، وهو تعبير له أمثلته فى الشعر الخمرى، ومنه قول ابن المعتز (ديوانه ٣٢١/٢): فاحثث الراح ما استطعت وزدنى.

(٨) كذا فى ل، د ـ الزمام: الحبل وخطام البعير ـ وفى م: «ذمام» بالذال المعجمة، وهو الحق والحرمة.

(٩) العذار: ما سال من اللجام على خد الفرس، وخلع فلان العذار أى الحياء، وهذا مثل للشاب المنهمك فى غَيّه ـ انظر: لسان العرب (عذر) ٢٢٤/٦

(١٠) كذا فى م، د ـ والاقتصار: القهر والغلبة ـ ل: «واعتسار»، وهو أخذ مال الولد كرها وقهرا.

(١١) البيت للبحترى (ديوانه ٩٦١/٢) يمدح الحسن بن وهب، وكان الواثق نكب آله ـ م، ل: «كما هاضت...»، والصواب من د، والديوان ـ ل، د: «الخيار»، ولا معنى له، موضع «انجبار».

(١٢) الشعار: ما ولى جسد الإنسان من الثياب، وفوقه الدثار وهو ما يتدثر به.

kitabweb-2013.forumaroc.net

المرتدف، والرّاء المؤتلف، فإنّي لم أقدحْ فيمن ألف الألف[١]، والراء على كلّ حال أوْطأ[٢] وأسلم، والألف أنصب[٣] وأقوم، وفيه مشابه من شيء[٤] على ذكره السلف،[٥]، والله ما لي وله الخلف[٦]،

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلتُ نفسي[٧]
وما يبكون مثل أخي ولكنْ ... أعزّي النفس عنه بالتأسّي[٨]

ورحم[٩] الله الشيخ أبا حكيمة[١٠]، فقد رثى وأجاد، وأحسن وأفاد، وصدق وزاد، وأبدأ وأعاد، وليته أُعيد فعاد[١١]

وأرجع إلى حديث الوقعة[١٢]: فالله الله لا تشتكين عرجاً، وانتظرن[١٣] فرجاً، فقد ـ وحياة

---

(١) ل: «أقدح من ألف ألف»، والصواب من م، د.

(٢) أي أسهل ـ م: «أوطى».

(٣) ل: «أنسب»، والمختار ما في م، د.

(٤) ل: «من كل شيء» ـ وفي هذا التعبير إشارة إلى شعر دعبل بن علي، وكان مدح محمد بن عبد الملك الزيات، فأنشده ما قاله فيه، وهو جالس وفي يده طومار، قد جعله على فيه، فلما فرغ أمر له بشيء قليل لم يرضه، فقال:

يا من يقبل طومارا ويلثمه ... ماذا بقلبك من حب الطوامير
فيه مشابه من شيء تسرّ به ... طولا بطول وتدويرا بتدوير

(انظر: ديوان دعبل ص ٨٦، والأغاني ٢٠/١٣٩).

(٥) كذا وردت العبارة في م، والذي في ل: «وعلى ذكره التلف»، وفي د: «وعلى ذكر السلف».

(٦) المثبت من د، وفيه غموض، سببه التحريف أو السقط، وفي م،: «مما» موضع «ما»، وفي ل: «والله فما لي ومنه الخلف».

(٧) هذا البيت والذي يليه للخنساء، ترثي أخاها صخرا ـ أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، ص ١٥٢ – ١٥٣، وفيه: «فلولا...».

(٨) في أنيس الجلساء: «وما يبكين... أسلي النفس...»، وفي ل، د: «عنهم» موضع «عنه».

(٩) ل: «ورحم»، بحذف الواو قبله.

(١٠) هو راشد بن إسحاق بن راشد، وكنيته: أبو حكيمة ـ بالكاف ـ لا باللام كما تورده بعض المصادر خطأ ـ وكان أديبا كاتبا شاعرا، وأكثر شعره في رثاء متاعه، وإنما كان يقول ذلك لتهمة لحقته من الأمير عبد الله بن طاهر ـ أيام كتابته له ـ في خادم لعبد الله، وقد اتصل راشد بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات، وله معه أخبار حسان ـ انظر: طبقات ابن المعتز ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠، والأغاني ٢٣/ ٥٧ – ٥٩، معجم الأدباء ١٢/١٢٢ – ١٢٥، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٤٢، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (ط جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ٢/٤/١٦٠ – ١٦١

(١١) د: «فأعاد».

(١٢) كذا في النسخ الثلاث ـ والوقعة: الحرب والقتال أو المعركة.

(١٣) م: «لاتشكين عرجا ولاتنظرن»، والصواب، من ل، د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

محمّد الوراق[١] ـ شُحذتْ الصرائم[٢]، وصُقلت الصوارم، وذُرّبت الأسنّة[٣]، وشُدّدت الأعنّة، وضُمّرت السّلاهب[٤]، وكُتّبت الكتائب[٥]، ودُبّرت العجائب، وكأنك بي وقد خرجتُ[٦] ولا الدّجال[٧]، وأفنيتُ النساء والرجال[٨]،

حـــرامٌ على الراحُ بعـــدك أو أرى دمًا بدم يجرِى على الأرض فائرُه[٩]

وهذا الوعيد والوعد، والبرق والرعد، والكلام الجَعْد[١٠]، وما عَرَفْتُ الجانى فعرِّفنيه، وقد تمّ، ودُلّنى عليه ولا تهتمّ، ونبّه لها عُمراً، ثم نَمْ[١١]

---

(١) كذا ، ولعله محمود الوراق، وهو من شعراء الحكم والمواعظ، توفّى نحو ٢٢٥هـ – ترجمته فى: فوات الوفيات ٧٩/٤ – ٨١، ولمزيد من المصادر انظر: العصر العباسي الأول، لشوقى ضيف (ط ٧، دار المعارف بمصر) ص ٤٠٩ – ٤١٣.

(٢) الصرائم: جمع الصريمة وهى العزيمة على الأمر وإحكامه.

(٣) ذَرّبها وذرّبها: أحدّها ـ وفى ل: «الألسنة»، تحريف.

(٤) السلاهب: الخيل الطويل على وجه الأرض، واحده: سلهب. وتضمير الخيل معناه أن يشدّ عليها سروجها وتجلّل بالأجلّة حتى تعرق تحتها فيذهب رهلها ويشتد لحمها، أو أن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم تعلف قدر ما يمسك الرمق من القوت.

(٥) الكتائب: القطعه العظيمة من الجيش ـ وكُتّبت أى هُيئت كتيبة كتيبة.

(٦) زاد م بعد «من».

(٧) الدجال: هو المسيح الكذاب، سمى بذلك لأنه يدخل الحقّ بالباطل، وقيل لأنه يغطى الأرض بكثرة جموعه أو لأنه يغطى على الناس بكفره، أو لأنه يدّعى الربوبيّة.

(٨) ليس فى م: «النساء والرجال»، وهو فى ل، د.

(٩) البيت للبحترى (ديوانه ١٠٤٨/٢) فى رثاء المتوكل، وفيه: «مائره» موضع «فائره».

(١٠) الجعد أى المتراكب المتقبض، يوصف به الشعر القصير غير السبط أو الثرى المتعقد أو الزبد المتراكب المجتمع ـ اللسان (جعد) ٩٤/٤ – ٩٥.

(١١) تذكر المصادر المختلفة شعر بشار المشهور فى مدح عمر بن العلاء وكان جوادا شجاعا:

إذا نبهتك حروب العداة فنبـه لها عمـرا ثم نم

(طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥، ويروى الشطر الأول على أوجه شتى فى نقد: الشعر لقدامة بن جعفر (ط ٣، الخانجى، ١٩٧٩م) ص ٨٧، ١٤٦ والأغانى ١٩٢/٣، وأيضًا فى ٢٦٦/١٩، والمختار من شعر بشار ص ٨٠، وزهر الآداب ٣٣٠/١، وسمط اللآلى، ص ٥٥١).

kitabweb-2013.forumaroc.net

وله في هذا الفن، إلى محمد بن جعفر[١]

كتبت، ولعن الله من يعرض[٢] كتابي هذا على غيره، أو يقف عليه غير نفسه الخسيسة ـ أستغفر الله ـ بل النفيسة، والغلط يرجع ولو من مرونه[٣] على خيره وشرّه، فإنّه ـ بحمد الله تعالى[٤] ـ أحْمق أوْقع[٥]، يُخبِر الناس بما يسمع، وبما[٦] يصْنع، ولستُ أرضى بذلك، فإنّي رجل وقور، وغيري سبع عقور.

نعم[٧] ـ أدام الله عزك ـ يا شيخي وكبيري، وقليلي وكثيري، ويامَن لايَزِن قنطاري إلا بقِطميري[٨]، أردت أكتب من لايزن فإني العقار[٩]، وإليه في قبوله الافتقار،

فـإنْ شـئتَ فـافـعل وإلا فـلا فـإنّي أرى الرجل[١٠] الأعـقـلا

حيّاك الله وبيّاك[١١]، ولعن الله هذه[١٢] السجْعة، فإنّها مقبولة ومنقولة[١٣]، ومصقولة وموصولة، وكلّ ما شئت بعد ذا.

ثم إن سخطْت فكان[١٤] ماذا يا شيخ؟ وإن كنت في صورة الشباب[١٥] فانفس به وابكِ عليه، واجعل أمره[١٦] بين يديه، وهذا[١٧] الفضل لست[١٨] أعرف معناه، فإنْ بدا لك

(١) لاذكر له في المصادر التي أمكن الاطلاع عليها ـ د: «إلى محمد بن جعفر» متروك.

(٢) م: «كتبت لعن الله من يجعل».

(٣) في العبارة غموض، واللفظة الأخيرة مثبتة كما في م، وهي في ل: «قرونة»، ويتعذر قراءتها في د.

(٤) لم ترد «تعالى» في ل.

(٥) أوقع: من الوقوع والوقيعة أي الغيبة، ووقع في الناس: اغتابهم وعابهم ـ وفي ل: «أدفع» تحريف.

(٦) ل: «بما»، متروك.

(٧) لم ترد في م.

(٨) م: «ويا من يزن قنطاري بقطميري» والمثبت من ل ـ القنطار: معيار يقال إنه مائة وعشرون رطلا، أو وزن أربعين أوقية ذهب ... والقطمير أو القطمار: شق النواة، أو هو القشرة الرقيقة التي على النواة، بين النواة والتمر، ويراد بالقطمير الشيء النزر الحقير وبالقنطار الكثير الجليل.

(٩) كذا وردت العبارة في م، والذي في ل: «فإني العقاب».

(١٠) ل: «الأفضل» موضع «الرجل».

(١١) بياك: بمعنى قرّبك أو أضحكك أو بوأك منزلا أو قصدك أو اعتمدك للتحية... أو هو إتباع لازدواج الكلام ـ انظر: الفاخر، ص ٢ – ٣، ولسان العرب (بيى) ١٨ / ١٠٨

(١٢) د: «ولعن هذه».

(١٣) د: «فإنها منقولة ومقبولة».

(١٤) د: «كان»، بحذف الفاء قبله.

(١٥) د: «الشاب».

(١٦) ل: «من» موضع «أمره»، والصحيح ما في م، د.

(١٧) ل: «هذا»، بحذف الواو قبله.

(١٨) د: «لا» موضع «لست».

kitabweb-2013.forumaroc.net

فيه[١] وجه فعرَّفناه، وهذا الكلام العريض الطويل[٢] العميق، الذي جعلتُه[٣] حدّ الجسم، ولست[٤] أدري ما تحت هذا الاسم، قد[٥] كتبتُه[٦] في ثلاث ساعات، وحرَّرتُه في تسعة أيّام، فإنّ قومًا من الملاعين عدلوا إلى شَرْط الشياطين، ومحمد بن أبي الطيِّب[٧] ـ لعنه الله[٨] ـ منهم صدْر الصدور، وبدر البدور، وأوّل الجمهور، ومنعوني من ذلك بخَمْرهم وخُمارهم، ولعنة الله على خيارهم، فضلاً عن[٩] شرارهم، وكلٌّ منهم بحمد الله شرّ، وإن لم يكن نَفع ولا ضرّ.

والجواب طيّ هذا[١٠] الكتاب، كتبتُه بالأمس، وهو آخر يوم من تِشْرين الأوّل[١١]، سنة ألف[١٢] و«كذا» لذي القرنيْن[١٣] والأُذنين والعَيْنين واليدين والرجْلين، ثم أدركني الكسل الذي تعرفه، والضعف الذي لا تجهله، فاقتصرتُ على هذا الاستدراك، أو الازدراك[١٤]، وهذا أيضًا قريب من ذاك، وهو على كلّ حال فَصّ الخاتم[١٥]، ودرّة التاج[١٦]، وطُرّة النسّاج،

(١) كذا في د ـ والذي في م، ل: «فإن بذلك...» ولم يرد في م: «فيه».
(٢) ل: «الطويل العريض»، والمثبت ما في م، د.
(٣) كذا في د ـ والذي في م: «التي قد جعلته»، وهو في ل: «قد جعلته».
(٤) ل: «وما».
(٥) م: «وقد» وهو متروك في د.
(٦) د: «كتبت».
(٧) ليس له ذكر في المصادر التي أتيح الاطلاع عليها.
(٨) م: «لعن الله أباه».
(٩) م: «على».
(١٠) ل: «فالجواب» موضع «والجواب»، م: «عن» موضع «طي»، د: «هذا» متروك، ولعل المثبت هو الوجه الأصلح.
(١١) عدد أيامه واحد وثلاثون، وهو الشهر الأول من شهور السريان التي تنسب للإسكندر، يوافقه أكتوبر من شهور الروم ـ صبح الأعشى ٣٨١/٢، ونهاية الأرب للنويري (ط دار الكتب المصرية، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٣م) ١٥٤/١
(١٢) م: «وكذا» موضع «سنة ألف».
(١٣) هو الإسكندر الأكبر المقدوني، قيل سمي بذي القرنين لأنه كان على جانبي رأسه خصلتان عظيمتان من الشعر تشبهان قرني الحيوان ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٩٠/٢.
(١٤) هذا ما ورد في م، والذي في ل: «الإدراك أو الايزداك»، وفي د: «الاستدراك والادراك»، وكله مما يظهر فيه التحريف.
(١٥) يجري هذا التعبير وبعض التعبيرات التالية له مجرى الأمثال لحسن استعاراتها وبراعة تشبيهاتها ـ انظر: التمثيل والمحاضرة، ص ٤٣٧.
(١٦) يضرب بها المثل في تفضيل الشيء على بعض ـ ثمار القلوب، ص ٤٥٠، ٦٣١.

kitabweb-2013.forumaroc.net

وبصلة السَّكْباج[١]، وبَسْمَلة الكتاب[٢]، وفَذْلَكة[٣] الحساب، وواسطة القلادة[٤]، وبيت القصيدة[٥]، وقبّة العَصيدة[٦]، وبيضة البُقَيلة[٧]، وحَشْو الجَوْزِينج[٨]، وثُومَة[٩] التُّرُنْج[١٠]، وما جاء على هذا فهو كثير، والخطب فيه يسير.

وأنا مُطرى بَقْله، ومتولّي صَقْله، فإنّه لي وبي، وعندى ومعى[١١]، ومنّى ولدىّ، وبين يَدىّ وإليّ، ولا أقول عليّ، ففيه الخُطّه الكبرى، والخُطبة[١٢] العظمى، والعلّة الثالثة الأخرى، ونعوذ بالله من ذلك الدّاء، وإن كان منسوبًا إلى الكتّاب والشّعراء، وغيرهم من العقلاء والأجناس والفضلاء، والحاطة[١٣] أيضًا من اللاطة، ولكن من الحاشية وحاملى الغاشية[١٤]، ولابراءة من الأتباع[١٥] والأشياع، فقد يحتاج إلى سَقَط المتاع، ومن سار[١٦] تحت الرّاية، استوجب حظًا من الرّعاية، والسلام[١٧]

---

(١) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل، وربما جعل فيه زعفران، وهومعرب «سَكْبا» بالفارسية، ومعناه طعام بخلّ ـ انظر : تاج العروس (سكبج) ٥٩/٢، ومحيط المحيط، لبطرس البستاني (ط بيروت، ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م) ٩٧٢/١، والمعجم الفارسي العربي الجامع، لحسين مجيب المصرى (ط الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٣م) ص ٢١٧

(٢) البسملة: هى قول «بسم الله»، وفعله: «بسمل»، مما نحت من أكثر من كلمة.

(٣) الفذلكة: مصدر فذلك فلان حسابه، أى أنهاه وفرغ منه، وهو مخترع من قول الحاسب إذا أجمل حسابه: «فذلك كذا وكذا» ـ انظر: تاج العروس، (فذلك) ١٦٦/٧

(٤) يضرب بها المثل أيضاً فى تفضيل بعض الشيء على كله ـ ثمار القلوب، ص ٦٣١

(٥) انظر: ثمار القلوب، ص ٦٥٩

(٦) العصيدة: من الأطعمة، وهو دقيق يلتّ بالسمن ويطبخ ـ انظر المخصص لابن سيدة (ط الأميرية، ١٣١٩هـ) ١٤٦/٤، ولسان العرب (عصد) ٢٨٢/٤

(٧) بيضة البقيلة من عيون الأطعمة، ولا يستحسن المبادرة إليها ـ ثمار القلوب، ص ٤٩٧.

(٨) كذا فى م، ل، وهو مطموس فى د: وعن الجوزينق والجوزينج، انظر : المعرب للجواليقى (ط دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ)، ص ٩٩ وتحدث الثعالبى عن «حشو اللوزينج» فذكر أنه «يضرب مثلا للشيء يكون حشوه أجود من قشره وأفضل، وذلك أن حشو اللوزينج خير منه» ـ ثمار القلوب، ص ٤٩٧.

(٩) كذا فى م، والذى فى ل: «وسومه» تحريف.

(١٠) التّرنج أو الأُترجّ: ثمر كالليمون الكبار ـ انظر: لسان العرب (ترج) ٤٠/٣ وتاج العروس ١٢/٢

(١١) ليس فى م: «معى».

(١٢) وردت هذه الكلمة فى د بالياء موضع الباء، وترك م نقطه.

(١٣) ل: «والخاطة».

(١٤) الغاشية ـ كما يقول القلقشندى ـ من رسوم الملك وآلاته، و«هي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب، تحمل بين يديه عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها، يحملها الركاب داريّة، رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا» ـ صبح الأعشى ٧/٤. وهى ـ كما أورد ابن منظور ـ الحديدة التى فوق مؤخرة الرحل، أو غطاء السرج، أو ما ألبس جفن السيف من الجلود ـ لسان العرب (غشا) ٣٦٢/١٥.

(١٥) كذا فى د ـ والذى فى م: «ولاتراه من»، وفى ل: «ولايزاه إلا من».

(١٦) د: «صار»، متروك.

(١٧) م، د: «والسلام» متروك.

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب التاسع
فى الأوصاف والتشبيهات

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

وصف الكتب[١]

تأمّلتُ[٢] الرُّقعتين اللتين هما فى الحُسْن توأمان، وفى الفصاحة رضيعا لبان، فوجدتُهما روضتين[٣] تفتحت أنوارهما، وأينعتْ ثمارهما، وتفتّقتْ أزهارهما، وتسلسلتْ أنوارهما، فثمرات العقول منهما تُجتنى، وذخائر الكتابة من غرائبهما تُقتنى، وكواكب الآداب[٤] منهما تطلُع، ومسك الفضل من جوانبهما يسطَع.

ألفاظ لو مُدح بها القرد[٥] لَحَسُن، ولو[٦] ضُمّت إلى القلب الخافق لَسَكن، ولو وردت البحر[٧] الأُجاج لأصبح عذبًا فُراتًا، أو عُرضت على الميّت البالى لاستفاد حياة، ولو أنّها من الجواهر لكانت عقيانا[٨]، أو من النبات لكانَتْ رَيْحانًا، ولو كانت زمانًا لكانت ربيعًا، أو من[٩] السائلات لكانت دموعًا، ولو أمستْ نجومًا لما خَمد ضياؤها، أو عيونا لما غار ماؤها، أعزبُ من النوم[١٠] فى جُفون العشّاق، وأعذبُ من التّلاقى عَقب[١١] الفراق، وأطيبُ من مساعدة الحبيب، وغفلة الرقيب، والزَّوْرة المغتصَبة، والقُبْلة المستلَبة، وعَضّ الخدود، والإقبال[١٢] بعد الصُّدود، وأحسنُ من الروض غبّ المطر، وألطفُ من[١٣] درّ الطَّلّ فى أعيُن الزّهر، وأرقّ من دمع المستهام[١٤]، والراح رُقْرِق بماء الغَمام، وأعجبُ من ساعة الخيال، ومن هجر ضحك عن الوصال.

وخطٌّ[١٥] أغنجُ من الطُّرَر على الغُرَر[١٦]، وأبْهى من خال المسْك على درج الدُّرر[١٧]

---

(١) لم يرد العنوان فى م، د.

(٢) م: «تأملت فى».

(٣) م: «روضين».

(٤) كذا فى م، د ـ والذى فى ل: «الأدب».

(٥) ل: «الغدر» تحريف، وهو غير واضح فى د، والمثبت فى م.

(٦) ليس فى ل: «لو».

(٧) ل: «إلى الهجرة» موضع «البحر»، وهو الصواب.

(٨) م: «فلو...» ـ العقيان: الذهب.

(٩) م: «أو كانت من».

(١٠) م: «أغرب...» ـ ل: «أعزز من النجوم» ـ وهو غير واضح فى د، ولعله: «أعزب» بمعنى أبعد، فعله عَزَب.

(١١) م: «التلاق عقيب».

(١٢) ل: «والوصال»، والمثبت من : م، د.

(١٣) ل: «فى».

(١٤) المستهام: العاشق الذاهب الفؤاد ـ ل: «ومن أدمع...».

(١٥) ل: «وبخط».

(١٦) الطرر: النواصى، واحدها: طرّة ـ الغرر: جمع الغرّة وهى الوجه.

(١٧) الدُّرج، بالضم: سفيط صغير تضع فيه المرأة خفّ طيبها وأدائها ـ انظر: لسان العرب (درج) ٩٤/٣ ـ الدرر: اللآلئ العظيمة الكبيرة.

kitabweb-2013.forumaroc.net

كأنّي فتحتُهما[١] عن جنان ممطورة[٢]، وأجفان مخمورة، ورياض نظَم القَطْر عقودها، ووَرّد الوَرْد خدودها[٣]، وطرّز الشقائق[٤] سرْبالها ،وسحبتْ عليه الشّمال[٥] أذيالها، فآدتْ نسيم كافُورها[٦]، ونشرتْ روائح مِسْكها وعبيرها، وقد جادها المطر[٧] ،وتنفّس عليها السحر وطلعت طلائع الصباح وهي موبولة[٨]، وعيون أنوارها بالطّلّ مكحولة، ولاحتْ لها الشمس، ففتّحتْ أزاهيرها، ونثرتْ عليها دنانيرها، فأصبحت مخضرّة الأغصان، عطِرة الأردان[٩]، ضاحكة الثغْر، حالية الصدْر، فائحة النشْر.

وتصفّحتُهما[١٠] فاهتزّ لمحاسنهما[١١] طبْعي، وافتخر بهما[١٢] بصري على سمعي، وسحرت ناظري[١٣] ولُبّي، واندرج في درجهما قلبي[١٤]،

مـــعـــان لو بدتْ لظلام ليلٍ ... لعاد بضوئها الإظلام[١٥] فجرا
بها[١٦] يغدو سواد الحبْر طِرْسًا ... كما يغدو بياض الطرس حبرا
ولَفْظ رَقّ[١٧] حتى لو تبدّى ... ليابسة الغصون صرْن خُضرا

(١) م: «كانتي» موضع كأني»، وفيه وفي د: «فتحتها».
(٢) جنان: جمع جنة وهي الحديقة ذات الشجر ـ ممطورة: أصابها المطر.
(٣) كذا في د، والذي في ل: «وورد الدهر خدودها»، وهو ساقط من م.
(٤) الشقائق: نبت، واحدتها شقيقة، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق.
(٥) الشمال: ريح تهب من قبل الشام.
(٦) كذا ـ آدت: قوّت وأعانت، وربما هو : أدّت، يقال: أدّى الشيء: أوصله: وأدّه: مدّه ـ الكافور: أخلاط تجمع من الطيب تركب من كافور الطلع، والكافور أيضاً هو كمّ العنب قبل أن ينوّر أو وعاء طلع النخل ـ انظر: لسان العرب (كفر) ٤٦٥/٦ – ٤٦٦.
(٧) أي وبل وغزر، والجَوْد هو المطر الواسع الغزير ـ ل: «جاد ...».
(٨) أي أصابها الوبل أو الوابل، وهو المطر الشديد، يقال: وبلت السماء الأرض ـ ل: «مرمولة»، د: «مربولة» وكلاهما لا معنى له.
(٩) أردان: جمع رُدن، وهو الكمّ.
(١٠) م: «وتصفحتها».
(١١) م: «لمحاسنها، د:«بمحاسنها».
(١٢) م: «بها».
(١٣) ل، د: «خاطري».
(١٤) اندرج: طُوى وأُدخل ـ والدرْج مصدر درج الشيء في الشيء أي طواه وأدخله، ودرْج الشيء: طيّه ـ من: «واندرج» لم يرد في م.
(١٥) م: «بضوئهن الليل»، وهو صحيح.
(١٦) ل: «لها».
(١٧) ل: «دق».

kitabweb-2013.forumaroc.net

فلستُ أدرى أحظُّ إعجابى بهما[١] أوفر، أم نصيب تعجبّى منهما[٢] أكثر، أم درّ فوائدهما[٣] أغزر، أم أغصان بدائعهما أنضر[٤]، أم نجوم لطائفهما أزهر، أم فَضْل كاتبهما[٥] أبهر.

نثْر يُرْبِى على كلّ نظم، ويُحيّر كلّ طبع وفهم، ويعزِل كلّ كاتب، ويُخمِد[٦] كلّ نجم ثاقب،

نُكَت إذا كُتبتْ شممْتَ بها ... مسكًا من القرطاس والحبْر
لا يشتهى العطّار يسمعها ... يخشى الكساد بها على العطر
وإذا وَرَدْن على أخى أدب[٧] ... وجبتْ عليه سجدة الشكر

لاتزور فاضلاً إلا حمد الله وشكر، ولا تتّصل بأديب إلا هلّل وكبّر، ولا يسمعها ذو بصيرة إلا ردّد وكرّر[٨]

ونَظْم يكسو الدهر ملابس الجمال، ويُقلّد الشعراء[٩] عُقود الحسن والإدلال[١٠]، بألفاظ كأيّام الشباب، وعهد الأحباب، ومعان كعهد الصِّبا، ونسيم الرّوض تَجْلبه الصَّبا[١١]

وخطّ كأعلام المطارف[١٢]، وطُرَر الوصائف[١٣]، بل كالحبير منشوراً، والعبير

(١) م: «بها».
(٢) م، د: «منها».
(٣) م، د: «فوائدها».
(٤) م: «بدايعها....» ـ وليس فى د: «أم أغصان...».
(٥) م: «لطايفها... كاتبها».
(٦) أخمد فلان النار: سكّن لهبها ـ وفى ل: «ويخمل»، وليس له وجه قوى.
(٧) ل: «ذوى»، والصواب فى م، د.
(٨) ل: «إلا أنشد وردد»، وهو غير واضح فى د، والمثبت ما فى م.
(٩) ل: «الشعر».
(١٠) كذا فى د، والذى فى م، ل: «عقود الخزى والإذلال».
(١١) الصَّبا: ريح معروفة تقابل الدبور.
(١٢) الأعلام: جمع العَلَم وهو رسم الثوب ورقمه من أطرافه ـ المطرف بكسر الميم وضمها: رداء من خزّ مربّع ذو أعلام.
(١٣) الطرر: جمع الطرّة وهو ما تقطعه الجارية وتصففه من الشعر المرفى على جبهتها ـ الوصائف: جمع الوصيفة وهى الخادمة أو الموصوفة بالجمال.

kitabweb-2013.forumaroc.net

منثوراً[١]، والروض مرهوماً[٢]، والوَشْى مرقوماً[٣]، والنجم متألّقاً، والورد متفتّقاً، إذا فاخر نَظْمٌ المتقدّمين، فهو الفائق، وإن جارى شعر المتأخّرين، فهو السابق، وإن قُرع[٤] به سمع المحصّل العالم حار لما سمع، وإن أُنشد الشاعر المُفْلق[٥] أذعن له وخضع، ولو قُرئ على الماء الأُجاج لَعذُب، أو سمعه الراهب المتبتّل[٦] لطَرِب.

(١) م: «بل كالعصب منشورا وكالعبير...»، والعصب ضرب من برود اليمن ـ د: «منشورا والعبير»، متروك.
(٢) رهمت الروضة أى أُمطرت، فهى مرهومة، والرَّهمة: المطر الضعيف الدائم.
(٣) المرقوم: المخطّط المعلّم.
(٤) ل : «قرن» والذى فى م، د صواب.
(٥) المفلق: المجيد الذى يجيء بالعجائب فى شعره ـ ل: «الساحر» موضع «الشاعر».
(٦) المتبتّل: المنقطع عن الدنيا، المنصرف إلى العبادة ـ م: «الذاهل» موضع «الراهب».

kitabweb-2013.forumaroc.net

في وصف القلم

فهمتُ الرُّقْعة ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ وأنا والله أستهجن إهداء الحقير[١]، إلى الخطير، كما لاَ أستحسن إتحاف القليل، إلى الجليل[٢]، ولكن معاذ الله أن يكون القلم بهذه[٣] الصفة موصوفًا، وكيف وهو الجماد المتصرّف فى كلّ حيوان، والأخرس المُعْرِب عن كلّ ذى لسان، والساكت يُنهى الخبر، والآلة تُدِيل من السمع والبصر؟.

بالقلم تُقلَّم مخالب الخُطوب، وبه تَجرى لذّات العيون إلى القلوب، ومنه تُجتنى[٤] ثمار العقول، وبه يستبين[٥] الفاضل من المفضول، وبحدّه تُخلّد المعالى على مرّ الليالى.

القلم صغير العَيْن[٦] عظيم الأثر، خفيف الوزن، ثقيل الخطر، مُفهِم لا يَفهم، ومُعلِّم لا يعلم، ويدلّ[٧] بجسم ضئيل، وقدر جليل، ويمتطى[٨] الأنامل، ويُردّ الصوارم والعوامل[٩]، ويقذف الليل على النهار ،ويُخجل الرياض غبّ القطار، ويَمُجّ الصاب والعسل[١٠]، ويستخدم الأجل والأمل. إن أهملتَه أعفاك[١١]، وإن أعملتَه أغناك، وإن تركته سكن، وإن حركته أمكن[١٢]، فهو الأصغر الأكبر، والأوهن الأمتن، والأقوى الأضعف، والأدنى الأشرف، ينتهى الكلام، ولا تنتهى فضائله الجسام.

وقد حملتُ إليه[١٣] عشرة أقلام مسعودة المطالع، كثيرة المنافع، صَلِيبة المَكاسر[١٤]، رائقة المناظر، معتدلة الأوصاف، مستوية الأوساط والأطراف، لم يَعِبْها كَثافة ولا رِقّة، ولم يَشِنْها غلَظ ولا دقّة،

كالرمح أذرُعه عشر وواحدة ... وليس يُزرِى به طول ولا قصرُ[١٥]

---

(١) م: «إهداء الشىء الحقير».

(٢) الإتحاف: الإطراف بالتحفة ـ ل: «باتحاف القليل الجزيل»، تحريف.

(٣) ل: «هذه».

(٤) م: «ومنه تجنى»، د: «وبه تجتنى».

(٥) ل، د: «وبه يتبين».

(٦) ترك ل لفظتى: «القلم»، و«العين».

(٨) ترك م الواو قبل كلمة «يدل».

(٨) ترك م حرف العطف فى هذا الموضع.

(٩) العوامل: صدور الرماح.

(١٠) يمج الشراب أو غيره أى يصبه من فِيه قريباً من الفم ـ الصاب: عصارة شجر مرّ.

(١١) ل: «أعناك».

(١٢) أى: «استطاع وقدر».

(١٣) د: «قد حملت...» ـ ل: «إليه»، سقط.

(١٤) ل: «صلبة...» وكلاهما بمعنى شديدة ذات صلابة ـ ولفظة «المكاسر» غير واضحة فى م، د.

(١٥) البيت للبحترى (ديوانه ٩٥٧/٢) يمدح على بن مرّ الطائى، وفيه: «فليس...».

kitabweb-2013.forumaroc.net

فصل

خرجنا، وقد كست الشمس الأرض بُرْداً[١] مسمعاً[٢]، ونَفَّضت على الأُفق الغربى وَرْساً مذَعْذَعاً[٣]، إلى رابية مُشْرفة على[٤] السهول والأوعار[٥]، تُسافر بالأبصار[٦]، فى الأقطار، وهى من الأنوار والأزهار، فى أحسنَ من[٧] الوَشْى فى أيْدى[٨] التُّجَار، وأطيب من العطر فى جَوْنَة[٩] العطّار، وعين ماء أصفى من دمعة المهجور، وأبرد من عذْرَة المقمور، وأعذب من الوصل بعد الصُّدود، وأرقّ من صِبْغة الخجل فى وَرْد الخدود، راكبين كلّ طِرْف يَسْبق الطَّرْف، ويستغرق الوصف، من سَرَوات الخَيْل كريم الأعمام والأخوال، لايَفْرق بين الجبال[١٠] والرمال، ولا يَلقى النِّعال إلا بأشدّ من النعال[١١]، يَسوق الآجال إلى الآجال، ويُهْدى السُّمّ الناقع إلى العُفْر والأوعال[١٢]، حين ولّى الشتاء ببرده، وأتى الربيع بورده، وحلّت الشمس الحَمَل[١٣]، وقام وزن الزمان[١٤] واعتدل، واعتمّ النبت واكتهل[١٥]، وتبدّى الزهر بالطَّلّ واكتحل[١٦]، واحتشد الروض بشُكْر القَطْر[١٧] واحتفل، وتبلّجت الدنيا وتبرّجت، وتعطّرت الآفاق بروائح الأنوار وتأرّجت، وضحكت وجوه الحدائق، وشُقّت جُيوب الشقائق، والأرض فى حُلَتها

---

(١) كذا فى ل، وهو فى م، د: «رداء».

(٢) كذا ـ وهو فى م: «مشمعا».

(٣) الذى فى ديوان ابن الرومى (٤/١٤٧٥):

إذا رنقت شمس الأصيل ونفضت على الأفق الغربى ورسا مذعذعا

الورس: نبت ذو صبغ أصفر ـ مذعذع: مفرق.

(٤) «على» ليس فى م، وموضعه «إلى» فى ل، والمثبت من د ـ الرابية: ما ارتفع من الأرض.

(٥) الأوعار: جمع الوعر والوعور، يقال: مكان وعر أى حزن ذو وعورة، ضد السهل.

(٦) د: «بالأبصار»، متروك.

(٧) ترك ل: «فى»، وترك د: «من».

(٨) ل: «فى يد».

(٩) الجونة، وتهمز أيضاً: سليلة مستديرة مغشاة، يجعل فيها الطيب والثياب ـ انظر: لسان العرب (جأن) ٦/٢٣٥، (جون) ١٦/٢٥٧

(١٠) د: «الأجبال»، وهو صحيح.

(١١) م: «بأسده» ـ النعال: جمع نعل، وهو ما غلظ من الأرض فى صلابة.

(١٢) ناقع: بالغ قاتل ـ العُفْر: الظباء التى تعلو بياضها حمرة، أو التى تسكن القفاف وصلاب الأرض ـ الأوعال: تيوس الجبل.

(١٣) كذا فى م، د ـ الحمل: أول برج من بروج السماء الاثنى عشر، إذا حلّت الشمس برأسه يعتدل الليل والنهار ويبتدئ فصل الربيع ـ ل: «المحل»، تحريف.

(١٤) قام ميزان النهار أى انتصف ـ لسان العرب (وزن) ١٧/ ٣٣٩.

(١٥) اعتم واكتهل: كلاهما بمعنى طال والتف وانتهى منتهاه.

(١٦) اكتحلت العين به: رأته، ويقال: اكتحلت الأرض بالخضرة، وذلك حين تُرى أول خضرة النبات.

(١٧) ل: «النظر»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

الخضراء، والجوّ في كُسوته الدُّكناء، وقد تصنْدل[١] الماء، وتمسّك[٢] الهواء، وصفت[٣] الرّاح في الدِّنان، وحكاها الماء في الغُدران، وفي كلّ قلب طرب، وفي كلّ أُفق للسّعود مضطرَب.

(٧) تصندل: فعل مشتق من الصندل، وهو شجر طيب الريح.
(٨) تمسّك: تطيّب بالمسك.
(٩) ل: «وضجت»، تحريف.

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

الباب العاشر
فى التصديرات والأدعية

kitabweb-2013.forumaroc.net

kitabweb-2013.forumaroc.net

[في التصديرات]

* كتابي عن سلامة واكفة[١] القَطْر، ضاحكة الثَّغر، ناضرة العُود، باسمة السُّعود، مُبيضّة الآفاق، مخضرّة الأوراق، منتظمة العُقود، مبتسمة السُّعود، رفيعة العِماد، ثابتة الأوتاد، صافية المشارب، وافية الذوائب[٢]

* عن سلامة رَوْضها خصيب، وثوبها قشيب، وعُودها ناضر، ونعيمها حاضر، وغصنها مُورق، وسماعها مُونق.

* عن حال مُخضرة المراد، جارية على المُراد، صافية الوِرْد، ضاحكة الوَرْد، منتظمة العقْد، منبرمة[٣] العَقْد.

* عن سلامة شملها جميع[٤]، ونعمة زمانها ربيع، ما أُعدّها إلا نعمة من نِعمه، ومِنّة من مننه، ويداً من أياديه، ومسعاةً من مساعيه.

* عن سلامة سابغة اللِّباس، وحال طيّبة الأنفاس، عذبة الموارد، مُحصدة المعاقد[٥]، مُخضرّة الجناب[٦]، مخضلّة السحاب، دَمثة[٧] المَراد، مضاهية للروض غبَّ العهاد[٨]، مُشْرقة كإشراق[٩] أيّامه، مُورِقة تحت ظلال إنعامه.

* عن سلامة هي لرميم[١٠] المجد ناشرة، وعن[١١] غُرّة الكرم سافرة، كالوَرد في نضرته، والرَّوض في خضرته.

* عن سلامة جنيتُ[١٢] ثمارها، ونعمة اقتبستُ من نِعمه أنوارها.

* عن سلامة وحالي ببركته حالية، ونِعم الله عندي متواترة متوالية.

* عن سلامة واللهُ يَخصّه منها[١٣] بالقَسْم الأجمل، والسهم الأكمل، والقسْط الأوفر،

---

(١) واكفة: سائلة.

(٢) الذوائب جمع الذؤابة وهي شعر الرأس المضفور، وذؤابة الجبل أعلاه.

(٣) منبرم: منفتل، يقال: انبرم الحبل.

(٤) أي مجموع.

(٥) مُحصدة: قوية، وإحصاد الحبل: إحكام فتله ـ المعاقد: مواضع العقد من الحبل.

(٦) الجناب: الفناء والناحية، أو ما قرب من محلّة القوم.

(٧) الدمثة: الأرض اللينة السهلة ـ م، ل: «دمنة» تصحيف.

(٨) المهاد: جمع العهد، وهو أوّل المطر الوسميّ.

(٩) د: «مشرقة»، متروك ـ ل: باشراق».

(١٠) الرميم: الخلق البالي ـ ل: «الرسم».

(١١) ل: «عن»، سقط.

(١٢) ل: «سلامة».

(١٣) د: «يخصها منه».

kitabweb-2013.forumaroc.net

والحظّ الأوفى[١]، وجعل قِدْحه منها المُعلّى[٢]

* عن سلامة بين غَمَرات الشّوق طائحة، ونفس إلى الجوى غادية رائحة[٣]

* عن سلامة عينها أثر[٤]، وصفوها كدر.

* عن سلامة أورَق عُودها، وأشرقتْ سُعودها، ورستْ قواعدها، وصفَتْ مواردها.

* عن سلامة أنجمها سُعود، وشربها عَذْب بَرُود[٥]

(١) القسم والسهم والقسط والحظ: كله بمعنى.

(٢) المعلّى: هو القدح السابع فى الميسر، وهو أفضلها، إذا فاز حاز سبعة أنصباء من الجزور ـ انظر: لسان العرب (علا) ١٩/٣٢٥. وليس فى د: «منها».

(٣) الجوى: الحرقة وشدة الوجد ـ ل: «عن سلامة...»، متروك، وهو مثبت فى: م، د.

(٤) الأثر: الخبر، وهو ما يقابل العين فى قولهم: «أثر بعد عين» ـ د: «عينها»، سقط.

(٥) أى شديد البرودة.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فصل

كتبتُ[١]، وعادةُ الله عندى جميلة، وظلالِ نعمه عليّ ظليلة، وأنياب النوائب عنّى كليلة، والحال ببركة أيّامه، وفى ظلّ إنعامه، وما اتّصلتْ به البشائر من إقباله، فى اطّراد أحواله، وتحقُّق أمانيه وآماله، كالعقد يوم نظامه، والروض غبَّ رِهامه[٢]، واللهُ يجعلها له وارية الزِّناد، عالية العماد، مطمئنّة المهاد، متوالية الأمداد، وعندى ارتياح يملأُ القلب من أكنافه، ويهزّ العطْف مِنَ أطرافه، ولما [٣] أرجوه من قرب لقائه، الذى يُرينى[٤] الأنس وهو فى نمائه، ويُضْحك إلىّ وجه الدهر وهو بمائه.

والحمد لله الذى أعطى فأجزل، وصنع فأجمل، وأنعم فأكمل، وأحسن فأفضل، حمداً متواصل الأوائل والأواخر، متشاكل[٥] الموارد والمصادر، متزايد الأقدار، متناهى الأقطار[٦]، باقى الآثار، على تعاقُب الليل والنهار، لاينقطع مَدده، ولاينقضى عَدده، ولا ينتهى أمده.

وعليه سلامٌ[٧] لا تضيق نواحيه، ولا تَقْصُر حواشيه.

ـ سلام يتّصل اتّصال الغُدوّ والروّاح، ويُضاهى نَفَس الوَرْد فى نسيم الصّباح.

ـ سلام يَقْصُر عنه المسك ذَكيًا، والوَرْد جَنيًا.

ـ سلام تُصدره نيّة[٨] فى وُدّه ناصعه، ونَفْس إلى خدمته[٩] نازعه.

ـ سلام كعهْدى له نُضرة[١٠]، وشوقى إليه كَثرة.

ـ أُهْدى[١١] إليه من السلام عَدد قَطْر الغمام، ودَمْع المستهام.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة فى م.

(٢) الرهام: الأمطار الضعيفة ـ م: «همامه»، تحريف.

(٣) ل: «بما».

(٤) م: «الذى ـــودى».

(٥) متشاكل: متوافق ـ ل: «مشاكل».

(٦) ل: «الأخطار»، وكلاهما صحيح.

(٧) ل: «عليه سلامة».

(٨) د: «يصدر عن نية».

(٩) ل: «إلى حديثه».

(١٠) ل: «نظرة»، تحريف.

(١١) م: «وأهدى».

kitabweb-2013.forumaroc.net

فصل في الأدعية

أدام الله تأييده ودولته، وأَسْبغ عليه نعمته، وأجزل من الخيرات سُهْمته[١]، وحرس صحْن أحواله[٢] من الغير، وصَفْو أيّامه من الكدر، وصَحْو عِزّه من القَتَر، وأسبغ عليه نعمة لا يذبُل عُودها، ولا يأفُل سعودها، ولا يقشع سحابها، ولا يقلع أطنابها، ودولة لا تتفرّق شُعوبها، ولا يُنثر كُعوبها[٣]، ولا يتكدّر مشاربها، ولا تنكدر[٤] كواكبها، ولا تنهدّ مناكبها[٥]، ولا أخلاه[٦] من نعمة سماؤها ثَرّة[٧]، ورياضها مخضرّة، ومنْحة خدّها متورّد، ورُكْنها متمهّد[٨]، وظلّها ظليل، وقدرها جليل، وحظّها جزيل.

أعاذه الله ـ تعالى ـ من[٩] عَيْن الكمال، وأدام له ما أفاض[١٠] عليه من الجمال، وعمر به رَسْم الكرم ورِباعه، وأطال بما خوّله إمتاعه، وشفَع[١١] ما آتاه من المنح بأَسْعدها مطالع، وأعذبها مشارع، وألينها معاطف، وأدناها مقاطف[١٢]، في دولة غصونها لا تَذوى، وصحائفها لا تُطْوى، ومسرّة معمورة الأكناف، مبسوطة الأطراف، واضحة[١٣] المناهج والمعالم، ثابتة القواعد والدّعائم، مستقلّة الكواكب، مستهلّة السحائب، ونعمة جوانبها منيعة، ومناكبها رفيعة، وعزّة[١٤] صُروف الدهر لها مطيعة.

---

(١) السُّهمة: النصيب والحظ.

(٢) م: «أيامه».

(٣) الكعوب: جمع الكعب، وهو عقدة ما بين الأنبوبين من القصب والقنا ـ م: «ولاتنتظر لعوبها»، ولا معنى له.

(٤) تنكدر: تتناثر ـ ل: «ولاينكدرها».

(٥) م: «مواكبها».

(٦) م: «ولا أخلى».

(٧) ثرّة: غزيرة المطر.

(٨) ل: «متولد».

(٩) ل «أعاذ الله من».

(١٠) ل: «أفاضه».

(١١) ل: «وشفعه».

(١٢) المقاطف: أصول العناقيد، واحدها مِقطف.

(١٣) ل: «واضح».

(١٤) كذا.

kitabweb-2013.forumaroc.net

فصل[١]

لازالت الآمال به مَـنُوطة، ويده بالمكارم مبسوطة، ونعمه من النوائب مصُونة، وبعظيم[٢] المواهب مقرونة، ولازال[٣] فى نعمة تَدَع موادّ الشكر متّصلة، وأذيال الحمد منسدلة، ومِنحة لازمة له لا تتعدّاه، وواقعة[٤] لديه لا تتخطّاه.

والله ـ تعالى ـ يُبقيه لعارفة يُقلّدها، وأُحدوثة حسنة يُخلّدها، ويد يُسْديها، ومَكْرُمة يُنْليها ويُسْنيها، فى[٥] دولة واسعة الأرجاء، ممدودة[٦] الأفياء، صافية من[٧] الأقذاء، مأمونة من الزوال، محروسة من الانتقال، مُوفية على مَراقى[٨] الهمم والآمال، ورتبة سامية، ونعمة نامية، وعيشة راضية، ودولة عالية، ونِعَم متلاحقة مترادفة، ونَعَم متلاقحة[٩] متوالدة، وعزّ حبله لاينقطع، وظلّه لاينقشع، وغِراسه[١٠] لا يُقْلَع، ولباسه لا يُخْلع، ومواهب لا يَصْلِد زِنادها[١١]، ولا تنقطع أمدادها، ولا يَخِرّ عمادها.

والله ـ تعالى[١٢] ـ يُديمها له مشفوعة من المواهب بأعْذبها مَشْرعاً، وأعْزبها[١٣] مطلعاً، مقرونة من المنائح بأنظمها عقداً، وآكدها عَقداً، وأنعمها لباساً، وأوثقها أساساً، ويطيل بقاءه فى بَهْجة مرفوعة سماؤها، ممدودة أفياؤها، مخضرّة أغصانها، مبيضّة أعنانها[١٤]، ولا يريه إلا ما همّته إليه طامحة، وأمانيه نحوها جامحة[١٥]، ولا يُخْليه[١٦] من دولة وثيقة الأركان، مشيدة[١٧]، البُنْيان، ويُطيل بقاءه فى دولة ممدودة الأفياء، متظاهرة النُّماء، مُناصية

---

(١) موضعه فى ل: «شعر»، خطأ.

(٢) م: «وبعظام».

(٣) م: «لازال»، بحذف الواو قبله.

(٤) م: «واقفة»، وحذف واو العطف قبله.

(٥) ل: «فى»، سقط.

(٦) م: «ممتدة»، بدل «ممدودة»، وكلاهما صحيح.

(٧) ل: «من» متروك.

(٨) ل: «المراقى».

(٩) م: «مترادفة ونعم متلاحقة»، سقط.

(١٠) د: «وغرسه» ـ الغراس: مايغرس من الشجر ونحوه.

(١١) لايصلد زنادها أى يصوت ولايخرج نارا ـ ل: «لا»، سقط.

(١٢) هذه الكلمة مثبتة من م.

(١٣) أى أبعدها، ويجوز: وأغربها، بالمعنى نفسه.

(١٤) ل: «أعيانها».

(١٥) أى مسرعة، وفى م: «جانحة»، وهو صحيح بمعنى مائلة.

(١٦) م: «ولا يخيله»، تحريف.

(١٧) ل: «مسدة».

kitabweb-2013.forumaroc.net

لأعنان[١]، السماء، متضاعَفَة على تناوُب الصباح والمساء، ونِعمة[٢] مبيضّة المطالع، مخضرّة المراتع.

لازال جنابه للإحسان[٣] منتجَعًا، ولأهل الفضل، مُصطافًا ومُرتبعًا، وبقاؤه للمجد ذخراً، وللمعالى قواماً، وللتصاريف عُذراً، وللزمان ابتساماً.

والله ـ تعالى ـ يُديم له التوفيق والتسديد، والتمكين والتمهيد، ويَخُصّ له من فضله وإنعامه المزيد، ويحرس دولته من النوائب أن تُغيِّرها، والشوائب أن تُكدِّرها، ويَقْرن[٤] الخير بمتصرَّفاته، ويُريه الرشد فى كلّ حالاته، ويُبقيه للأيادى يُقلّدها، وللمساعى يُخلِّدها، وللمكارم يؤيِّدها، وللمحامد[٥] يقيِّدها، فى عِزّ لا قصر فى أذياله[٦]، وإقبال لا تقلُّص[٧] لظلاله، وسرور تتلاحق تواليه بهواديه[٨]، وتتّصل روائحه بغواديه، ويُديم له من عادته أجملها، ومن نِعمته[٩] أجزلها، ويُهدى إليه من منائحه أكملها، ومن عوارفه أفضلها.

أبْقاه الله ـ تعالى[١٠] ـ جابراً لكلّ كَسْر، ناظمًا لكلّ نثْر، شارحًا لكلّ صَدر، متداركًا لكلّ أمر[١١]، سادًا لكلّ ثَلم، آسيًا لكلّ كلم، حاويًا لكلّ مَجد، موفيًا على كلّ[١٢] غَوْر من الشرف ونَجد، وجَعَل له من العزّ القسط الأوفى، والشّرب الأصفى، واللباس الأضفى[١٣]، والسهم الأعلى، وأبقاه صدْراً للدهر، وبدراً لأُفق المكارم والفخر، وغُرّة فى جبهة الأيام، وعُمدة للأُمور العظام، بمنّه وفَضْله[١٤]

---

(١) كذ فى ل ـ ناصاه: جاذبه أو نازعه وباراه أو أخذ كل واحد بناصية الآخر، وناصت الفلاة أرض كذا أى اتصلت بها ـ وفى م: «متناصية عنان». تناصيا: تآخذا بالنواصى.

(٢) ل: «بمنه ونعمه»، وفيه زيادة مقحمة.

(٣) ليس فى د: «للإحسان».

(٤) ل: «ويقترن»، تحريف، والصواب من: م، د.

(٥) ل: «الأيادى ... المساعى ... المكارم .. المحامد»، والصحيح ما فى م، د.

(٦) د: «أذيالها».

(٧) م: «لا يتقلص».

(٨) التوالى: الأواخر أو الأعجاز ـ الهاودى: الأوائل أو الأعناق.

(٩) م: «نعمة».

(١٠) وردت فى م فقط.

(١١) ل: «متداركًا لأمر»، تحريف، والمثبت من م، د.

(١٢) ل: «موفيا لكل»، والصحيح ما فى م، د.

(١٣) الأضفى: الأوسع والأسبغ، فعله: ضفا يضفو.

(١٤) ل: «وجوده».

kitabweb-2013.forumaroc.net

فصل في الدوام

أبقاه الله ـ تعالى[١] ـ في «كذا»، ما صدحتْ حمامة، وسفحتْ غمامة، وما قرّت الأرض قرارها، وألفت الأفلاك[٢] مدارها، ونثَر المُزْن أقطاره[٣]، ونظَم الروض أنواره، وجلا النجوم السماء، وتلاَ الصباح المساء.

ـ ما بثّ اللّيل دُجاه، ونَشر الصبح سَناه[٤]

ـ ما انبسط هواء، وأتبع الظّلام ضياء، وابتسم البدر في ظلامه، وانسجم القَطْر[٥] من غمامه.

ـ ما انصدع اللّيل عن الفجر، وابتسم الروض غبّ القَطْر.

ـ ما نشر الأنوار[٦] صنائع الأنواء، وبثّ النسيم أنفاس الروضة الخضراء.

ـ ما بث الصبح سناه، واشتمل الليل بدُجاه.

ـ ما اهتزّت[٧] الأنوار للأنواء، وضحك البدر في أديم السماء.

ـ ما طَلع[٨] الفجر، ولَمع البدر.

ـ ما طلع الصّباح، وهبّت الرّياح.

ـ ما بلّ الريق فماً، والمِداد[٩] قلماً.

ـ ما تناوَب الصباح والمساء، وانطبق على الأرض السماء.

ـ ما استقلّ البدر، واستهلّ القَطْر[١٠]

---

(١) ل: «تعالى»، متروك.

(٢) د: «الإبل»، تحريف.

(٣) د: «ونشر المزر...»، وفيه وفي ل: «قطاره».

(٤) ل: «ما بث الليل نجاؤه... سناؤها»، والصواب ما في م، د.

(٥) انسجم: انصب ـ ل: «انسجم القدر»، تحريف.

(٦) د: «ما نثر الأنواء»، تحريف.

(٧) ل: «ما اهتز»، والمثبت ما في م، د.

(٨) م: «ما طلعت».

(٩) ل: «ريق ... ومداد» ـ د: «ما بلّ الريح...».

(١٠) ل: «القدر»، والصواب من م، د.

kitabweb-2013.forumaroc.net

مصادر التحقيق

الإعجاز والإيجاز، للثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ـ ٤٢٩هـ)

ط الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠١هـ (ضمن مجموعة خمس رسائل).

الأعلام، للزركلى (خير الدين بن محمود بن محمد ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

ط ٢، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (على بن الحسين بن محمد ـ ٣٥٦هـ)

* الأجزاء ١، ٢، ١٧ – ٢٤ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ – ١٩٧٤م.

* الأجزاء ٣ – ١٦ طبعة دار الكتب المصرية.

إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطى (على بن يوسف بن إبراهيم ـ ٦٤٦هـ)

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء، للأب لويس شيخو اليسوعى (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).

ط الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٦م.

البصائر والذخائر، للتوحيدى (على بن محمد بن العباس ـ ٤٠٠هـ).

تحقيق: وداد القاضى، ط صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ـ ٩١١هـ)

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الحلبى، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

تاج العروس، للزبيدى (محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى ـ ١٢٠٥هـ).

ط الخيرية بمصر، ١٣٠٦ – ١٣٠٧هـ).

تاريخ الأدب العربى، لكارل بروكلمان (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

الجزء الثانى، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، ط ٤، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.

تاريخ بغداد، للخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على ـ ٤٦٣هـ)

ط السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.

kitabweb-2013.forumaroc.net

تتمة اليتيمة ، للثعالبي.

١ – نشر: عباس إقبال، ط قردين، طهران، ١٣٥٣هـ.

٢ – نشر: مفيد محمد قميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

التمثيل والمحاضرة، للثعالبي

تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي.

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف بمصر، ١٩٨٥م.

الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة، لابن أبي الوفاء (عبد القادر بن محمد بن محمد القرشي ـ ٧٧٥هـ)

ط دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

خاص الخاص، للثعالبي.

ط السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

حياة الحيوان الكبرى، للدميري (كمال الدين محمد بن موسى ـ ٨٠٨هـ).

ط ٤، الحلبي، القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م

الحيوان، للجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ـ ٢٥٥هـ).

تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، ط ٢، الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

دمية القصر وعصرة أهل العصر، للباخرزي (علي بن الحسين بن علي ـ ٤٦٧هـ).

تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط المدني، القاهرة، ١٩٧١م.

وللدمية طبعتان أُخريان يشار إلى كلٍّ منهما عند الضرورة:

الأولى بتحقيق: محمد التونجي، ط دمشق، ١٩٧١م.

والثانية بتحقيق: محمد راغب الطباخ، ط حلب، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

ديوان البحتري (الوليد بن عبيد الطائي ـ ٢٨٤هـ)

تحقيق : حسن كامل الصيرفي، ط دار المعارف بمصر، ١٩٦٣ – ١٩٦٥م.

kitabweb-2013.forumaroc.net

ديوان أبي تمام (حبيب بن أوس ـ ٢٣١هـ).

تحقيق محمد عبده عزام، ط دار المعارف بمصر، ١٩٦٤ – ١٩٦٥م

ديوان دعبل بن على بن رزين الخزاعى (٢٣٥هـ تقريباً)

تحقيق: محمد يوسف نجم، ط عيتانى، بيروت، ١٩٦٢م.

ديوان ابن الدمينة (عبدالله بن عبيد الله بن عمرو ـ ١٣٠هـ تقريباً)

تحقيق : أحمد راتب النفاخ، ط المدنى، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

ديوان ابن الرومى (على بن العباس ـ ٢٨٣هـ)

تحقيق د. حسين نصار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس (٤٠ هـ تقريباً).

تحقيق عبد العزيز الميمنى، ط دار الكتب، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

ديوان كثير بن عبد الرحمن (١٠٥هـ).

تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.

ديوان المتنبى (أبو الطيب أحمد بن الحسين ـ ٣٥٤هـ).

شرح العكبرى، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، ط ٢، الحلبى، القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

ديوان ابن المعتز (أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ـ ٢٩٦هـ)

تحقيق: د. محمد بديع شريف، ط دار المعارف بمصر، ١٩٧٨م.

ديوان ابن نباتة السعدى (عبد العزيز بن عمر بن محمد ـ ٤٠٥هـ).

تحقيق : عبد الأمير مهدى حبيب، ط دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧م.

ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ ـ ١٩٨هـ).

ط آصاف، العمومية، القاهرة، ١٨٩٨م.

زهر الآداب وثمر الألباب، للحصرى (أبو إسحاق إبراهم بن على ـ ٤٥٣هـ)

تحقيق: على محمد البجاوى، ط الحلبى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

kitabweb-2013.forumaroc.net

السامي في الأسامي، للميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد ـ ٥١٨هـ)

تحقيق: محمد موسى هنداوي، ط دار الشعب، القاهرة، د. ت.

سمط اللآلي، للبكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ـ ٤٨٧هـ)

تحقيق : عبد العزيز الميمني، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م)

شرح ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى (٢٦ هـ).

ط.دار الكتب ، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).

الشعر والشعراء، لابن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم ـ ٢٧٦هـ)

تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد ـ ٨٢١هـ)

ط. الأميرية، القاهرة، ١٩١٣ – ١٩١٧م.

طبقات الشافعية، للإسنوي (جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن ـ ٧٧٢هـ)

تحقيق: عبدالله الجبوري، ط رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ١٣٩٠هـ.

طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ـ ٧٧١هـ).

تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ١ ، الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

طبقات الشعراء ، لابن المعتز

تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط ٤ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي (أبي بكر محمد بن الحسن ـ ٣٧٩هـ)

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٣م.

أبو العتاهية [إسماعيل بن القاسم ـ ٢١٠هـ]، أشعاره وأخباره.

تحقيق : د. شكري فيصل، ط جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

kitabweb-2013.forumaroc.net

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، للقزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ـ ٦٨٢هـ)

ط الحلبى، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الفاخر، للمفضل بن سلمة بن عاصم (٢٩٠هـ تقريبا)

تحقيق: عبد العليم الطحاوى، ط الحلبى، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

كتاب الصناعتين، لأبى هلال العسكرى (الحسن بن عبدالله بن سهل ـ ٣٩٥هـ).

تحقيق: على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، الحلبى، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

اللباب فى تهذيب الأنساب، لابن الأثير عز الدين (على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم ـ ٦٣٠هـ)

ط صادر، بيروت، ١٩٨٠م.

لطائف اللطف، للثعالبى

تحقيق: د. عمر الأسعد، ط دار الميسرة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

لطائف المعارف، للثعالبى

تحقيق: إبراهيم الإبيارى وحسن كامل الصيرفى، ط الحلبى، القاهرة، د. ت.

مجمع الأمثال، للميدانى.

تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م.

المختار من شعر بشار، للخالديين (أبى بكر محمد ـ ٣٨٠هـ وأبى عثمان سعيد ـ ٤٠٠هـ ابنى هاشم)

نشر: محمد بدر الدين العلوى، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٤م.

معجم الأدباء، للحموى (ياقوت بن عبدالله ـ ٦٢٦هـ)

ط أحمد فريد رفاعى، دار المأمون، الحلبى، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

kitabweb-2013.forumaroc.net

معجم البلدان للحموى

ط طهران، ١٩٦٥م.

المنتخل، «منسوب إلى : الثعالبى».

نشره: أحمد أبو علي، ط التجارية، الإسكندرية، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

منية الراضى فى رسائل القاضى، للهروى (أبي أحمد منصور بن محمد الأزدى ـ ٤٤٠هـ)

١ – مخطوط مكتبة برلين، تحت رقم (٨٦٤٧).

٢ – نسخة مصورة بجامعة الملك سعود بالرياض، تحت رقم (ف ٢٠/٦٣) عن الأصل المحفوظ بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، تحت رقم (٢٧١ مجاميع).

٣ – مخطوط بدار الكتب بالقاهرة، تحت رقم (١٤٩٠ ـ أدب).

نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، لابن الأنبارى (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ـ ٥٧٧هـ)

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط المدنى، القاهرة، د. ت.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (أبوالعباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ـ ٦٨١هـ)

تحقيق: د. إحسان عباس، ط صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، للثعالبى

تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط السعادة، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

kitabweb-2013.forumaroc.net

المحتويات

صفحة

مقدمة ٥

تمهيد ٧

١ – الهروى، مؤلف الرسائل ٧

٢ – الميدانى، جامع الرسائل ٩

منية الراضى فى رسائل القاضى ١٢

(أ) دراسة موضوعية ١٢

١ – التهانى ١٣

٢ – الشكر ١٦

٣ – الممادح والأثنية ١٧

٤ – الشوق والحنين ١٨

٥ – العتاب والاستبطاء ١٩

٦ – الشكوى والاعتذار ٢٠

٧ – العيادة والتعزية ٢٠

٨ – المداعبة والمطايبة ٢١

٩ – الأوصاف والتشبيهات ٢٥

١٠ – التصديرات والأدعية ٢٦

(ب) دراسة فنية ٢٩

وصف نسخ المخطوط ٣٧

كتاب منية الراضى فى رسائل القاضى

مقدمة أبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى ٤٣

١ – الباب الأول: فى التهانى ٤٥

فى التهنئة بالفتوح ٤٧

فى التهنئة بالوزارة ٥٢

فى التهنئة بالولاية ٥٨

فى التهنئة بقدوم الحج ٥٩

فى التهنئة بالمولود ٦٠

فى التهنئة بالقضاء ٦١

٢ – الباب الثانى: فى الشكر ٦٣

kitabweb-2013.forumaroc.net

في الشكر	٦٥
كتاب له مفرد في الشكر	٧٠
٣ – الباب الثالث: في الممادح والأثنية	٧٣
في الممادح والأثنية	٧٥
في العناية	٨١
٤ – الباب الرابع: في الشوق والحنين	٨٧
٥ – الباب الخامس: في العتاب والاستبطاء	٩٩
٦ – الباب السادس: في الشكوى والاعتذار	١٠٧
٧ – الباب السابع في العيادة والتعزية	١١٥
في العيادة	١١٧
في التعزية	١٢٠
التعزية بالولد	١٢٣
٨ – الباب الثامن: في المداعبة والمطايبة	١٢٥
في المداعبة والمطايبة	١٢٧
وإلى أبي بكر القهستاني في مثله.	١٣١
ومثله مما كتب إلى أبي سهل الزوزني	١٣٦
فصل	١٣٧
وله في هذا الفن إلى محمد بن جعفر	١٤١
٩ – الباب التاسع: في الأوصاف والتشبيهات	١٤٥
وصف الكتب	١٤٧
في وصف القلم	١٥١
فصل	١٥٢
١٠ – الباب العاشر: في التصديرات والأدعية	١٥٥
في التصديرات	١٥٧
فصل	١٥٩
فصل في الأدعية	١٦٠
فصل	١٦١
فصل في الدوام	١٦٣
مصادر التحقيق	١٦٤

kitabweb-2013.forumaroc.net